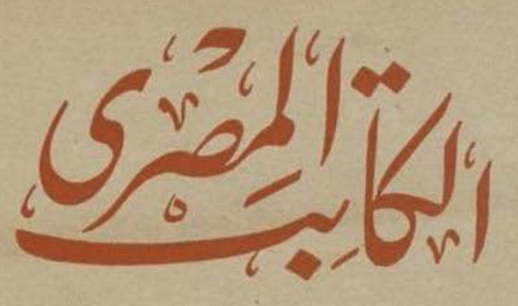
مجلد ٨ — عدد ٣٠ مارس ١٩٤٨



مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين

فهرس



تصدرها دار الكاتب المصرى
شركة مساهمة مصرية
القاهرة

كتاب

البخلاء

للجاحظ

حقق نصه وعلق عليه

طه الحاجرى

مدرس الادب العربى بجامعة فاروق الأول

٥١ + ٤٦٨ صفحة ، الثمن ١٠٠ قرشاً

ظهر حديثاً



البريد المسجل ٩٦ مليما

وللخارج ١٠٨ مليما

عبد العزيز البشري



مقدمة طه حسين

هى الأدب كل الأدب ، وهى الفن كل الفن ،
وهى الكلام الذى يجمع إلى رصانة الأدب
القديم وجزالته خصب الأدب الحديث وثروته

طبعة فى جزأين ، ثمن الجزء ٢٠ قرشاً

ظهر حديثاً



البريد للجزأين ٢٨ مليما

محمد الصّادق حسين



بيت علم فى دولتى المماليك

« وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق
لا يقدر أحد يرد علىّ هذه الكلمة . »

« الفلاح حر لا يد لآدمى عليه . »

تاج الدين السبكى

٩٦ صفحة ، الثمن **٢٥** قرشاً

ظهر حديثاً



البريد ٢٠ مليما

سلامه موسى

تربية سلامه موسى

العالم طيب . . . إنى أبارك على الحياة .
رامبو

تاريخ حياة المؤلف باعتبار أن الحياة تربية وتاريخ مصر فى تطورها وانتقالها من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين

٢٩٢ صفحة ، الثمن **٢٥** قرشاً

ظهر حديثاً



البريد ٢٠ مليما

الكاتب المصرى
مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين
سكرتير التحرير : حسن محمود

تصدر مجلة الكاتب المصرى فى أول كل شهر عن دار الكاتب المصرى ، شركة مساهمة مصرية ، وتطبع بمطبعتها .

الاشتراك

١٠٠ قرش فى السنة لمصر والسودان ، ١٢٠ قرشاً فى السنة للخارج أو ما يعادلها. يدفع الاشتراك مقدماً باسم دار الكاتب المصرى . لا تقبل الاشتراكات لأقل من سنة كاملة .

ثمن العدد بمصر : ١٠ قروش

مجلة الكاتب المصرى تعنى بكل ما يرد إليها من المقالات والرسائل ولكنها لا تلتزم نشرها ولا ردها

ادارة الكاتب المصرى

٥ شارع قنطرة الدكة بالقاهرة
تليفون التحرير : ٤٩٢٥٤
الادارة : ٤٥٠٣٤-٤٧٨١٥-٥٤٢٧٣



AL KATEB EL MASRI

Monthly literary magazine published by LE SCRIBE EGYPTIEN S.A.E.
5 Kantaret el Dekka Street
Cairo (Egypt)

Editor-in-chief : Taha Hussein





ربيع الثانى ١٣٦٧ — مـارس ١٩٤٨

السنـة الثالثـة — مجلد ٨ — عدد ٣٠

الدستور الايتالى الجديد

منـذ حررت روما فى أواخر سنة ١٩٤٤ تهيأت الأمة الايتالية لأخذ أسباب التنظيم الدستورى الذى يستدعيه انقضاء العهد الفاشى ؛ فكان ما كان من أمر قيام حكومة مؤقتة ، وانسحاب العاهل من تولى شؤون الملك ، وتنصيب ولى العهد وصيا ثم ملكا ، واستفتاء الشعب فى شكل الدولة فتقريره الجمهورية بدل الملكية ، وانتخاب جمعية تأسيسية لوضع الدستور . وقد استغرق ذلك كله ثلاث سنوات ؛ إذ صدر هذا الدستور الايتالى الجديد فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٤٧ ، ولم يبق لاستكمال أسباب ذلك التنظيم الدستورى غير إجراء الانتخابات البرلمانية الذى تحدد الثامن عشر من شهر أبريل المقبل موعداً له .

ولقد تميز انتقال إيتاليا من الملكية إلى الجمهورية بأنه لم يستند إلى كثرة جارفة أو متفوقة من أصوات المشتركين فى الاستفتـاء ، فقـد تجاوز عدد الجمهوريين عدد الملكيين بنسبة العشر ليس غير ، وكذلك تبين خلاله تعادل بين قوات المحافظين وقوات الحريين وقوات الشيوعيين ، فكان من شأن ذلك التميز وهذا التبين أن جاء الدستور الايتالى الجديد وسطا لا هو إلى أقصى اليمين ولا هو إلى أقصى اليسار ، بل نتيجة للتفاعل والتصالح بين التيارين جميعا .

ليس فيه نص مثلا على أن للدولة الايتالية دينا رسميا ، وليس فيه نص على إطلاق حرية الاعتقاد بصريح اللفظ والعبارة ، وإن كفلت فيه حرمة

حقوق الانسان . ولكن فيه نصوصاً على أن معاهدة لاتران هى التى تحدد العلاقات بين إيتاليا ودولة الفاتيكان وبين الايتاليين والكنيسة الكاثوليكية ، وعلى أن حرية العبادة مكفولة ، وأن إقامة الشعائر الدينية فى عموم مباحة ، وأن العلاقات مع سائر الأديان والطوائف تحددها اتفاقات خاصة .

وليس فيه نص صريح كما هو وارد فى الدستور السوفيتى أو الدستور البلغارى على محو الفروق وتوجيه النشاط الفردى ، وليس فيه إغفال لهذين الاعتبارين أصلا ، بل إن فيه تقريراً لحق المواطنين فى العمل وتشجيعا للأوضاع التى تعين على توفير هذا العمل ، وسعياً فى سبيل التغلب على العقبات الاقتصادية والاجتماعية « التى تحد فى الواقع » من حرية المواطنين ومساواتهم وتعوق استكمال الشخصية البشرية وتحول بين العاملين والمساهمة الفعالة فى تنظيم البلاد السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

وليس فيه نص على إلغاء الملكية الخاصة ، لكن فيه نصا على أن «الملكية عامة وخاصة » لا يجوز للاستثمار الخاص أن يتعارض مع « المنفعة الاجتماعية » أو أن يضار « الأمن العام والحرية والكرامة البشرية » ، كما ينبغى أن يحدد القانون أحكام « الرقابة اللازمة لتوجيه النشاط الاقتصادى العام ، والخاص » لأغراض اجتماعية .

والدستور الايتالى الجديد واقع فى مئة وتسع وثلاثين مادة موزعة على ديباجة « للمبادىء الأساسية » وكتابين خصص أولهما « لحقوق المواطنين ، وواجباتهم » وخصص ثانيهما « لكيان الجمهورية » ، تتلوها ثمانية عشر بندا « للأحكام الانتقالية » . وقد أعلنت المادة الأولى من مواده أن « إيتاليا جمهورية ديموقراطية تقوم على العمل ، والسلطان فيها للشعب يتولاه بالطرق وفى الحدود التى يقررها الدستور » ، كما أعلنت المواد التالية فى الديباجة أن الجمهورية تكفل حرمة حقوق الانسان منفرداً أو داخلا فى الهيئات الاجتماعية التى تبدو فيها شخصيته كما تقتضى تأدية واجباته نحو التضامن السياسى والاقتصادى والاجتماعى ؛ وتقرر المساواة بين المواطنين فى الكرامة الاجتماعية ولدى القانون دون تمييز بسبب النوع أو الجنس أو اللغة أو الآراء السياسية أو الأوضاع الشخصية والاجتماعية ؛ وتعترف لكل مواطن بحق بذل نشاط أو تولى منصب يتفق مع مقدرته و بمطلق اختياره ويستطيع أن

يعاون به على التقدم المادى والروحى للجماعة ؛ وتحمى الأقليات اللغوية ؛ وتنشر الثقافة والبحوث العلمية ، وترعى التراث الفنى والتاريخى للأمة ؛ وتنزل على أصول الفقه الدولى فى معاملة الأجانب فتلجئ عندها من يحرمون فى بلادهم التمتع بالحريات الديموقراطية التى يكفلها الدستور الايتالى ، وتحرم على نفسها تسليمهم من أجل جرائم سياسية ؛ وكذلك تطلق الحرب وسيلة من وسائل حل المنازعات الدولية ؛ وتقبل الحد من السيادة ، بالتساوى مع الدول الأخرى ، ضرورة من ضرورات المحافظة على السلام ، وتشجع المنظمات الدولية التى تهدف لهذه الأغراض .

ويجئ بعد الديباجة الكتاب الأول من الدستور وهو الخاص بحقوق المواطنين وواجباتهم ، وقد تميز هو الآخر بما يتميز به التفكير الايتالى من التنظيم والترتيب ؛ فقسم إلى أربعة أبواب : للعلاقات المدنيّة ، والعلاقات الخلقية الاجتماعية ، والعلاقات الاقتصادية ، والعلاقات السياسية .

وفى باب العلاقات المدنية نص على الحرية الشخصية التى لا يصح الحد منها إلا بسند مسبب صادر من السلطات القضائية ووفق أحكام القانون . على أنه يجوز فى حالات الاستثناء والاستعجال أن تلجأ سلطة الأمن العام الى إجراءات مؤقتة يجب عليها إبلاغها للسلطات القضائية فى ظرف أربع وعشرين ساعة ؛ فاذا لم تجزها هذه السلطات القضائية فى ظرف أربع وعشرين ساعة أخرى فانها تصبح ملغاة من تلقاء نفسها . وفى هذا الباب كذلك نصوص على أنواع الحريات المعروفة والحرمات المقررة لحرية الرأى والاعراب والصحافة والاجتماع وحرمة المنازل والمراسلات ، وهى نصوص مطابقة فى عمومها لما يرد عنها فى الدساتير السمحة المعروفة ، لكنها تتميز ببعض الطرافة فى بعض جوانبها ؛ فقد ورد فيها مثلا أن « القانون يقرر الحد الأقصى للحبس الاحتياطى » ؛ وأن للسلطات أن تمنع الاجتماعات العامة «لأسباب أمن مثبتة صحتها قبل المنع » ؛ وأن مصادرة الصحف غير جائزة إلا فى حالة الضرورة القصوى والاستعجال ، فيبلغ أمرها للقضاء فوراً فيصدر فيها حكمه فى اليوم ذاته ؛ وأن القانون ينظم طريقة معرفة وسائل تمويل الصحافة والمطبوعات الدورية ؛ وأنه لا يجوز أن يحرم شخص لأسباب سياسية أهليته أو جنسيته أو اسمه ؛ وأن عقوبة الاعدام غير جائزة إلا فى الحالات التى تنص عليها قوانين

الحرب العسكرية ؛ وأن سائر العقوبات لا يجوز أن تكون فى طبيعتها مخالفة لروح البشرية بل يجب أن تهدف إلى تقويم خلق المحكوم عليه .

وفى باب العلاقات الخلقية الاجتماعية نص على أن الجمهورية تعترف بحقوق الأسرة على اعتبارها « شركة طبيعية » قائمة على أساس الزواج ، بل يذهب إلى تقرير « وحدة الأسرة » بالنسبة لمن يجئ من الأطفال خارج الزواج : فيقرر المساواة بين الأطفال الشرعيين وغير الشرعيين . وكذلك تخص بعنايتها الأسر « العديدة » وتحمى الأمومة والطفولة والشباب ، وترعى الصحة على أنها «حق طبيعى للفرد ومصلحة للجماعة» ؛ فتكفل العلاج المجانى لغير القادرين . وينص فى هذا الباب أيضاً على أن « الفن والعلم حران وأن تعليمهما حر كذلك » ، كما نص على استقلال الجامعة ومعاهد التعليم العالى ، وعلى إلزامية التعليم ومجانيته لمدة ثمانى سنوات على الأقل ؛ وأولوية المتفوقين فى التمتع بالتعليم الأرقى وإن لم تكن لديهم وسائل الانفاق .

أما باب العلاقات الاقتصادية فانه يبدأ باعلان حماية الجمهورية العمل بجميع أنواعه وتطبيقاته ، وبتقرير حق العامل فى جزاء متناسب مع كمية عمله ونوعه وكاف على أى حال لحياته هو وأسرته حياة حرة كريمة ، وحقه فى الراحة يوما فى كل أسبوع وأيام الأعياد كلها بحيث تدفع له أجورها، ولا يحق له النزول عن هذه الأجور ولا عن تلك الراحة ، وحق المرأة العاملة فى المساواة بالرجل العامل وفى رعاية خاصة لها ولولدها أيام الحمل والرضاعة ؛ وحق غير القادر على العمل فى أن تتولاه الدولة بالرعاية ؛ وحق المريض والمصاب والمتعطل والشيخ فى التأمين الاجتماعى ؛ وحق العمال جميعا فى تأليف النقابات غير خاضعين إلا لشرط التسجيل الذى يتم بمجرد إيداع قانون النقابة ولائحتها الداخلية المستندة إلى القاعدة الديمقراطية .

وكذلك ينص فى باب العلاقات الاقتصادية على أن ينظم القانون التزامات يفرضها على الملكية العقارية الخاصة من حيث تعيين حدها الأقصى وإقامة الوحدات الانتاجية وتحويل الضياع الكبيرة وتشجيع الملكيات الصغيرة والمتوسطة ؛ كما ينظم وسائل إنماء الحركة التعاونية التى تعرف لها الجمهورية وظيفتها الاجتماعية ؛ ويضع قواعد مساهمة العمال فى إدارة المنشآت .

أما باب العلاقات السياسية فقد نص فيه على أن مباشرة عملية الانتخاب

« واجب وطنى » ، وأنها فرض على كل راشد من الرجال والنساء حتى الجنود والعسكريين ، وأن للمواطنين الحق المطلق فى الانضمام إلى الأحزاب السياسية ؛ كما أن القيام بالخدمة العسكرية فرض مقدس على كل مواطن ؛ وكذلك تأدية التكاليف المالية عن طريق الضرائب التصاعدية .

وفى الكتاب الثانى من الدستور الايتالى عرض للنظام البرلمانى الجديد ، وهو لا يبتعد كثيراً عما كان يجرى عليه العمل فى إيتاليا ذاتها قبل الانقلاب الفاشى . فالبرلمان مؤلف من مجلسين : مجلس للنواب ومجلس للشيوخ ، وتجرى لاختيار أعضائهما انتخابات عامة مباشرة وسرية ، وتكون سن الناخب للنواب إحدى وعشرين سنة على الأقل ، وتكون بالنسبة لانتخاب الشيوخ خمسا وعشرين على الأقل ، ويكون الحد الأدنى لسن المرشح لعضوية مجلس النواب خمسا وعشرين سنة ولمجلس الشيوخ أربعين . ونسبة التمثيل واحدا لثمانين ألفاً للنواب وواحداً لمئتى ألف للشيوخ ، ومدة التمثيل للنواب خمس سنوات وللشيوخ ست . على أنه يجوز أن يكون إلى جانب الشيوخ المنتخبين شيوخ معينون ولمدى الحياة هم بحكم القانون رؤساء الجمهورية السابقون وخمسة من المواطنين الذين « يفخر الوطن بنبوغهم فى ميادين الاجتماع والعلم والفن والأدب . »

ويستند التمثيل فى الدستور الايتالى الجديد إلى النظرية التقليدية التى تقضى بأن يكون النائب أو الشيخ ممثلا للأمة كلها ، فلا يصح محاسبة ناخبيه إياه مدة تمثيله ، فلا يذهب إلى حد الدستور السوفيتى أو الدستور البلغارى أو اليوجوسلافى الذى يجعل البرلمانى ممثلا لناخبيه بالذات فيمكنهم من محاسبته ومن « خلعه » أثناء الدورة التشريعية إذا شاءوا .

أما حق اقتراح التشريعات فهو محل طرافة من الطرافات التى تميز بها الدستور الايتالى الجديد . فهو للحكومة ولكل عضو من أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، ولكل هيئة من الهيئات التى يمنحها هذا الحق قانون دستورى ، وكذلك للشعب مباشرة عن طريق « عريضة » يتقدم بها خمسون ألف ناخب على الأقل .

على أن الدستور الجديد يأخذ بنظام الاستفتاء ، وهو الرجوع إلى الناخبين ليقولوا قولهم فى التشريعات ، وذلك بناء على طلب مقدم من خمسين

ألف ناخب كذلك أو من خمسة مجالس إقليمية . و إيتاليا مقسمة إلى تسعةعشر إقليما ، وذلك فيما عدا التشريعات الخاصة بالضرائب والميزانية والعفـــو ، والمعاهدات الدولية . ويساهم فى إجراء الاستفتاء من له حق الاشتراك فى الانتخاب لمجلس النواب .

ويأخذ الدستور الايتالى بنظرية « التفويض التشريعى » على أن يمنح للحكومة وحدها ولحالات معينة بالذات ولوقت محدد . وكذلك يأخذ بنظام إصدار المراسيم بقوانين فى غيبة البرلمان ، لكن بشرط أن يدعى البرلمان للانعقاد لنظرها بعد خمسة أيام على الأكثر من تاريخ إصدارها وبحيث تصبح باطلة إذا لم يقرها البرلمان فى ظرف ستين يوما من تاريخ عرضها عليه .

وخاصية من خاصيات الدستور الايتالى الجديد أنه يبيح « تعديل الأراضى الايتالية » بقانون ، على حين تنص كثرة الدساتير الأخرى على عدم جواز « النزول عن شبر من أراضى الدولة » . ولعل هذه الخاصية ترجع إلى خصوص الوضع الايتالى بعد الخروج من الحرب وتعديل التخوم المفروض بمعاهدة الصلح من ناحية فرنسا ومن ناحية يوجوسلافيا ووجوب إبرام هذه المعاهدة عن طريق التشريع الايتالى .

ومن طرائف الدستور الجديد أيضا ألا يحل البرلمان إلا بعد أخذ رأى رئيسى مجلسيه ، وألا يستطاع حله فى الستة الأشهر الباقية على انتهاء مدته التشريعية .

أما مناصب الدولة الايتالية الجديدة ففى مقدمتها منصب « رئيس الجمهورية » ، ويجئ توليه عن طريق الانتخاب فى جلسة مشتركة تجمع بين أعضاء مجلسى النواب والشيوخ وسبعة وخمسين مندوبا عن مجالس الأقاليم يبعث كل واحد منها بثلاثة تحقيقا لتمثيل اتجاهات الأقليات التى لم تفز بالتمثيل البرلمانى عن طريق الانتخابات العامة . ويشترط لصحة الانتخاب أن يتوافر فيه ثلثا الأصوات ، فاذا لم يتوافر هذا العدد أعيد الانتخاب مرة أخرى ، فان لم تتوافر كثرة الثلثين أعيد للمرة الثالثة واكتفى فيها بالكثرة المطلقة وهى كثرة ما بعد النصف .

والحد الأدنى للسن الذى يجب أن يتوافر فى المرشح لرياسة الجمهورية هو الخمسون . ومدة انتخاب الرئيس سبع سنوات ، ويحل محله فى حالة الاستقالة

والامتناع رئيس مجلس الشيوخ . ولا يسأل رئيس الجمهورية إلا فى حالة الخيانة العظمى وفى حالة الاعتداء على الدستور ، ويحاكم فى الحالتين أمام البرلمان بمجلسيه مجتمعين ويصدر الحكم بالكثرة المطلقة .

أما رئيس الوزارة فينتخبه رئيس الجمهورية ، وهو يختار زملاءه الوزراء الذين يعينهم رئيس الجمهورية كذلك . لكن الوزارة لا تتولى الحكم إلا بعد أن تنال ثقة المجلسين ، وتظل مسئولة أمامهما .

وإلى جانب هيئة الوزارة يقوم مجلس أعلى للاقتصاد والعمل ، وهو مجلس استشارى لمجلسى البرلمان وللحكومة ، وكذلك مجلس دولة وديوان محاسبة ، وينص الدستور على استقلال هذه المجالس جميعا .

وينص الدستور كذلك على وجود مجلس قضاء أعلى يرأسه رئيس الجمهورية بالذات ويختص بترقية القضاة وتنقلاتهم . أما تعيينهم فينص الدستور على استناده إلى نظام الاختبار والمسابقة ، وهم جميعا غير قابلين للعزل .

ويذكر الدستور الايتالى فيما يذكر من أنظمة الدولة المحكمة الدستورية وهى مختصة بالنظر فى دستورية القوانين والأوامر التى لها قوة القانون ، وفى مسائل تنازع الاختصاص بين الحكومة والأقاليم وفيما بين الأقاليم نفسها ، وكذلك فى الاتهامات الموجهة لرئيس الجمهورية وللوزراء . وتؤلف هذه المحكمة من خمسة عشر عضواً يعين رئيس الجمهورية ثلثهم وينتخب البرلمان ثلثهم ويختار مجلس القضاء من بين القضاة ثلثهم الباقى . وتكون أحكامها نهائية وتنفذ فى اليوم التالى لاصدارها .

ويتجلى آخر الأمر مبدأ التوفيق بين التقليد والتجديد الذى يتميز به الدستور الايتالى الجديد فى صدد الأحكام الخاصة بتنقيح الدستور . فلكل مجلس من المجلسين أن يقترح تعديل الدستور ، لكن يجب أن تجرى فى موضوع التعديل مناقشتان ينقضى بينهما ثلاثة أشهر على الأقل ويصدر فيهما الرأى بالكثرة المطلقة . ويجب بعد ذلك أن تعرض القوانين الصادرة بالتعديل على الاستفتاء الشعبى ، إلا إذا كانت هذه القوانين قد توافرت فى إقرارها كثرة الثلثين فى كل من مجلسى النواب والشيوخ . على أنه لا يجوز أن يكون شكل الدولة الجمهورى محل تنقيح بحال .

محمود عزمى

التعاون الدولى فى الميدان الاقتصادى

تنادى المبادئ الأولية لعلم الاقتصاد بأهمية التعاون بين أفراد الأمة الواحدة وبين أمم العالم المختلفة لكى تتحقق للأفراد وللأمم فوائد « تقسيم العمل » كاملة ؛ إذ يتباين الأفراد فى المواهب وكذلك الأمم تختلف فى مواردها الطبيعية . وكلا الأمرين يستتبع أن يتخصص كل امرئ فيما وهب له فيه أكبر المزايا ، ثم يتبادل نتائج الجميع جهودهم ، فيستمتع أبناء المجتمع الواحد بالمزايا الناجمة عن التخصص وتبادل المنافع ، ويستفيد العالم طراً من فوائد تركيز جهود كل مجتمع من مجتمعاته فى نواحى النشاط الاقتصادى التى يتوافر له فيها ميزات خاصة ، ثم تتبادل المنافع أيضاً بين دول العالم بما يحقق لها أكبر قسط من الرفاهية .

هذه هى أوليات مبادئ الاقتصاد . ولاشك فى أنه لو توافر لدى بلاد العالم المختلفة الاستعداد الطيب لتطبيقها باخلاص وشجاعة لكتب التاريخ صفحة مغايرة لما نشاهده الآن . والأمثلة الدالة على تلك الحقيقة كثيرة ، يكفينى هنا تقديم واحد منها لما فيه من كبير الدلالة على ما يمكن تحقيقه من مزايا بالتعاون بين الدول فى الميدان الاقتصادى . ففى سنة ١٩٤٦ ذهبت بعثة من المهندسين البريطانيين إلى النرويج لدراسة موضوع نقل القوى الكهربائية وبصفة خاصة الاحتمالات المختلفة لنقل القوة الكهربائية الأيدروليكية من النرويج إلى بريطانيا بوساطة سلك (كابل) تحت سطح مياه البحر الشمالى .

ثم أصدرت حكومة النرويج كتاباً أبيض عن الاحتمالات العملية لتصدير القوة الكهربائية الزائدة عن حاجة النرويج إلى بريطانيا . وتتبين أهمية هذا المشروع لو عرف أن مجموع مصادر القوة الكهربائية فى النرويج التى يمكنها إعطاء ثمانين ألف مليون من « ساعات الكيلو وات » فى العالم لم يكن قد استغل منها سوى ١٣,٧٥٠ مليون أو ١٦ فى المائة فقط من المجموع . ويفرض أن التوسع فى استعمال الكهرباء لأغراض النرويج نفسها يحتاج إلى مثل هذا

الرقم فان الباقى (أكثر من خمسين ألف مليون) يوازى ثلثى القدرة الانتاجية الاحتمالية للنرويج ، إذا ما أريد الاستفادة منه فلا بد من نقله إلى خارج تلك البلاد .

وليس نقل القوى الكهربائية إلى خارج حدود البلاد المنتجة لها جديداً ؛ فالدنمارك تستورد الكهرباء من السويد ، وسويسرا تصدر كمية كبيرة من الكهرباء إلى فرنسا وإلى ألمانيا، كما أن نقل الكهرباء مسافات شاسعة (كالمسافة بين النرويج وبين بريطانيا) لا يخرجها عن دائرة الاحتمالات الاقتصادية الناجحة .

ولكن الاعتبارات الاقتصادية ليست وحدها — مع كل أسف — هى التى توجه سياسات الدول ، بل لعلها ليست أهم العوامل التى تسيطر على تلك السياسات ؛ فهناك النزعات الوطنية الضيقة الأفق وما يقترن بها من تنافس بين دول العالم وشعوبه . وكثيراً ماطغت تلك الاعتبارات على العوامل الاقتصادية البحتة فجذبت الدول بعيداً عن الطرق التى فيها مصلحتها الأكيدة إلى طرق غيرها محفوفة بأشد المخاطر . ولقد أثبتت حوادث التاريخ أن المحن القاسية التى صادفتها شعوب العالم من جراء تجاهل العوامل الاقتصادية لم تفلح فى شفاء تلك الشعوب من أحقادها المتأصلة ولا فى تنبيهها إلى خطر السياسات التى تدفع بها إليها نزعاتها الوطنية . ولسنا فى حاجة إلى أمثلة جديدة على صدق مانزعم ؛ فان فى مقدمة الأسباب التى تذكر للاعتراض على مشروع نقل القوة الكهربائية من النرويج إلى بريطانيا — مع زيادتها عن حاجة الأولى ومسيس حاجة الثانية إليها — أن الدولة الموردة للقوة قد تقطعها عن الدولة المستوردة لها إذا توترت العلاقات بينهما ، وأن القوة قد توقف بالمرة فى حالة اغارة دولة أجنبية على البلد المورد لها أو اعتداء غواصات بلد معاد على الأسلاك الملقاة فى بحر الشمال .

أمثال هذه الصعوبات كفيلة بشل فكرة التعاون بين دول العالم ، ولكن الحربين القاسيتين اللتين ذاق العالم مرارتهما فى نصف قرن واحد قد حفزتا الدول إلى بذل بعض المحاولات للتقريب بين شعوبها فى الميدان الاقتصادى لما يرجى من هذا التقريب من فوائد للمجموع وعلى أمل أن يترتب على التقرب بين الدول إضعاف العوامل المسببة للحروب .

بذلت الجهود فى أعقاب الحرب العالمية الأولى لتحقيق التعاون بين الدول فى الميدان الاقتصادى . فما كاد مجلس عصبة الأمم يبدأ عمله فى نوفمبر من عام ١٩٢٠ حتى شكل اللجنتين المالية والاقتصادية ، بل لم تنتظر الولايات المتحدة أن تبدأ اللجنتان عملهما فقدمت إلى النمسا ما تحتاج إليه من مساعدات. غير أن هذه الروح الطيبة لم تستمر طويلا إذ لم يصادق الكونجرس على معاهدة الصلح (فرساى) وعلى ميثاق عصبة الأمم ، وتركت الولايات المتحدة أوربا لمواردها وجهودها الخاصة لمعالجة ما خلفته الحرب من تركة ثقيلة — دمار شامل فى شمال فرنسا ، وخسائر كبيرة فى رأسمال ألمانيا البشرى والحيوانى بما خسرته فى الحرب من أرواح وما سلخ عنها من مقاطعات غنية ومستعمرات وما فقدته من أسطولها التجارى ، وجوع وفاقة فى النمسا ، واضطراب اجتماعى فى المجر . هذه أمثلة من المسائل الاقتصادية الخطيرة التى تركت أوربا لمعالجتها بوسائلها الخاصة ودون اعتماد على مساعدة من الخارج ، وبخاصة من الولايات المتحدة ، لا بل أصرت تلك الدولة الكبيرة على وضع حد للتنظيمات الدولية فى الميدان الاقتصادى التى اقتضتها ظروف الحرب ، فأبطل إشراف الحلفاء على التجارة الدولية وعلى توزيع الخامات والأغذية . ومع أن المجلس الاقتصادى الأعلى استمر بعض الوقت ، فقد عدل عن النظام الدولى لتوجيه وتنظيم الانتاج والتبادل الذى ساد بين الفريقين المتحاربين ، وعاد العالم إلى فوضى المنافسة القديمة بين الدول التى ازدادت سوءاً بازدياد الأفكار الوطنية وانهيار عملات معظم البلاد الأوربية .

هكذا كانت الحال إلى سنة ١٩٢٢ عندما بدأت الجهود لدعم اقتصاد شرق أوربا ووسطها . وكان البادئ بالفكرة مستر لويد جورج الذى وضع مشروعا لانشاء هيئة مالية دولية تستعمل أموالها فى تعمير شرق أوربا والروسيا ، وكان كبير وزراء بريطانيا يفكر أيضاً فى تخصيص جانب من أموال التعويضات لذلك الغرض . ولقد وفق لويد جورج فى جذب بريان إلى جانبه لولا أن تدخل مليران رئيس الجمهورية ، ولم ينقذ الموقف سوى اقتراح عقد مؤتمر لبحث الفكرة ، وقد عقد فى جنوا ولكنه لم يعقد تحت كنف عصبة الأمم . وقد كان لموقف فرنسا وبلجيكا فى المؤتمر أثره فى الاخفاق الذى أصابه؛ إذ خشيتا أن يكون الغرض منه تعديل التعويضات ولذلك أثارتا موضوع ديون الروسيا ، وفى

الوقت نفسه قاومتا بكل شدة الاعتراف بها . كان لذلك الموقف نتيجة أخرى ، هى التقريب بين الروسيا وبين ألمانيا الذى انتهى بعقد معاهدة رابالو ومن مقتضاها أن ينزل كل من الطرفين عما يطالب به الآخر من ديون وتعويضات ، فساعدتا بذلك على تنمية التجارة بينهما .

أما عصبة الأمم فقد بدأت من جانبها عمليات الانقاذ المالى باعفاء النمسا من التزاماتها الخاصة بالتعويضات لمدة عشرين سنة ، وبالافراج عن الأصول النمساوية المرهونة ، ثم بتقديم قرض دولى مقداره ٢٧ مليون جنيه استرلينى لتغطية العجز فى ميزانياتها . وتلا تلك العملية المالية عملية أخرى شبيهة بها فى المجر ، وكذلك مساعدة استونيا على وضع عملتها على أساس الذهب . وقد وضعت أسس تلك العمليات المالية فى المؤتمر النقدى الذى عقد فى « بروكسل » فى سنة ١٩٢٠ . كما أن موضوع التعويضات عولج بشىء من التقدير العملى فى مشروع داوز .

ولكن تلك الجهود الطيبة نحو التعاون والتفاهم بين الدول فى الميدان الاقتصادى لم تخل من نزعات مضادة فى بعض الأحيان كاحتلال فرنسا للرور فى بداية عام ١٩٢٣ وميل كثير من الدول إلى الاستكفاء الاقتصادى . غير أن عام ١٩٢٤ سجل من جديد الرغبة بين الدول فى التعاون، وساعد هذا الاتجاه الجديد قيام حكومات من اليسار وبخاصة فى بريطانيا وفى فرنسا،حتى إنه يمكن اعتبار عام ١٩٢٤ بداية عهد من الرغد بلغ قمته فى سنة ١٩٢٧ ومع ذلك فقد ظل رجال الاقتصاد فى خشية من نتائج الاتجاهات الوطنية القوية التى كانت تدفع الدول إلى محاولة استغناء بعضها عن بعض فى ميدان الاقتصاد وما تستتبعه تلك السياسة من زيادة الحواجز الجمركية باطراد . ولذلك دعت عصبة الأمم إلى مؤتمر اقتصادى عقد فى جنيف فى تلك السنة بعد أن مهدت له تمهيداً كافياً ، وقد تمخض عن شبه اجماع على ضرورة اتجاه العالم بالتراضى نحو قدر أكبر من حرية التجارة . سجل المؤتمر ذلك الاجماع ولكنه لم يتعد تلك المظاهرة الرائعة ؛ إذ لم تنجح الجهود التى بذلت فى أعقابه لعقد هدنة بين الدول فى شؤون التعريفة الجمركية تتفادى بها أية زيادات فى المستقبل ،فكأن نجاح المؤتمر قد اقتصر على التفاهم الذى تم فى داخله ولكن لم يكن له أثره — مع الأسف — فى سياسة الحكومات ، وبالتالى لم تكن له أية نتيجة عملية .

استمر الرخاء إلى سنة ١٩٢٩ حيث بدأ رد الفعل، فشاهد العالم فى السنوات التالية موجة من الضيق الاقتصادى لم يعرف حدتها من قبل، وكان للتعويضات وديون الحرب أثرها فى اشتداد الأزمة التى كان من مظاهرها أن ستين فى المائة من ذهب العالم تكدس فى خزائن البنكين المركزيين فى باريس ونيويورك. ولما كان الفساد قد استفحل إلى حد لا تتسنى معالجته وبخاصة مع الروح السائدة بين شعوب العالم، فقد أخفقت الجهود التى بذلت لوقف تيار الانهيار الاقتصادى وبخاصة مشروع ينج للتعويضات والمؤتمر الاقتصادى الدولى بلندن فى سنة ١٩٣٣، وظل العالم يتعثر فى خطواته إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية بعد مرور أقل من واحد وعشرين عاما على انتهاء الحرب العالمية الأولى، وعاد التاريخ يكتب الصفحة القديمة من جديد: انقسام العالم إلى كتلتين متطاحنتين، ومحاولة المسئولين الافادة من دروس الماضى ووضع الأسس المتينة لتعاون مجد بين الدول، ثم ظهور العقبات القديمة: الأنانية والتنافس بين الأمم وما يصحبهما من سياسات وطنية ضيقة الأفق قصيرة النظر، واخفاق الجهود التى بذلت لمعالجة صعوبات العالم على أساس دولى.

بدأ التعاون بين ما سمى الديمقراطيات من قبل دخول أمريكا الحرب بالفعل إلى جانب بريطانيا، وتطور من تقدم السلع والمهمات مقابل اقتضاء قيمها كاملة إلى نوع من المساعدة المجانية تقريباً سميت «الاعارة والتأجير» وهذه تطورت بدورها إلى مساعدة أكثر سخاء سميت «الاعانة والتعمير» وقد انتهت الأخيرة وبشكل فجائى بمجرد انتهاء الحرب فى اليابان.

ولكن تنظيمات من نوع آخر بدأت تتخذ شكلا عمليا فى سنة ١٩٤٤ باتفاقية بريتن وودز التى تضمنت ميثاق صندوق النقد الدولى. والغرض منه معاونة الدول المشتركة فيه على ملافاة الصعوبات المرتبطة بالتبادل التجارى وبشؤون العملة والبنك الدولى للانشاء والتعمير الذى ينم اسمه بشكل واضح عن الغرض من إنشائه.

وما كادت الحرب تنتهى حتى عاد التفكير إلى تنظيم التجارة بين الدول على أساس التجارة المتعددة النواحى، والحد من القيود المفروضة على التجارة. ولقد قاد هذه الحركة الولايات المتحدة مع أنها الدولة التى تزعمت حركة وضع القيود على تجارة الدول الأخرى؛ فوضعت مشروع ميثاق لمؤسسة جديدة

للتجارة الدولية اتخذ الخطوات التقليدية : لجنة تحضيرية فى لندن التأمت فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ ثم لجنة تحرير فى نيويورك فى يناير سنة ١٩٤٧ ثم اللجنة التحضيرية مرة أخرى فى جنيف فى أبريل إلى سبتمبر سنة ١٩٤٧ وها هو ذا المؤتمر الدولى مازال منعقداً فى هافانا منذ نوفمبر الماضى لاقرار الصيغة النهائية للميثاق ، وهو محفوف بأشد المخاطر من جراء التباين الظاهر بين مصالح مجموعات الدول المساهمة فيه ، فضلا عن أنه بدأ بداية عرجاء بسبب مقاطعة الروسيا وصديقاتها من الدول له .

هذه هى خلاصة الجهود التى بذلت من قبل نهاية الحرب العالمية الأخيرة لتنظيم شؤون العالم فى الميدان الاقتصادى — جهود قيمة ولا شك يستحق القائمون بها ثناء شعوب العالم وعرفانهم للجميل . ولكن المتتبع لسير الحوادث منذ نهاية الحرب لا يلبث أن يساوره الكثير من الشك فى نجاح المؤسسات التى بذلت تلك الجهود الكبيرة فى وضع مواثيقها ، لا لعيب فى تلك المواثيق بل لأن الأمم عادت سيرتها الأولى ونسيت الدروس القاسية التى ألقتها عليها الحرب العوان الأخيرة ولما يمض على نهايتها أكثر من عامين ونصف عام . هكذا كانت سنة الانسان منذ القدم ، وهكذا ستظل حاله فيما يبدو لى ، تطغى الاعتبارات القومية والسياسية لديه على كل اعتبار آخر مهما كانت أهميته ، فيتجاهل المبادئ السامية والمؤسسات الدولية الجليلة الشأن التى ساهم فى وضع أنظمتها . هذا واضح أينما قلبنا النظر ؛ فالانشاء والتعمير ساهم واضعو ميثاق مؤسسته الدولية أنفسهم فى تخطيها والاعتداء على اختصاصها . ودليلى على ذلك مشروع مارشال الذى كثر الحديث عنه أخيراً والذى مازال مآله فى ميزان القدر ، وهو الذى قسم العالم إلى كتلتين : غربية وسلافية . أليس مايهدف إليه الأمريكان بمشروعهم داخلا فى صميم اختصاص البنك الدولى للانشاء والتعمير الذى كانوا أصحاب الفكرة فى تأسيسه ؟ إذن ما الذى حدا بهم إلى أن ينحّوه جانباً ويضعوا مشروعاً للتعمير اقتصر فى النهاية على ست عشرة دولة من بين دول أوربا ؟ وما الحكمة فى هذا الازدواج ؟ وفى تجاهل المؤسسة القائمة ؟ وحتى بفرض أنه سيعهد فى النهاية إلى البنك الدولى بتنفيذ بعض المشروعات المقترحة فان هذا لا ينفى أن القائمين بمشروع مارشال لم يسلكوا الخطة القويمة بطرح فكرتهم على البنك الدولى وبحثها عن طريقه .

وصندوق النقد الدولى ما الذى أفاد منه العالم ؟ لقد كان نصيب آرائه التجاهل بل التحدى على طول الخط ؛ فحيثما أوفد البعثات إلى بعض أعضائه وأشارت بخفض نقدهم كان نصيب تلك البعثات اللوم الشديد من حكومات البلاد التى أوفدت إليها . وحيثما عارض فى الاجراءات التى ارتآها بعض الأعضاء — كفرنسا أخيراً التى نظمت سوقين لعملتها — كان نصيب معارضته التحدى أيضاً .

وهل يرجى للمؤسسة الثالثة — هيئة التجارة الدولية — وهى ستتعرض لشؤون أكثر مساساً بالنزعات الوطنية من الشؤون التى تتناولها المؤسستان السالفتا الذكر ، هل يرجى لها مصير خير من مصير شقيقتيها ؟

الواقع أن سير الحوادث فى السنتين الأخيرتين لا يبشر بنجاح الجهود الدولية التى تبذل لتنظيم شؤون العالم ، حتى لو انصب التنظيم على المسائل الاقتصادية لما لها من ارتباط وثيق بالاعتبارات القومية والسياسية التى لم تظهر شعوب العالم بعدُ استعداداً كافياً لطرحها جانباً وللافادة من المزايا الجمة التى يحققها التعاون بين الأمم ، كما يحقق التعاون بين أفراد الأمة الواحدة الخير لهم جميعا .

ويجب ألا نتوقع أن تكون المؤسسات الأخرى المختصة بتنظيم شؤون العالم الاقتصادية والاجتماعية أوفر حظا من المؤسسات المتقدمة الذكر ؛ فقد أنشئ المجلس الاقتصادى والاجتماعى وأنشأ هو بدوره لجاناً للشؤون الاقتصادية فى الشرق الأقصى وفى أوربا وفى أمريكا الجنوبية ، وهو الآن بصدد اقتراح تشكيل لجنة اقتصادية للشرق الأوسط : لم يحسس العالم بعد بفوائد تلك المؤسسات وتلك اللجان ، إنما طغى على نشاطها ذلك الخلاف والعراك المستحكمان بين دول العالم بل بين أفراد الدولة الواحدة ! فما الذى يرجى عمله فى الصين التى أغرقتها الولايات المتحدة بمئات الملايين من الدولارات الأمريكية — والحال أن أبناءها انقسموا إلى شعبتين تقتتلان علناً ويؤيد كلا منهما إحدى الدول الكبرى . فهناك الجيش الشيوعى وتشمل مناطق نفوذه جزءاً كبيراً من شمال الصين ووراءه الروسيا تؤيده وتساعده . وهناك حكومة نانكين ومن ورائها الولايات المتحدة أو لقد كانت كذلك إلى عهد قريب . والانقسام مازال ضارباً أطنابه فى جزر الهند الشرقية وفى الهند الفرنسية بل فى الهند نفسها ، فما الذى يرجى من لجنة اقتصادية لتلك المنطقة الشاسعة وسط هذه

الظروف سوى الظهور بالقصور والعجز ثم الاخفاق التام فى النهاية ؟

وهل يتصور أن يكون مصير لجنة أوربا غير هذا المصير والحال كما نرى؟ تكتل فى الشرق يقابله مثله فى الغرب ، ونزاع حول المبادئ الاجتماعية فى داخل بعض الدول : فى الشرق وفى الغرب سواء ؛ فهو ظاهر فى اليونان ظهوره فى إيطاليا وفى فرنسا ، كما أن الاعتبارات السياسية تقحم إقحاما فى الشؤون الاقتصادية ، هذا ظاهر أيضاً برغم مايبذل من جهود لاخفائه والاقلال من خطره ، و إلا فلماذا نبتت — وقت بحث مشروع مارشال فى الكونجرس — فكرة اتحاد سياسى لغرب أوربا يمتد إلى سكندناوة نفسها ؟ وبطبيعة الحال بدأت تستبين نتائج إقحام الفكرة السياسية فى المشروعات الاقتصادية ، فأظهرت دول سكندناوة نفورها من الانضمام إلى اتحاد سياسى ، وأظهرت هولاندة وبلجيكا ولوكسمبرج خشيتها من حلف يظن أنه موجه ضد ألمانيا .

ويجب ألا نتوقع فى الظروف الحالية خيراً من هذا المصير للجنة التى يقترح انشاؤها للشرق الأوسط مادامت النزعات السياسية المتعارضة تتجاذبه شرقاً وغرباً ، فى ايران وفى العراق وفى تركيا واليونان وغيرها من بلاد تلك المنطقة .

ليس يرجى للعالم خلاص من الأزمات الحالة به إذا لم يطرح جانبا التفكير الضيق الأفق والناشئ من تشبثه بالأنانية الوطنية . ليس يرجى صلاح العالم دوليا إذا لم يكن تفكيره دوليا و إذا لم يترك الجدل حول المبادئ الاجتماعية للمؤسسات الداخلية للدول المختلفة . ولكن هل فى وسع الشيوعى فى الروسيا وفى البلادالأخرى التى تدين شعوبها بالفكرة الشيوعية، والاشتراكى فى بريطانيا وغيرها من البلاد التى تتولى شؤونها حكومات اشتراكية،وصاحب المبادئ الانفرادية فى البلاد التى مازالت ترى خيرها فى ذلك النظام — هل فى وسع هؤلاء وأولئك على تباين مشاربهم واختلاف مبادئهم أن يضع بعضهم يده فى يد البعض الآخر فى الشؤون الدولية التى يعود التعاون فيها بالخير العميم على الجميع ؟ إننا لو بنينا الآمال على احتمال ذلك لطالبنا العالم بما هو فوق مقدوره ، ولكن من يدرى ! فلعل السنين القادمة أن تأتى بما نعتبره نحن من المعجزات .

محمود الدرويش

فى أفق السياسة العالمية

اتحاد الأراضى المنخفضة أو البنلكس

لم يبق الآن شك فى أن العالم الذى خلفته الحرب العالمية الثانية سائر سيرا حثيثا نحو التكتل الاقتصادى والسياسى ، وأن الجهود التى بذلها الساسة والمفكرون منذ الحرب العالمية الأولى فى سبيل ربط شعوب العالم فى اتحاد عالمى واحد قد تعثرت ولم يقدر لها النجاح ، لا لخطأ فى الفكرة أو لقصور فى همة القائمين على تنفيذها ، بل لأن الوحدة فى ذاتها لا يمكن أن تتم طفرة ، وأنه لا بد من التدرج حتى يمكن تنسيق العناصر التى تتكون منها الوحدة فتتآلف أجزاؤها ويسهل ربطها جميعا فى نظام واحد أو هيئة واحدة . وقد ينقضى وقت طويل قبل أن تنضج فكرة الوحدة السياسية بين الدول وينشأ رأى عام عالمى يستند إليه الاتحاد فى تنفيذ قراراته .

وليست فكرة الوحدة العالمية السياسية بأقل خطرا من مبدأ التسامح الدينى أو مبدأ الوحدة القومية ، وقد انقضت قرون وأجيال دارت فيها رحى الحروب حامية بين أبناء الوطن الواحد وبين أصحاب المذاهب المختلفة قبل أن تعترف الحكومات بحق الأفراد فى اعتناق المذاهب التى شبوا عليها والتى ورثوها عن آبائهم ، وانطوت عليها قلوبهم وجوانحهم . ومن أجل تحقيق مبدأ الوحدات القومية قامت فى القرنين الأخيرين حروب طويلة بين الشعوب المغلوبة على أمرها وبين الدول الغاصبة لحقوقها . ومع ذلك فاننا لا نزال نرى فى العالم أثر التعصب الدينى باقيا فى كثير من الدول حتى اليوم ، ولا تزال هناك شعوب لا تتمتع بكامل حقوقها وقد حرمتها القوة لمّ شعثها وتحقيق استقلالها ووحدتها . لذلك كان طبيعيا أن تتحول فكرة الاتحاد العالمى إلى عناصرها الأولى ، فتسعى الشعوب أولا إلى استكمال حرياتها ووحداتها القومية ، فاذا تم لها ذلك دعتها غريزة التماسك والدفاع عن النفس إلى الاشتراك — كل مع مثيله — فى صيانة استقلالها والنهوض بمصالحها سياسية

كانت أو اقتصادية أو اجتماعية . ولم تكن دلائل هذا الاتجاه نحو التكتل خافية على واضعى ميثاق هيئة الأمم المتحدة . فقد جاء فى المادة الخامسة والخمسين من الميثاق : « ليس فى هذا الميثاق شئ يحول دون وجود تنظيمات أو مكاتب إقليمية تعالج المسائل المتعلقة بتوطيد السلم والأمن الدوليين بما يتناسب والعمل الذى يقوم به هذا الاقليم ، بشرط أن تتفق أعمال هذه التنظيمات وأغراض الهيئة ومبادئها . » ومع أن واضعى الميثاق لم يواجهوا فى هذه المادة الأهداف والعوامل الاقتصادية التى لا بد أن تتحكم عند ما تأتلف الشعوب لتكوين هذه التنظيمات ، فان الأحداث التى حلت بالعالم منذ انتهاء الحرب قد أقنعت الشعوب والحكومات بضرورة تغليب الاقتصاديات على الدواعى السياسية . وليس أدل على ذلك من مشروع اتحاد غرب أوربا الذى أعلنه مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا فى الشهر الماضى ليوازن به أثر الكتلة الشرقية فى شرق أوربا ووسطها . وقد صرح مستر بيفن بأن اتحاد غرب أوربا لن يكون اتحادا سياسيا بل سيكون اتحادا اقتصاديا من شأنه أن يساعد على توثيق الصلات بين الدول الديمقراطية الغربية . ولابد أن يكون مستر بيفن قد استعرض فى ذهنه وهو يضع مشروعه اتحاد الأراضى المنخفضة وميثاق جامعة الدول العربية والرابطة التى تجمع بين جمهوريات أمريكا . وأهم هذه الاتحادات غير منازع هو اتحاد الأراضى المنخفضة أو البنلكس Benelux والباء مأخوذة من بلجيكا ، والنون من النذرلند أو هولندة ، ولكس من الكسمبورج . وحكاية ربط هذه الأقالم الثلاثة فى اتحاد واحد قديمة ترجع إلى مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ حين اجتمعت الدول عقب الحروب النابليونية لتأمين السلام العام فى أوربا ومنع قيام الثورات أو الحروب التى تهدد العروش وتعرض الشعوب للشقاء والدمار . ولما كانت فرنسا فى نظر الدول حينذاك هى مصدر العدوان والثورات فقد راعى الساسة أن يسدوا عليها الطرق والمنافذ ، وذلك بتقوية الحدود التى تفصلها عن أوربا ؛ فكان أن قرروا ضم بلجيكا إلى هولندة وتنصيب وليم الأول صاحب أورانج ملكا على الأراضى المنخفضة . ومع أن أوجه الخلاف بين الاقليمين كانت مادية مشهورة ، فان المؤتمرين فى فينا ظنوا أنهم قد أحسنوا صنعا بضم بلاد صناعية مثل بلجيكا إلى بلاد زراعية تجارية استعمارية مثل هولندة . ولم يكن فى وسع الدول

حينذاك ، وتلك كانت أغراضها ، أن تفعل غير ذلك ، لاسيما أن انجلترا كانت تعتبر ميناء أنفرس فى بلجيكا « مدفعا مصوبا نحو قلب لندرة » وتأبى لذلك أن تكون بلجيكا بين إحدى الدول الكبرى مثل فرنسا أو النمسا كما كانت أولا .

غير أن العوامل الاقتصادية التى ساعدت على توحيد الاقليمين لم تصرف أهل بلجيكا عن التفكير فى مصالحهم الوطنية والعمل لاسترداد استقلالهم والتمتع بالمزايا الاجتماعية التى كسبوها من فرنسا فى أثناء الاحتلال النابليونى. ولذلك ما كادت تهب ثورة سنة ١٨٣٠ فى فرنسا حتى انتهز البلجيكيون الفرصة فثاروا هم أيضا مطالبين بالاستقلال عن هولندة .

وكان من حسن طالع بلجيكا أن الدول الكبرى قد شغلت عن ثورتها بمتاعبها التى نشأت فى بلادها ؛ فقد نشبت حينذاك ثورة فى بولندة وكانت تابعة لروسيا ، وقامت فى إيطاليا ثورات شغلت بها النمسا ، وكذلك قامت فى انجلترا أول حركة للاصلاح الانتخابى . وقد كان كل ما يهم انجلترا من بلجيكا ألا تضمها فرنسا إلى بلادها ، فبادر الوزير الفرنسى الشهير تاليران إلى طمأنة انجلترا من تلك الناحية . وعلى ذلك انعقد مؤتمر دولى فى لندن سنة ١٨٣١ قرر استقلال بلجيكا وحيدتها وانفصالها عن التاج الهولندى ، وبقيت هولندة تنكر هذا الاستقلال ومعها روسيا والنمسا وبروسيا حتى سنة ١٨٣٩ حين أقر الجميع استقلال بلجيكا . وقد كان لدوقية لكسمبورج وضع خاص ؛ إذ بينما قرر مؤتمر فينا ضمها إلى وليم الأول ملك الأراضى المنخفضة أبقاها فى الوقت نفسه داخلة فى نطاق الاتحاد الألمانى . فلما قامت الثورة فى بلجيكا وتقرر انفصالها عن هولندة ثارت لكسمبورج أيضا على ملك هولندة وطالبت بالانضمام إلى بلجيكا ، ولكن الدول رأت تقسيم الدوقية إلى منطقتين ضمت الغربية منهما إلى بلجيكا وبقيت المنطقة الشرقية لملك الأراضى المنخفضة وتابعة للاتحاد الألمانى . حتى إذا أنشأت بروسيا نظام الزلفرين أو الاتحاد الجمركى الألمانى انضمت إليه لكسمبورج ، وبقيت كذلك إلى سنة ١٨٦٦ حين انحل الاتحاد الألمانى القديم ، فقررت الدول المجتمعة فى لندن استقلال الدوقية وحيدتها .

وكان البلجيكيون قد اختاروا فى أول الأمر الدوق نمور Nemours ابن لوى فيليب ملك فرنسا ملكا عليهم . ولكن لوى فيليب خشى إغضاب الانجليز فأمسك

عن الموافقة ، واختارت بلجيكا الأمير ليوبولد ساكس كو برج خال الملكة فكتوريا ملكا عليهم ، وقد تزوج بابنة لوى فيليب وأقسم يمين الولاء لدستور البلاد الجديد فى نهاية ١٨٣١ ، وكان دستوراً مثاليا صان حقوق الأفراد وحرياتهم ووضع حدوداً كافية لمنع طغيان الملك والسلطة التنفيذية ، فاشتهر أمره واتخذته الشعوب التى كافحت فى القرن التاسع عشر فى سبيل حقوقها الدستورية نموذجاً حاكته ونسجت على منواله . وقد كان الدستور البلجيكى المرجع المفضل لدى لجنة الثلاثين المصرية التى صاغت الدستور المصرى سنة ١٩٢٣ . ومع أن انفصال بلجيكا عن هولندة قد اصطحبته أزمة اقتصادية شديدة عانتها البلاد فان ما جبل عليه الشعب البلجيكى من الدقة والاكباب على الأعمال مضافا إلى ثروة البلاد المعدنية وخاصة فى الفحم والحديد وإلى ما أظهره الملك ليوبولد من الحكمة والمقدرة الادارية ، كل ذلك كان كفيلا باجتياز الأزمة بسلام وافتتاح عهد صناعى إنشائى لا مثيل له فى تاريخ البلدان الأوربية عدا انجلترا . وكان من أثر تأمين بلجيكا على استقلالها وحيدتها أن تفرغت البلاد لخدمة مصالحها الاقتصادية. حتى إذا قامت ثورة سنة ١٨٤٨ فى فرنسا وسرى تيارها إلى سائر دول أوربا كانت بلجيكا بمنأى عن آثارها المخربة ؛ إذ كان الشعب البلجيكى يتمتع بحرياته ودستوره بقدر لا يدانيه سوى ما كان للشعب الانجليزى العريق فى الحقوق البرلمانية . ولم تتنبه بلجيكا إلى خطورة مركزها وقلة جدوى حيدتها إلا بعد انتصار ألمانيا على فرنسا فى الحرب السبعينية . وقد كانت بلجيكا تخشى فى أول الأمر عدوان الإمبراطور نابليون الثالث ودأبه على ضم لكسمبورج إلى فرنسا . أما وقد انهزمت فرنسا أمام ألمانيا فقد تحرج موقف بلجيكا بين ألمانيا الغالبة الطامعة وبين فرنسا الجريحة الصارخة بطلب الانتقام . فأخذت بلجيكا تراجع سياستها إزاء الدول ، ولم تعد تقنع بموقف الحيدة منها ، فجعلت تحصن حدودها وقلاعها وتعد قواتها وتنهض بالخدمة العسكرية الاجبارية بين شبانها. وقد زاد من تبعاتها الدولية اهتمامها بكشف بلاد الكونغو ونزول ملكها ليوبولد الثانى عن حكومة الكونغو الحرة لبلجيكا فى سنة ١٩٠٨ وكانت بلجيكا كلما زاد التنافس فى التسلح بين ألمانيا من جهة وبين انجلترا وفرنسا من جهة أخرى ، أيقنت باقتراب خطر الحرب من أرضها مع قلة استعدادها لها . ولما دنت ساعة الخطر فى آخر يوليه سنة ١٩١٤ حاول السير ادورد جراى وزير

خارجية انجلترا أن يصون حيدة بلجيكا التى ضمنتها الدول الخمس : بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا ، فأرسل إلى الحكومتين الألمانية والفرنسية يدعوهما إلى احترام حيدة بلجيكا ، فكان جواب ألمانيا أن داست بأقدامها المعاهدات الدولية واعتبرتها مجرد قصاصات من الورق ، واخترقت قواتها فى ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ دوقية لكسمبورج ، وفى اليوم التالى دخلت بلجيكا ، ولم يستطع الجيش البلجيكى الوقوف أمامها سوى أسابيع قليلة صارت البلاد بعدها تحت رحمة ألمانيا ، فتعرضت مدنها وقراها وكنائسها ومكتباتها وصناعاتها لاعتداءات دموية مخربة لاتزال أحداثها يتناقلها الآباء والأبناء من جيل إلى جيل .

ولم تكن هولندة أقل تعرضاً لعدوان ألمانيا من بلجيكا . وما منع ألمانيا من الاغارة هولندة عليها سوى حسن استعدادها الحربى وقرار هيئة أركان الحرب الألمانية ضد اختراق القنوات المائية التى تغطى سهول هولندة . وظلت هولندة طوال الحرب العالمية الأولى تحافظ على حيدتها ما استطاعت إلى المحافظة سبيلا . وقد أفادت من حيدتها ومركزها بين ألمانيا والحلفاء فوائد مادية جعلتها تنهض بتجارتها وصناعاتها الناشئة نهضة قضت نهائيا على الفكرة القديمة التى كانت تقول بأن هولندة بلاد زراعية ، وأن بلجيكا بلاد صناعية ، والاثنتان يكملان بعضهما بعضا .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى تفرغت بلجيكا لاصلاح ما دمرته الحرب فى بلادها ، ولكنها خرجت منها بمزايا لا يستهان بها ؛ فقد تفتحت عيونها من جديد إلى خرافة الحيدة السياسية ، وعملت للتحرر من قيودها ، فأقرتها الدول على ذلك ، وجاءت معاهدة فرساى مؤيدة استقلال بلجيكا وحريتها التامة فى التسلح والتحالف مع من تشاء من الدول . وقد استعاضت من الحيدة بمعاهدة دفاعية عقدتها مع فرنسا وبتوثيق علاقاتها مع بريطانيا وجارتها هولندة . ونالت بلجيكا من عصبة الأمم حق الانتداب على جزء من شرق إفريقية الألمانى يعرف بإقليم رواندا ، هذا فضلا عن ضمها مركزين على حدودها الشرقية كانا تابعين لألمانيا ، وارتباطها بدوقية لكسمبورج بمعاهدة جمركية واحدة سنة ١٩٢٢ وذلك بعد أن أيد الاستفتاء الشعبى بقاء الدوقية مستقلة .

وقد ساهمت بلجيكا بنصيب كبير فى دعم ميثاق عصبة الأمم وتنمية العلاقات الدولية ، حتى أصبحت عاصمتها بروكسل مركزاً مهما للنشاط الدولى

الثقافى والأدبى وقد اشتركت . بلجيكا مع الدول الكبرى التى تعاقدت فى لوكارنو سنة ١٩٢٥ بقصد تأمين السلام بين ألمانيا وفرنسا . ولكن سرعان ما اكفهر جو السياسة الدولية فى أوربا على أثر اضطلاع النازيين بالحكم فى ألمانيا ، فعادت بلجيكا تخشى على استقلالها وتأسف على تركها نظام الحيدة القديم ظانة أن الحيدة قد تنجيها من ويلات الحرب الحديثة . وعلى ذلك عادت بلجيكا فى سنة ١٩٣٦ تخطر الدول الكبرى بعزمها على التزام نظام الحيدة فى المستقبل ، وأنها لذلك تتحلل من القيود التى فرضتها عليها معاهدة لوكارنو . وزادت على ذلك أنها اشتركت مع دول الشمال هولندة والسويد والدنمرقة والنرويج وفنلندة حين اجتمع وزراء الخارجية لهذه البلاد فى يوليه سنة ١٩٣٨ وأعلنوا أنهم غير ملزمين بتنفيذ المادة السادسة عشرة من ميثاق عصبة الأمم التى كانت تنص على تنفيذ العقوبات على الدولة التى تنقض عهودها وتلجأ إلى الحرب . وقالوا فى قرارهم إن ضخامة التسلح فى بعض الدول يجعل قيامهم بالتزاماتهم فى حكم المستحيل عليهم ؛ لأن تدخلهم ضد إحدى الدول يعتبر انحيازا إلى جانب دون آخر ، وهو أمر يتنافى وروح ميثاق العصبة .

ومع أن الدول بما فيها ألمانيا قد ردت على بلجيكا بأنها تحترم استقلالها وحيدتها ، فان ألمانيا النازية كانت تبعث للأراضى المنخفضة بل لغرب أوربا كله أشنع اعتداء عرفته تلك البلاد فى تاريخها . ويظهر أنها كانت تعد هولندة جزءاً متمما لها مادام أهلها ينتسبون إلى الجنس الألمانى ويتكلمون لغة قريبة الشبه باللغة الألمانية . وكان مما شجع النازيين على السطو على هولندة ما عرف عنها من الثراء ووفرة الانتاج ، وما كان لها من مستعمرات وأسواق عامرة بالملايين من سكانها غنية بخاماتها سواء فى جزر الهند الشرقية أو الغربية . ومادام الهجوم على فرنسا وعلى بريطانيا جوا وبرا وبحرا يعتمد على قواعد تتخذها ألمانيا فى الأراضى المنخفضة ، فان إعلان بلجيكا وهولندة حيدتيهما فى الحرب الأخيرة لم يجدهما فتيلا . وكان نصيب هولندة فى هذه الحرب أنكى وأشد من نصيب زميلتها فى الحرب السابقة . فقد كانت بلجيكا الجسر الذى عبرت فوقه ألمانيا إلى فرنسا . وأما هولندة فقد أقام فيها الألمان حاكمين وساموا أهلها سوء العذاب .

ولقد كان لاشتراك البلجيك والهولنديين فى تحمل ذل الاحتلال الألمانى وأهوال الهجرة والتشريد من بلادهم فى أثناء الحرب الأخيرة أكبر الأثر فى تصفية ما كان قد علق فى نفوس الشعبين من أدران الماضى ، فخرج الشعبان من الحرب وقد صفت النفوس واستعدت لاستقبال عهد جديد يبشر بمستقبل سعيد للشعبين المجيدين . وبدأت الحكومتان تتقاربان وهما بالمنفى فى لندن فى أثناء الحرب ، وتكونت لجنة من الفريقين فى سنة ١٩٤٤ عند ما لاحت بشائر النصر للحلفاء لدرس مشروع الاتحاد الاقتصادى بين الحكومات الثلاث . وقد وطنت هذه الحكومات نفسها على أن قيام الاتحاد لا بد أن يقتضى نزولها عن شئ من كامل سيادتها ؛ ولذلك وكلت أمر التنظيم إلى الخبراء والاقتصاديين ولم تتركه للسياسيين ورجال القانون وفق ما جرى به العرف فى السياسة الدولية. وظلت اللجان الفرعية الفنية تدرس وتعمل بهمة حتى أثمرت جهودها فى اقرار نظام « البنلكس » الذى يرجى تنفيذه فى هذا العام . والفكرة الأساسية من الاتحاد تقضى برفع الحواجز والقيود الجمركية بين الدول الثلاث، وتوحيد التعريفة الجمركية بينها ، واعتبار أرض هذه الدول كأنها سوق مفتوحة واحدة . ولابد أن يتطلب هذا النظام درس حالة النقد والنقل وتكافؤ الأجور ودراسة الصناعات المحلية وتوزيعها بحسب ما يقتضيه التخصص فيها ، وذلك حتى لا تقوم المنافسة فى الصناعة الواحدة فتنشأ الخلافات وينهار الاتفاق. ولا تزال اللجان دائبة على دراسة المسائل والصناعات المشتركة مثل الخزف والجلود والصيد وبناء السفن وتعيين اختصاص كل من الميناءين العظيمين روتردام فى هولندا وأنفرس فى بلجيكا . وهناك مسألة المستعمرات ؛ فلهولندة دولة مستعمرات مترامية الاطراف فى آسياوأمريكا ، ولبلجيكا مستعمرة الكونغو فى إفريقية . ويبدو أن الحكومتين تميلان إلى تكوين وحدة استعمارية تشمل أملاكهما جميعاً .

والحكومتان مقدرتان تمام التقدير ما يجنيه الشعبان من الاتحاد الاقتصادى وخاصة فى هذه الفترة العصيبة التى أعقبت الحرب وتكتلت فيها دول أوربا وأضحت العلاقات بين الكتلتين الشرقية والغربية تنذر بأخطر المصاير . ولم تتردد دول الاتحاد فى مطالبةالدول الثلاث الكبرى بسماع رأيها بشأن ألمانيا . وقال الاتحاد انه يرى ضرورة توحيد ألمانيا من الوجهة الاقتصادية ، وإنه يرحب

بانعاشها صناعيا، بشرط مراقبة نزع سلاحها ، ومنع قيام الصناعات التى تستخدم فى التسلح ، وفرض رقابة دولية على إقليم الرهر . وأمامن الوجهة السياسية فيرى اتحاد البنلكس أن النظام الاتحادى الفدرائى لألمانيا هو أوفق النظم صلاحية لها ، حتى لاتطغى فيها السلطة المركزية كما حدث قبلا .

وقد بدأت حكومات الأراضى المنخفضة تجنى ثمار اتحادها ، فاستطاعت أن تعوض ما فقدته بخروج ألمانيا ولو مؤقتاً من ميدان النشاط الاقتصادى . وبلغ مجموع قيمة صادرات الاتحاد ووارداته نحو ألف مليون جنيه ، فيكون الاتحاد بذلك الثالث فى الترقيب من حيث التجارة الخارجية فى العالم [1]. يضاف إلى ذلك أنه قد أصبح لممثلى البنلكس فى المجتمعات الدولية آراء وخطط واحدة ، وصار المندوب عن إحدى دول البنلكس يقوم مقام زميليه فى اللجان الدولية. وحتى فى الشؤون الخارجية بدأت آراء الدول الثلاث تتحد وتتفق ، وأصبح لكلمتها فى السياسة الدولية كما فى التجارة وزن لم يكن لها قبل أن تتحد . وقد دلّ مستر بيفن على بالغ اهتمامه باتحاد البنلكس بما جاء فى خطابه الأخير أمام مجلس العموم من أنه يعتزم الاتصال بفرنسا وباتحاد البنلكس كخطوة أولى فى سبيل إنشاء اتحاد غرب أوربا الاقتصادى . والناس يتنبأون بقرب قيام اتحاد يجمع بين شعوب جنوب آسيا وشرقيها ، وآخر يجمع بين الدول الاسكندناوية ، وثالث يجمع بين دول البحر المتوسط ، بل رابع يجمع بين دول الشرق جميعا . وكأنما اتحاد البنلكس يؤذن بأن يكون النظام النموذجى الذى تحتذيه دول العالم فيما بينها قريبا . ولعلها واجدة فى هذا النموذج البلسم الذى يشفيها من علل السياسة وأدوائها .

محمد رفعت

---

(١) يبلغ عدد سكان كل من بلجيكا وهولندا نحو ٩ مليون نفس ، وسكان دوقية لوكسمبورج نحو ٣٠٠ ألف نفس . أما مستعمرات بلجيكا فتبلغ مساحتها نحو ٩٢٠ ألف ميل مربع يسكنها نحو ١١ مليون نفس . وتبلغ مساحة مستعمرات هولندا نحو ٨٠٠ ألف ميل مربع يسكنها نحو ٦١ مليون نفس منها نحو ٥٠ مليون فى جمهورية إندونيسيا .

MONSIEUR SOMMEIL

CLAUDE AVELINE

المسيو سومي*

إلى الدكتور جاك هرتز

كان ذلك فى مساء يوم اثنين ، وكانت الساعة حوالى الحادية عشرة ، وكنت على أهبة النوم ، بعد أن أتممت صفحاتى الثمانى اليومية ، ورتبت مذكراتى ، وأعدت كتبى إلى رفها ، ومررت بخرقة الصوف الصغيرة على مكتبى ، عند ما رن جرس التليفون ، فعلمت من غير أن أحتاج إلى رفع السماعة أن العيادة تطلبنى ، وإلا فمن غير العيادة ؟ . . وفعلا سمعت صوت كبيرة الممرضات تقول : « أسعد الله مساءك يا سيدى ، مدام مرجريت ، سوف تعرض علينا حالة عاجلة بعد نصف ساعة . » لم يكن أحد يسألنى عن هذا الأمر أهو يوافقنى أم لا يوافقنى ، فقد كان دومين يعتبرنى دائماً فى العمل « الشخص الذى يستطيع الاعتماد عليه » . وعلى أية حال كانت هذه الشهرة تكلفنى شهرة أخرى ، مع ما تستوجب من تحفظات قليلة ، وهى شهرتى بأنى أعزب شيخ ورجل به هوس — لنمر بذلك مر الكرام .

كان الرجل قد دهمته فى ميدان دنفير—روشرو سيارة ألمانية . إن أولئك القوم يقودون كالمجانين ، وقد حمله بعض رجال الشرطة وأتوا به إلينا على خطوات من مكان الحادث : فقد كان نقله إلى إحدى المستشفيات أمراً شاقاً لديهم ؛ إذ لم يكن من السهل العثور على عربة إسعاف فى تلك الأيام المعقدة . وكان دومين موجوداً هناك ففحص الرجل . وبينما كنا نتأهب أطلعنى على نتيجة تشخيصه ؛ فاذا بكسور مفتحة فى الأعضاء والحوض ، ورضوض داخلية . ومعنى ذلك بايجاز القول أن الأمر خارج عن اختصاص الطب .

---

* كتبت هذه القصة خاصة لمجلة « الكاتب المصرى » .
معنى كلمة Sommeil : النوم .

وكان المصاب ملقى على النضد ، خائر القوى على أثر حقنتين ، غير أن نظرته كانت متنبهة قلقة . له وجه فتى جميل الصورة ؛ قد كان ممكناً أن يكون ابنى . وعند ما سألته مدام مرجريت سؤالها المعهود : « من تريد أن نخطر بالحادث ؟ » أجاب : « لا تخطروا أحداً ! ليس لى أحد . » ووجه دومين إليه كلماته المألوفة بصوته القوى الحنون الذى كان دائما يبعث الابتسامة على شفاه المرضى . ثم قدمنى بطبيعة الحال كما اعتاد أن يقدمنى : « إنك ترى أمامك أحدث صورة مجسمة للاله مورفى ، المسيو سومى ! أما ترى أنه اسم جميل ؟ إنه مدين لى أنا به . ومسيو سومى هو الذى سيرسلك الآن فى نعيم الأحلام ! » ظل بومبيه بادى الخوف ، بل بدا لى أنه ينظر إلى بقلق شديد ، نسيت أن أذكر أن المصاب كان يدعى بومبيه ، مارسيل بومبيه — حسب بطاقة تحقيق الشخصية التى عثر رجال الشرطة عليها فى حافظته ، وقد صرح أحدهم أن بومبيه يقطن فى مكان ما من مقاطعة اللورين حيث نشبت معركة لم يبق على أثرها شئ يذكر من تلك القرية . لم أكن أعلم شيئاً حينذاك عن الأوراق الزائفة . بل إذا أردت أن أكون صريحاً كل الصراحة فلأقل إننى لم أكن أعرف شيئاً عن أى شئ على وجه الاطلاق ؛ فأنا لم أهتم قط بشؤون العالم . إن هناك قوماً اخصائيين فى إدارة السياسة والحرب . . . الخ ، وكذلك فى إفساد العلاقات بين الشعوب . كنت أمقت أشد المقت وجود الألمان بيننا ؛ لأننى لا أحب علم الجرمان ولا وحشيتهم ، وبالأخص بعد مجىء هتلر الذى لم يكن سوى حاكم مصاب بالصرع — هذا رأيى فيه — ومع ذلك فان وجود الألمان قد أشبعنى أكثر من أى وقت مضى ، لا من لذة الأحلام بل من متعة الدراسة . فمنذ سنوات لا أستطيع ذكر عددها ، بدأت بحثاً عن التخدير هو فى عقيدتى بحث له قيمته . ومنذ يوليو ٤٠ وأنا أكتب كل يوم ثمانى صفحات بدلا من أربع . ولا شك أن مثل هذه الظروف جعلت من الصعب علىّ أن أبرم كل البرم بالحياة ، غير أنى أعترف كذلك أننى لم أكن لأفخر كل الفخر بمثل تلك الحالة النفسية .

تأهبت إذن لتنويم بومبيه بعد أن ربتّ على كتفه وأنا أتمتم شيئا كقولى : « سينقضى كل شئ على خير ما يرام . إنك تعلم . . . » وإنى أسائل نفسى اليوم ماذا كان فى استطاعته أن يجد فى تلك العبارة أو فى لهجتها . لقد أجاب

فى شئ من الحماسة : « إننى واثق يا دكتور ، شكرا يا دكتور . » وأغلق عينيه ثم فتحهما ، غير أنه حينما كنت أتأهب لوضع القناع ، بدت على وجهه مظاهر الجنون التام ، وحاول أن يرفع رأسه . سألته : « ألديك ما تريد أن تصرح به ؟ » فألقى بنظرة على دومين ثم على الممرضات ، وعاد فخفض رأسه وتمتم قائلا : « كلا ! لا شئ . »

استغرقت العملية أكثر من ساعة ، كان بومبيه مضطربا ، وكان نبضه يثير القلق ، فنزعت القناع بقدر ما استطعت . كان يئن ، وكان يسرف فى الحديث ، بطريقة مفككة غالبا . حتى اللحظة التى ارتسمت فيها على شفتيه فى سكون عبارة ، كررها مرات عدة ، وقد استطعت أن أتبين ما يأتى : « فى يوم ١٢ الساعة الثالثة فى مقهى سان جرمان ، يوم ١٢ الساعة الثالثة فى مقهى سان جيرمان . »

لم يكن ذلك أول موعد أسمعه فى تلك الحالات ؛ فقد خصصت فصلا كاملا عن هذا الموضوع فى أول الجزء الثانى من كتابى . فقد أظهر المرضى تقريبا دائما إقبالا ولطفا كلما كنت أبيح لنفسى باسم العلم توجيه الأسئلة لهم أثناء إقامتهم فى العيادة . أقصد الأسئلة التى تتميز بشئ من الندرة والابتكار والتى ربما كان من شأنها أن تجلو ناحية من نواحى الآثار الثانوية لمختلف المخدرات وبالأخص تلك التى كان لى فضل تركيبها بنفسى . غير أنى اعتبرت موعد بومبيه من المظاهر العادية جدا ومن أكثرها تفاهة إلى حد أنى نسيته بمجرد عودتى إلى منزلى .

وفى يوم الثلاثاء التالى أخبرتنى مدام مرجريت أن مريضنا قضى ليلة عسيرة . وقد قلق دومين لذلك ، فصحبته عند ذهابه لرؤيته . كان المسكين يتصبب عرقا من تأثير الحمى ، وهو يختنق ويهذى . وأبلغتنا الممرضة المختصة بأن بومبيه قد تمتم مرات عدة كما لو كان يصدر أمرا : « حذار إن فى الفناء وقع أقدام . » وكذلك : « يجب ألا تذهبوا إن فى الأمر شركا ! » فقال دومين وهو خارج : « إذا لم تهبط الحرارة غدا اعتبر الفتى هالكا . »

وفى صباح اليوم التالى كان الفتى أكثر من « هالك » كان ميتا . وقال لى دومين : « لن أعدل عن تفكيرى بأن هذا الفتى ينتمى إلى حركة المقاومة ، وأنه واحد من أولئك الحالمين الذين يعتقدون فى المعجزات ! أليس

ذلك رأيك يا سومى ؟ إنهم يتحمسون بقدر ما يستطيعون ، ويتآمرون . . . ثم تدهمهم عربة تمزق أوصالهم فاذا بأمورهم الصغيرة كلها يقضى عليها . . . » ثم نظر إلىّ دومين شزراً (إنى أتذكر ذلك تماما) : « أترى لم يذكر لك شيئا ؟ » فأجبت بصدق و إخلاص أن لا . وعلى أية حال لم يكن دومين يتمتع بشهرة طيبة فيما يتعلق بمصائبنا . وكانوا يتحدثون فى العيادة — وقد تبينت ذلك بنفسى — أن دومين يفخر بكونه رجلا « واقعيا » ، وأنه يتحدث بغير كراهية عن الألمان . ولو كان بومبيه صرح لى بشئ ، لكتمته فى نفسى . وفيما كنت أفكر فى ذلك ، استكشفت بغتة أنه ربما أطلعنى على سر دون أن يريد : « يوم ١٢ الساعة الثالثة فى مقهى سان جرمان . »

أخذت أدفع عن نفسى ذلك الافتراض . فقد كنت دائما أمقت كل شئ معقد . إن موعدا كهذا لا يمكن أن يتعلق إلا بذكرى واقعة مرت بخاطر بومبيه أثناء نومه . أو هو هذيان لا صلة له بالواقع . أو إذا كان موعدا حقيقيا فربما كان مع امرأة أو قريب أو عميل أو صديق . وقد اعترفت فيما بينى وبين نفسى أن من المناسب حقا فى تلك الحالة أن أذهب بنفسى إلى هذا الموعد وأن أبلغ الشخص أو الأشخاص الذين ينتظرون بومبيه . وكان يوم ١٢ يوافق يوم أحد ، الأحد التالى . كل ذلك كان يمنعنى أن أخلط المقاومة بهذا الحادث التعيس .

ولكن لا بد من القول إن عقلى ، عقلى الطيب العزيز ، الذى قادنى حتى الخمسين من غير ما تعثر ، قد أبى فجاءة إلا أن يخذلنى . دهشت لذلك غاية الدهش . فقد تعذر على أن أشتغل فى مؤلفى مساء يوم الأربعاء ذلك ، أو يوم الخميس أيضا ، أو الجمعة . . . وفى أثناء النهار كنت أمارس عملى وأنا أفكر فى شئ يختلف عنه كل الاختلاف ، ولم يكن ليتغير : المقاومة السرية و « يوم ١٢ الساعة الثالثة فى مقهى سان جرمان » . ولما كان لى نصيب من التخيل بالرغم من العقل والعلم ، فقد تصورت مشاهد محزنة تمر أمامى شبيهة ببعض اللوحات التى كانت دائما تترك أثرا فى نفسى . ورأيت رجالا يرتدون معاطف قاتمة يتسللون إلى جانب الحيطان ، وقد جردوا سيوفهم ، ورأيت جنودا من الألمان يحاصرون مقهى بخوذاتهم المدببة — نعم ! فى حين أنى كنت أقابلهم كل يوم وعلى رأسهم الطاقية أو القبعة ذات الحافة المفلطحة

(كاسكيت) . وتصورت بومبيه حيا لأراه بعد ذلك يسقط مرة أخرى وقد اخترقه الرصاص . يوم ١٢ الساعة الثالثة : لم لا تكون الساعة الثالثة صباحا؟ مؤامرة فى جنح الليل بعد وقف المرور وإطفاء الأنوار ، تحت ضوء القمر والسحاب . وفجاءة وجدت نفسى أستشير يومية البريد المعلقة فى مكتبى لأرى هل ليلة الأحد ليلة مقمرة . إنها بالفعل ليست مقمرة . وقد جعلنى هذا الايضاح الدقيق الذى لا جدال فيه أثوب إلى رشدى . ولكنه لم يعد إلى الهدوء . فظللت مقتنعاً بأن المقاومة لم تكن غريبة على مارسيل بومبيه الذى كان يتمتم فى هذيانه : « لا يجب الذهاب إنه شرك . »

كنت أحدث نفسى : «يا أدريان ما شأنك بكل ذلك؟ إنك طبيب تخدم بلدك بطريقتك أى بالعمل على إنقاذ حياة بعض مواطنيك . لا تملك حق المجازفة بحياتك . لقد بدأت فى كتابة مؤلف قد يكسب فرنسا شرفاً فى مادة اختصاصه إذا أنجزته على الوجه الأكمل . إن الحرب والاحتلال والأزمة البغيضة التى تجتاح العالم ، كل ذلك ليس لحسن الحظ إلا أمراً موقوتاً ! إن العلماء لا يعرفون إلا ما هو خالد ونهائى . اترك للشبان من أمثال بومبيه المسكين المخاطرات ومجد محاربة الأعداء إذا ما توافرت لهم الوسائل . فلكل عمله . »

كان ذلك دليلا على أنى رجعت إلى عقلى . وما فتئت أرد نفسى عن الصعاب ليل نهار ، وبلا انقطاع . وقد عرف مسيو سومى السهاد كما لم يعرفه من قبل ؛ فقد كنت أنام دائماً كالطفل . وأخذت أكرر فيما بينى وبين نفسى : « لا يجب الذهاب ، إنه شرك . » وبطبيعة الحال لم يكن عندى من الأسباب ما يحملنى على الشك فى وجود أية صلة بين تلك العبارة والموعد . ولكن السبب الذى كان يجب أن يحملنى على تأكيد عكس ذلك ، كان يفتقر إلى الكثير من القوة بحيث لا يجعلنى أظن أن بومبيه ربما كان يفكر فى تحذير أصدقائه : « بالأخص لا تذهبوا يوم ١٢ فى الساعة الثالثة إلى مقهى سان جرمان ! » أين أعثر بأولئك التاعسين؟ فى باريس ، فى الأقاليم ، فى الناحية الأخرى من خط الحدود ؟ من الممكن أن يكون فى المقاومة رجال يستطيعون أن يعثروا على أصدقاء بومبيه بوساطة علامات خفية ، وملاحظات سرية . تذكرت أنه أغلق عينيه ثم فتحهما بعد أن قال لى : « شكراً يا دكتور » . فلو كنت من صحبه فلعلى كنت أدركت الطريقة التى يجب أن أسلكها . ولا ريب أن خلجة

عين مهما كانت بطيئة كتلك ، لم تكن واضحة المرمى كل الوضوح لجاهل مثلى .
وفى مساء الخميس بعد أن تناولت بغير اهتمام طعامى البارد البسيط الذى تعده لى خادمى كل صباح ، قررت أن الوقت قد حان فعلا لأن أخرج بنتيجة . فأكدت لنفسى للمرة الأخيرة أنى لست بأية حال من المتآمرين ، وأنى لا بد أن أمحو فى الحال من ذاكرتى بومبيه وموعده الطارئ ، وأن أعود إلى عملى . وقد عدت إليه فى التو . فكتبت فى تلك الليلة من الصفحات لا ثمانى بل عشراً .

وفى الغد — يوم الأحد — منذ الساعة التاسعة كنت فى طريق سان جرمان . وليصدقنى من يصدق : لقد كانت دهشتى عظيمة . إنى أقيم منذ خمس وعشرين سنة فى شارع بريزن بالقرب من طريق أورليان على بعد عشر دقائق بل أقل من العيادة . وكنت فى تروضى يوم الأحد أصل حتى متنزه مونسورى ، فأنا وإن كنت أسكن المدينة من زمن قديم ، أحب الطبيعة والخضرة والأشجار التى تريحنى قليلا وفى كل شئ من مخدراتى العزيزة . فى ذلك ، ذلك الأحد ، ١٢ — وبدون أية فكرة مبيتة ، إنى أقسم على ذلك — عزمت على أن أغير مرة أسباب متعتى ، وأن أسلك طريق راسباى الذى يضارع أى متنزه . هبت فكرة الموعد فى رأسى ، ولكن بأية قوة ! فى الوقت الذى وصلت فيه إلى شارع جرينيل . وإن الذى زاد من ذهولى ، أننى عند ما ولجت طريق سان جرمان ، لم يكن بى حاجة إلى أن أسلكه . وكان أول متجر أبصرت به عن يسارى ، فى ركن من شارع دى بَاك ، وكان مفتوحا على مصراعيه ، فى حين كان كل ما حوله من متاجر يختفى وراء الستائر أو خلف القضبان الحديدية . كانَ ذلك المتجر هو مقهى سان جرمان . وهو مقهى متوسط الاتساع ، وكان حينذاك خالياً ، والمقاعد مكدسة فوق النضد ، وكان الندل يغسل المقهى بمنشفة مطوحاً يديه ، وقد ارتدى صدرية سوداء وشمر عن ذراعيه .

أخذ قلبى يخفق بقوة مزعجة ، لم يكن لى عهد بها منذ أيام البورصة والسباق الغابرة . تنكبت طريقى وأنا أجر أذيال الفرار كاللص ، مع اجتنابى العودة إلى الخلف حتى لا ألفت نظر أحد . فالطريق وإن كان خالياً لا يمنع أن يكون فى النوافذ عيوناً راصدة ! عدت فسلكت طريق سان جرمان دى برى ثم شارع رين ثم محطة مونبارناس ثم طريق مين . غير أنى قبل أن أصل إلى

شارع بريزن غيرت رأيي . وسرعان ما تثاقلت خطاى ، فخجلت من نفسى . لقد كنت جنديا ، مساعد جراح فى حرب ١٤—١٨ وكنت غالباً فى أكثر مراكز الاسعاف قرباً من الميدان ، لم يحدث أن منعنى إلقاء القنابل أن أنام أو أن أنوم غيرى . ما معنى هذا الذعر الراهن ؟ عند صعودى الدرج قلت فى نفسى : « إذا بقيت على هذا الخوف ، فستعود إلى هناك بعد ظهر اليوم ، أنت تعلم ! ربما كان ذلك حماقة منك ، وربما أصبت بما لا يرضيك ولكنك سوف تعود . »

ومن عادتى أيضاً يوم الأحد أن أتناول الغداء فى مطعم صغير فى الحى . حاولت أن أقرأ وأنا آكل . ولكن الذهن كان شارداً والقلب يهجس مضطرباً ، وقد تظاهرت بجهل تلك الحالة مدة الغداء كله . ولكن عند ما دفعت حسابى ، لم أتمالك أن نقرت على المائدة وقلت فى نفسى : « بما أن الأمر كذلك فلتذهب » . لم يكن يوجد شئ يستطيع بعد ذلك أن يغير عزمى . وإنى أؤكد وأشهد أنه لم يكن لبومبيه أو للمقاومة أو للموعد أو لأى شئ آخر أثر فيما عقدت من عزم . لم أرض أن أقاسى ما كان يسميه زملائى فى ميدان القتال : « رعدة العجائز » .

عدت إلى منزلى لأرتدى سترة السهرة السوداء . وفى الساعة الثالثة إلا عشر دقائق كنت مرة ثانية فى طريق سان جرمان أمام المقهى . ولكن هذه المرة كان يفصلنى عنه عرض الطريق كله . كان بعض المتنزهين يسيرون متهادين ، وكان الجو جميلا . وكان الناظر يستطيع أن يميز زبونين أو ثلاثة زبائن من خلف الزجاج . أكان أولئك أصدقاء أم أعداء مارسيل بومبيه ؟ وحزمت أمرى على عبور الطريق .

عند ما أفكر فى ذلك الآن ، أعترف بأن هذه القصة غريبة . كان يوجد فى المقهى أولا : سيدة بمفردها فى مقتبل العمر وهى غاية فى الأناقة ، من سيدات المجتمع ، كان يبدو عليها أنها تنتظر أحدا . ثانيا : شخصان يلعبان الشطرنج ومعهما ثالث جلس يتتبع اللعب ، فى مقتبل العمر أيضا ، وكلهم غارقون فى التفكير . ثالثا : رجل جدى المظهر فى مثل سنى ومظهرى كان يطالع فى مجلة لم أستطع أن أتميز عنوانها . وكان الندل هو نفسه الذى رأيته فى الصباح ولكنه الآن يرتدى سترة بيضاء . كانت السيدة الجميلة تحتسى نبيذا مصفى فى قرارة فنجان حسب عادات العصر . وكان اللاعبون الثلاثة

يحتسون نبيذا مصفى ، وكان معاصرى يحتسى نبيذا مصفى ، فطلبت نبيذا مصفى وفتحت جريدة كنت تعمدت أخذها . وتمشيا مع الطريقة الفنية الصالحة التى يسلكها رجال البوليس أو الجواسيس ، تركت نظرى يتسرب من فوق الصحيفة المبسوطة ، وكنت قد اخترت لجلوسى المقعد الأخير . وكان أحد اللاعبين يجلس على هذا المقعد نفسه . وكانت السيدة الشابة والرجل المسن يجلسان إلى نضدين أحدهما قريب من الآخر ، ووجهاهما متجهان نحوى . ونظرت إلى ساعتى من خلف الجريدة ، كانت الساعة الثالثة تماما .

لن أحاول أن أرسم صورة لكل الافتراضات التى أثارها فىّ انتباهى المتحفز . كانت هذه الافتراضات تتصادم و يهدم بعضها بعضا ثم تستيقظ لتتقابل من جديد فيما بينها . وقد بدأت أشعر بالضيق من هدوء هذا المقهى وسكونه . ورأيت نفسى غريبا لرغبتى فى رفض الأفكار التى كانت تتوارد على خاطرى . وإذ كان لا يوجد إلا شخص واحد يبدو عليه أنه ينتظر أحدا ، فلا بد أنه هو المقصود بالموعد . فالموعد إذن كان موعد غرام . لم تكن مهمتى إذن خطيرة ، بل أصبحت شاقة . وبينما كنت أفكر فى الطريقة التى بها أقترب من السيدة الشابة من غير أن تظن أننى أريد بها أمرا سافلا ومن غير أن أسترعى انتباه الزبائن الآخرين ، إذا بفتى يبدو من الخارج ويندفع نحو السيدة ، ويضمها بين ذراعيه ، ثم يتشاجران فى صوت منخفض . وإنى وإن كنت أعزب مسنا فقد مارست الحياة . وانسحب الاثنان وهما على أشدما يكونان من العناق . وتنهد الرجل المسن وهو يطوى بلته ، وتبادل بعض العبارات مع الندل ، ودفع ثمن مشرويه ، ثم نهض وانصرف . هل كان علىّ أن أتبعه ؟ بقيت فى مكانى . وقد تأثرت من جمود اللاعبين الثلاثة وعدم اهتمامهم ، لا أدرى لماذا وبالأخص جمود الأشقر الطويل القامة الذى كان يتتبع اللعب ، والذى كان يبدو مجذوبا برقعة الشطرنج مع أنه لم يكن يجرى عليها شئ ذو أهمية تذكر . لعله كان من شمال فرنسا ، بلجيكا ، سكنديناقيا ، ألمانيا . وكان الأخران أسمرا اللون يميلان إلى النحافة وليس فيهما ما يسترعى الانتباه .

ربما كان اختبارى لهم مصحوبا بنظرة فيها كثير من الالحاح والامعان لم أفكر فى كبحها . أو ربما كانوا هم أحسوا بشئ من حب الاستطلاع نحوى . رفع جارى فى المقعد عينيه ووجههما إلىّ ، كانتا عينين على سواد يبعث الخوف ،

لا يعبران عن شئ ، ولا ينمان عن أية عاطفة من أى نوع ، لا يشع منهما غير بريقهما ، كانتا عينين غريبتين . شعرت بنفسى أبتسم ببلاهة (وكنت لا أزال محتفظاً بالجريدة مبسوطة أمامى من غير أن أشعر) ، ثم إذا بى أسمع صوتى يرتفع ويسأل ، وأنا أحس بشعيراتى القليلة تنتصب فى رأسى :
« هل تنتظر أحدا ؟ »

نظر إلى زميله لاعب الشطرنج ، ثم عاد يتطلع إلىّ كما لو كان يفحص مخبولا وقال : « هل يبدو علينا ذلك ؟ »

رأيت أن من الخير أن أخفض جريدتى . كان الاثنان الآخران يرمقاننى هما أيضا ، اللاعب الثانى يحدقنى بالذهول نفسه . أما الأشقر فكانت نظرته تنم عن عدم المبالاة التامة . اضطررت أن أتنفس بشئ من العمق . ثم أجبت: « أطلب المعذرة يا سادتى . أنا الذى أنتظر شخصا . أنتظر شخصا عنده موعد هنا اليوم ١٢ فى الساعة الثالثة مع رجل يدعى مارسيل بومييه ! »

لم تتحرك لهم ساكنة ، بل كان وجومهم عظيما وسكونهم شديدا إلى درجة أنى تأكدت لجاءة أنى لم أخطىء ، وفى الوقت نفسه كانت الرعدة التى سرت فى رأسى منذ لحظة ، قد تضاعفت . ولكن لم يكن أمامى مجال للاختيار .

لو أن أولئك الرجال كانوا أعداء ، فأملى الوحيد فى الخلاص منهم هو أن أروى لهم قصتى كاملة صادقة . . . قلت من غير أن أنظر إلى أحد منهم .
« يا سادتى ، إنى لا أعرف من أنتم ! ولست أدرى أتعرفون أنتم مسيو بومييه أم لا تعرفونه ، وهل أنتم الذين كانوا على موعد معه أو لستم إياهم ، فذلك ليس من شأنى فى شئ ، وأنا بالأخص لا أريد أن أعلم شيئا ! أنا الدكتور أدريان أ . . . عنوانى ١٥ شارع بريزن ، إخصائى فى التخدير ، وهبت حياتى كلها للعلم . ليس لى مشاغل إلا إسعاف مواطنى من أى الجهات أتوا وأيا كانوا ؛ تأكدوا أنى لولا ذلك لما كنت الآن هنا . فى يوم الاثنين الماضى حوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، حضر رجال الشرطة إلى العيادة التى أنتمى إليها يحملون رجلا صدمته سيارة ، ويدعى مارسيل بومييه . وكانت حالته يرثى لها . فأجريت له عملية فى الحال ، أجراها له زميلى الكبير الدكتور دومين المدرس بكلية الطب والذى أتشرف بمساعدته منذ نحو عشرين سنة ، والذى أدين له باسم مسيو سومى . وهكذا ترون علاقتى به ! أنا إذن

الذى نوّم مسيو بومبيه . وأثناء عملية التنويم ، تمتم كالمتكلم فى حلم :« يوم ١٢ الساعة الثالثة فى مقهى سان جرمان » . لم يستعد وعيه ، ولسوء الحظ توفى ليلة الأربعاء . لست أعرف أكثر من ذلك . فى استطاعتكم أن تتحققوا من كل تلك الوقائع عند الأستاذ دومين ، وفى إدارة العيادة التى فى شارع دنفير روشرو رقم ٨٥ مكرر .

« أما العبارة التى تلفظ بها مسيو بومبيه فكنت الوحيد الذى سمعها لوجودى عند رأس المصاب . لم أبح لنفسى أن أنقلها إلى كائن من كان لأننى افترضت أنه موعد غرامى ، فالحب له المكانة الأولى دائماً فى النوم الصناعى . غير أنى وجدت من واجبى أن أحمل بنفسى إلى هنا النبأ الأليم ، فقد صرح مسيو بومبيه أنه من غير أسرة وأن منزله قائم فى المنطقة الحرام . ذلكم يا سادتى كل ما كنت أريد أن أقول . »

وسحبت أطراف أكمامى إشارة إلى انتهاء الحديث . ولولا قشعريرة الرأس التى جعلت منظر شعرى يرثى له أثناء حديثى القصير والتى ما كانت لتختفى ، لشعرت براحة كبيرة . ألقيت نظرة سريعة إلى رفاقى فاذا بمظهرهم يبدو كما كان فى اللحظة الأولى . وأخيراً قال اللاعب الثانى : « مؤلم . . . » واتخذ مظهراً مؤدباً شارداً ، على حين لم يبد على الأشقر الطويل أدنى تأثر . أما الفتى ذو العينين السوداوين فلم يكف عن التطلع إلى . قال لى :« أيضايقك أن نسير قليلا معا ! »

خطرت فى ذهنى عبارة مبتذلة سمعتها مرة على لسان أحد الأشقياء : « وقع الفحل ولا معين » فأجبت وأنا ألاحظ فى شئ من الغبطة أن صوتى لا يرتجف : « كلا بالتأكيد كلا ! ولكنى أؤكد لك . . . » فقال الفتى : « إنى أصدقك يا دكتور . » ثم دعا الندل ، والآخران لا ينبسان ببنت شفة .

دفعنا ثمن مشروبنا ثم نهضت واقفاً . وكانت دهشتى كبيرة عند ما وجدت جارى لم يتحرك . بل تمتم بين أسنانه : « أين أستطيع اللحاق بك يا دكتور ؟ أتريد أن يكون ذلك فى طريق راسباى بعد خمس دقائق ؟ ما عليك فى هذه الحالة إلا أن تصعد نحو دنفير ! » ثم تركنى أنصرف . تركنى أنصرف ! كان فى استطاعتى أن أتسلل خلسة إلى عمارة مجاورة وأن أختفى ! لو كنت ذكرت أسماء وعناوين زائفة لما كان فى إمكان أحد أن يعثر على ! اختفت

قشعريرة الرأس ، وخرجت من مقهى سان جرمان منشرحاً مبتهجاً كفتى فى مقتبل العمر ، وفى الوقت نفسه كانت مغامرتى قد استثارتنى ، فكان تعطشى شديداً إلى معرفة ما سيتبعها من أحداث . ومرت بى خواطر وتأملات جديرة بعالم نفسانى عن مقدار جاذبية الأسرار وحب المغامرة الذى يحتفظ به فى نفوسهم أكثر الرجال عقلا منذ سنى الطفولة : يكفى أمر تافه لكى يثيره من جديد . قطعت وأنا فى ذلك التفكير مائتين أو ثلاثة مائة متر عند ما سمعت صوتاً إلى جانبى : « أنت يا دكتور؟ آه إن ذلك يسرنى . . . ! »

ومد إلى الفتى أسود العينين يده ، وعلى شفتيه ابتسامة مغتصبة قليلا . ومن غير أن ينتظر حتى أفيق من هذه الصدمة الصغيرة الجديدة ، أخذ يتكلم . قال لى إن مارسيل بومبيه كان من خيرة أصدقائه بالفعل . وقد أسف لموته خصوصاً أنهما عقدت أعمالها المشتركة . كانا قد تعاقدا على موعد اليوم لأن صديقاً لهما مستخدماً فى محل تجارى مثلهما ، وهو هولندى ، وكان يعنى الأشقر الطويل الذى رأيته فى المقهى — قال إن صديقهما هذا كان سيصل إلى باريس فى الصباح وكان لا بد من وجود سكن له . لم يرغب فى الذهاب إلى الفندق مع أن كل أوراقه بالتأكيد مستوفاة ، إلا أنه كان لا يريد أن يدخل فى علاقات مباشرة مع الألمان لوجود ما لست أدرى من صعوبات فى الترخيص لاستيراد بعض السلع . ومن الجلى أنه لم يكن يحب الألمان ، وبخاصة لأنه هولندى ؛ فالاحتلال هناك كان أقسى منه هنا . كان بومبيه سيحضر ومعه عنوان . ألم يذكر عنواناً قبل موته ؟ إننى رجل شهم كريم لأنى كابدت مشقة الحضور هذا اليوم ، وهو — أى الفتى — يطلعنى على ضميره لا يخفى علىّ شيئاً . ذلك ما قاله لى ، ولم يكن ما قاله إلا نسيجاً من الأكاذيب . يا لسيمون من شيطان بعينيه السوداوين ! إنى مدين له بأعنف ذكريات حياتى . وهأنذا لا أشعر بأية رغبة فى استعادتها ، فقد مات هو أيضاً بدوره .

سأوجز إذن مع أن نهاية القصة أقوى تأثيراً من أولها ، ولكنها تشبه قصصاً كثيرة غيرها . وإنى ما زلت أسائل نفسى كيف بلغ بى الأمر حتى عرضت شارع بريزن لاقامة الهولندى ! استصحبه سيمون إلى هناك بعد أن جن الليل ، وكان ضيفى دائم السكوت جم الأدب ، وكان يحايل خادمى مجتنباً

أن تقع عليه عينها ساعتين كل يوم ، لمدة خمسة أيام ، كانت خادمى بعدها من الذوق بحيث انقطعت عن العمل لتضع غلاماً ، فحل الهولندى محلها . كان ذلك « الهولندى » إنجليزيا قومندانا شابا ، أرسله مكتب الاستعلامات البريطانى فهبط بوساطة المظلات فى ليلة ١١ — ١٢ ، لكى يتصل بعدد كبير من شباكنا ومن بينها شبكة سيمون . وما بين غروب الشمس إقبال الليل كانت شقتى تشاهد سلسلة متصلة من أشخاص مجهولين يستصحبهم سيمون . وقد حاول مدة أن يستطرد فى خرافة التجارة والاستيراد ، ولكنى لم أستطع فى ليلة من الليالى أن أمسك نفسى عن الضحك ، فذكر لى كل شئ أو ما يكاد يكون كل شئ ، بما فى ذلك حقيقة جنسية الهولندى . ولما كنت أحسن قليلا لغة شكسبير ، فقد تركنا التفاهم بالاشارات . وفى أوقات فراغنا أخذت أعلمه الفرنسية . ورجونى أن أحضر المحادثات ثم أن أشترك فيها . وكانوا يعدّوننى مستشارا صالحا لهم . وإنى لم أشعر فى يوم من الأيام فى أى كشف من كشوفى العلمية بمثل الغبطة التى شعرت بها فى تلك الأشهر العجيبة . أقام القومندان أسبوعين ثم رحل إلى أجمة فى الجور ، وعملت منذ ذلك الوقت مع سيمون وحده ، لم يشأ مطلقا أن يتركنى أشترك فى عملياته ، ولم يكن بيننا موضوع شجار سوى ذلك . غير أنه لم يكن يعزم على شئ إلا استشارنى — وقد نفعت المخدرات فى مرات عدة . وكان قد أطلق على شبكتنا اسم « شبكة سومى » .

وعند ما كرمتنى السلطات بعد التحرير كان صغيرى سيمون هو الذى يجب أن يكرم لا أنا . لقد قتل فى طريق سان جرمان أثناء انسحاب الألمان ، على بعد قليل من المقهى . وقد أزحنا الستار عن لوحة من الرخام فى مكان آخر معركة له . ولما كان الأمر متصلا « بشبكة سومى » حرصت كلية الطب على أن تمثل فيه : فندبت الدكتور دومين . وهكذا تسير الأمور وقد عدت إلى بحوثى . وإنى سعيد بأن أعلن عن نشرها قريباً .

فيلييه سور موران ١٩٤٧ — كلود أنليى

نقلها عن الفرنسية إلياس نعمان حكيم

الصبغة المذهبية للصراع العالمى الحاضر

يعتقد كثير من النـاس أن بذور حرب عالمية جديدة تبذر منذ اليوم فيما نشهده من الأحداث والمنـازعات الدولية المستمرة ، وأنه ليس من العسير أن نتبين منذ اليوم طرفى النزاع فى هذا الصراع العالمى المستقبل ؛ فروسيا السوفيتية بما تلتزمه من مواقف التحدى والمعارضة المستمرة لسياسة الدول الغربية ، وبما تصر عليه من تمكين لسلطان الشيوعية فى شرق أوربا وأواسطها ؛ والولايات المتحدة بما تجرى عليه من معارضة لمشاريع التوسع السوفيتية ، ومقاومة الخطط الشيوعية فى غربى أوربا وجنوبها ، وتدعيم الجهات المناوئة لها . كلتاهما تحدد لنا بوضوح حقيقة المعسكرين المتنازعين فى الحرب العالمية المستقبلة .

وروسيا السوفيتية ، وأمريكا هما اليوم أعظم دول العـالم وأزخرها بالموارد الطبيعية والقوى المادية . وما زال الجيش الأحمر ، الذى كان له أكبر الفضل فى سحق ألمانيا الهتلرية ، أعظم قوة عسكرية فى العالم . وما زالت أمريكا من جانبها فضلا عن قواها العسكرية الهـائلة ، تستأثر بسر القنبلة الذرية أروع سلاح عرفته الحرب الحديثة . ولـكن هذا الصراع الذى تبدو طلائعه اليوم بين هاتين القوتين العظيمتين ، لا تقف طبيعتـه وعوامله عنـد تنافس القوى المـادية ، ولـكنهـا ترجع إلى أصول وعوامل أخطر وأبعد أثراً ، هى الأصول والعوامل النفسية والأدبية والاجتماعية .

ومتى تحدثنا عن الولايات المتحدة كأحد طرفى هذا النزاع العالمى الخطير ، فيجب ألا ننسى أن بريطانيا العظمى ، تتفق مع الولايات المتحدة تمام الاتفاق فى اتجاهاتها وأهدافها السياسية الأوربية والعالمية ، وفى مشاعرها ومواقفها إزاء روسيا السوفيتية . وإذا كانت الولايات المتحدة هى التى تتولى اليوم دون بريطانيا قيادة الجبهة المناوئة لروسيا ، فذلك لأن بريطانيا قد خرجت من الحرب مضعضعة الموارد والقوى ، ولم يبق فى وسعها أن تضطلع بكثير من أعباء

المقاومة الفعلية لخطط روسيا ، وزحف الشيوعية الدولية . ولكن من الواضح الجلى أن أمريكا و بريطانيا تعملان معا فى هذا الاتجاه بتفاهم تام وتعاون وثيق، حيثما أمكن ذلك ، كما هو حادث فى اليونان وتركيا وإيران .

ولا تتردد روسيا فى أن ترمى أمريكا و بريطانيا بأنهما تتبعان سياسة استعمارية جشعة ، وأن بريطانيا ما زالت تتمسك بسياستها الامبراطورية العتيقة ، فى التسلط على طرق البحار واستعباد الشعوب الحرة ومقاومة أية دولة أخرى تحاول التوسع المشروع ، أو افتتاح الأسواق الجديدة ؛ وأن أمريكا التى دخلت الحرب متظاهرة بنصرة الحرية والديموقراطية ، وتأييد حقوق الانسان ، ومصاير الشعوب الحرة ، قد انزلقت كذلك إلى ميدان الاستعمار ، والتوسع الاقليمى والاقتصادى ، معتمدة على سياسة الدولار والاستعباد المالى . وترمى الجبهة الأمريكية البريطانية روسيا السوفيتية من جانبها ، بأنها تتبع سياسة التوسع القيصرية القديمة ، وتعمل على استعباد الشعوب السلافية والبلقانية ، وتحاول جاهدة إحباط كل محاولة تبذل لتسوية مشكلات ما بعد الحرب ، والعمل على بث الفوضى والدمار فى أوربا ، كى تقوض أسس النظم الديموقراطية ، وتطغى الشيوعية المدمرة على الشعوب الأوربية .

والواقع أن هذه التهم المتبادلة بين الفريقين المتنازعين ليست إلا مظاهر لطبيعة المعركة الحقيقية التى تضطرم بينهما ، والتى ترجع كما قلنا إلى عوامل نفسية وأدبية واجتماعية . فالاتحاد السوفيتى يعيش منذ ثلاثين عاماً فى ظل نظم ومبادئ اجتماعية واقتصادية خاصة تصطبغ باللون الشيوعى . وما فتئت الدول الغربية ، التى تعيش فى ظل النظم الفردية الحرة ، وفى مقدمتها بريطانيا وأمريكا ، ترى فى هذه النظم الشيوعية خطراً اجتماعيا على نظمها الحرة ، يجب تجنبه والقضاء عليه . وقد قطعت روسيا البلشفية فى بداية عهدها أعواماً طويلة ، وهى تعيش فى شبه عزلة اقتصادية وسياسية تامة ، تقاطعها الدول الغربية ، وتخشى أن يكون الاتصال بها وسيلة لتسرب الخطر الشيوعى إليها . وكانت روسيا البلشفية يومئذ تدفعها حمى المبادئ الجديدة تذهب فى غلوها إلى حد اتخاذ الثورة العالمية شعاراً لها ، ومحاولة بث بذورها أينما استطاعت بمختلف الوسائل السرية والعلنية . وقد أسفرت محاولات موسكو والدولية الشيوعية التى تحتضنها وتوجهها يومئذ عن وقوع سلسلة من الاضطرابات الشيوعية

الخطيرة فى عدة دول أوربية . ولما جنحت موسكو إلى نوع من الاعتدال بعد ذلك بعدة أعوام ، وانضمت إلى عصبة الأمم ، وقع نوع من التقارب المقرون بالحذر بين روسيا البلشفية والدول الغربية . بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية لبثت على جفائها وعدم اعترافها بالحكومة البلشفية حتى الحرب العالمية الثانية.

وقد كانت الحرب الكبرى أو الحرب العالمية الأولى صراعاً فى سبيل التوسع والنفوذ العالمى واجتناء المغانم الاستعمارية . ولكنها لم تصطبغ بمثل الصبغة الذهبية العميقة التى اصطبغت بها الحرب العالمية الثانية . ذلك أن المبادئ الماركسية التى اتخذتها روسيا البلشفية فيما بعد سنة ١٩١٧ شعاراً لم تكن بالرغم من قيام الأحزاب الاشتراكية والشيوعية فى معظم الدول الأوربية قد حققت بعد أى ظفر عملى . فلما انتهت الحرب العالمية الأولى بسحق ألمانيا الأمبراطورية ، كانت الثورة البلشفية قد استطاعت من جانبها أن تتم القضاء على القيصرية والبورجوازية الروسية ، وأن تجعل من روسيا أول دولة شيوعية فى التاريخ . ومن ذلك الحين تبدأ الحرب الذهبية بين روسيا البلشفية ، والدول الغربية . وكانت أول مرحلة فى هذا الصراع محاولة الدول الغربية أن تقضى على الثورة البلشفية فى مهدها ، وذلك بأن تدفع العناصر المناوئة والرجعية إلى محاربة الدولة الشيوعية الجديدة . وهكذا توالت حملات « الروس البيض » أو الخوارج على الثورة على روسيا البلشفية تؤيدها وتدعمها الدول الغربية بالمال والسلاح. ولكن روسيا البلشفية استطاعت بعد كفاح دام أربعة أعوام أن تسحق هذه الحملات واحدة بعد أخرى ، وتوطدت دعائم الدولة الجديدة بسرعة ، وأخذت الدول الغربية تسلم بالأمر الواقع وتعمل تباعاً على تنظيم علائقها السياسية والتجارية مع روسيا .

بيد أن النضال مع البلشفية لم يلبث أن اتخذ مظهراً آخر . ذلك أن القوى الرجعية فى إيطاليا استطاعت أن تضرب الحركة الشيوعية فى الصميم (سنة ١٩٢٢) بعد أن تفاقمت ولاح للعالم أنها على وشك الظفر بأن تفرض سلطانها ونظمها على إيطاليا . وقامت الدولة الفاشستية فى إيطاليا تمعن فى مبادئ الطغيان وتضمر للديموقراطية والبلشفية بالأخص أشد العداء . وكما أن البلشفية كانت ترنو إلى الزحف فيما وراء الحدود الروسية . وتعمل بكل

ما وسعت على تنظيم الحركات والفورات الشيوعية أينما استطاعت ، فكذلك زعمت الفاشستية أن رسالتها لا تنحصر داخل إيطاليا وأنها سوف تعمل على بث مبادئها ومكافحة الشيوعية أينما استطاعت . ونشب من تلك اللحظة بين البلشفية والفاشستية صراع مذهبي مضطرم ، لبث أعواماً ظاهرة النضال الدولي فى أوربا . ولما وثبت الاشتراكية الوطنية الألمانية أو النازية بعد ذلك بأعوام واستولت على مقاليد الحكم فى المانيا شهرت على الشيوعية حرباً لا هوادة فيها ، وسحقت الحركة والأحزاب الاشتراكية والشيوعية فى ألمانيا كما سحقت كل نزعة ديمقراطية أو حرة بأشد الوسائل وأشنعها . ولم تكن النازية سوى حركة طغيان مطبق من أعنف وأفظع ما عرف التاريخ . وسرعان ما كشفت النازية عن خصومتها المضطرمة للبلشفية وللدولة التى تنضوى تحت لوائها . وسرعان ما تفاهمت النازية والفاشستية على انشاء جبهة « إيديولوجية » موحدة لمناوأة البلشفية والديمقراطية كلها ؛ وكانت الحرب العالمية الاسبانية أول مسرح لهذا الصراع « الايديولوجى » ؛ إذ هرعت إيطاليا الفاشستية وألمانيا النازية لمعاونة قوات فرانكو الرجعية ، وهرعت روسيا البلشفية لمعاونة القوات الجمهورية الاشتراكية ، ومنيت الاشتراكية والديمقراطية فى أسبانيا بأول هزيمة عملية فانهارت الجمهورية الاسبانية ، وقامت حكومة فرانكو العسكرية الفاشستية حتى يومنا .

وفى الأعوام الثلاثة التى سبقت الحرب العالمية الثانية لم يك ثمة شك فى خطورة اللون المثالى « الايديولوجى » الذى تصطبغ به المنازعات الدولية . ولم تأت سنة ١٩٣٧ حتى تألف محور رومه — برلين ، وانقسمت أوربا بصورة جلية إلى معسكرين خصيمين هما معسكر الفاشستية المكون من ألمانيا وإيطاليا والدول التى تعطف عليهما ، ومعسكر الديمقراطية المكون من بريطانيا العظمى وفرنسا وباقى الدول الغربية . وكانت روسيا يومئذ بمعزل عن المعسكرين ، وكان يظن مع ذلك أنها بالرغم من صبغتها الشيوعية أكثر عطفاً على المعسكر الديمقراطى وأقرب إلى التفاهم معه . ومن ثم فان تفاهمها قبل نشوب الحرب مع المانيا الهتلرية ألد خصومها وأخطرهم كان له وقع الصاعقة فى المعسكر الديموقراطى وكان مفاجأة مدهشة للعالم كله . بيد أنها لم تلبث أن تكشفت على حقيقتها :

وبالرغم من أن الحرب العالمية الثانية بدأت فى الظاهر لأسباب وبواعث إقليمية بيد أنه لم يك شك منذ البداية فى لونها المذهبى العميق . ولم يخف هتلر منذ الساعة الأولى أن يشهر الحرب على الديمقراطية والنظم الرأسمالية المستقلة ، وهى التى ترتب على قيامها حصار ألمانيا الاقتصادى وحرمانها من ثمار كدها وخفض مستوى العيش فيها . كذلك لم يخف هتلر وسادة الحرب الجرمانيين أنهم يعملون على فرض سيادة الجنس الجرمانى (الآرى) وتمكينه من الرياسة التى يؤهله لها تفوقه على سائر الأجناس الأخرى . وما فتئت بريطانيا العظمى من جانبها تؤكد أنها تحارب لمقاومة الطغيان الفاشستى وإنقاذ النظم الحرة والشعوب الديمقراطية مما يهددها من ضروب الذلة والاستعباد السياسى والاقتصادى الذى تحاول الفاشستية فرضه عليها .

ولما كشف هتلر القناع وغزا روسيا السوفيتية فى صيف سنة ١٩٤١ عاد يردد نغمته القديمة فى وجوب سحق البلشفية وإنقاذ العالم من خطرها المدمر . ومع أن الغزو الجرمانى لروسيا يرجع إلى بواعث كثيرة أخرى فانه لم يكن ثمة شك فى اللون المذهبى « الايديولوجى » العميق الذى كان يطبع الصراع بين البلشفية والنازية . وهنا وقع تحول جوهرى فى سير هذا النزاع ؛ فان بريطانيا زعيمة الجبهة الديمقراطيه يومئذ لم تتردد فى الوقوف إلى جانب روسيا إزاء خطر النازية المشترك . وفى نهاية هذا العام أيضاً (١٩٤١) وقفت أمريكا إلى جانب روسيا البلشفية ، وذلك حينما نزلت اليابان إلى الميدان لتحارب أمريكا وبريطانيا وتؤيد بذلك مجهود النازية الحربى . وانتظم بذلك الثالوث « الديمقراطى » العتيد ضد النازية والفاشستية ، وأسبغت الصفة الديمقراطية على روسيا البلشفية ، وذلك بالرغم من كل ما أسبغ من قبل على النظام البلشفى ووسائله من النعوت المفزعة والغايات المدمرة ، واستُحل كل اعتبار وتنوسى كل خلاف لتوطيد المجهود المشترك ضد النازية والفاشستية . وألفت الصفة المذهبية أو الايديولوجية للحرب العالمية الثانية أقوى تأييد وأصدقه فى ميثاق الأطلنطيق الذى وقعته الدول الثلاث حتى قبل أن تدخل أمريكا الحرب . ففى هذا الميثاق تؤكد الدول الديمقراطية الثلاث أنها تعمل لسحق الاستبداد النازى كى تستطيع الأمم أن تعيش فى دائرة حدودها بسلام ويستطيع الناس فى جميع أنحاء العالم أن يعيشوا بمأمن من الشقاء والخوف . وألفت هذه

« الايديولوجية » صداها القوى قبل ذلك فى ميثاق الحريات الأربع الذى أعلنه الرئيس روزفلت فى رسالته إلى الكونجرس ، وهى حرية القول والرأى وحرية العبادة والتحرر من الخوف والتحرر من الفقر ، وكلها مما تنكره النازية والفاشستية أشد الانكار .

وكان القضاء على النازية أحد الأسس الجوهرية التى وضعت منذ مؤتمر القرم لتطبيقه على ألمانيا المهزومة . ولما تم سحق الجيوش الهتلرية وسلمت ألمانيا لأعدائها الظافرين بلا قيد ولا شرط ، وضع الحلفاء نصب أعينهم مطاردة النازية والعمل على سحقها بكل وسيلة . واعتبرت النازية جريمة واعتبر معتنقوها ودعاتها مجرمون يعتقلون ويحاكمون . وما تزال محاكم الحلفاء العسكرية فى مناطق ألمانيا المحتلة مشغولة بمحاكمة النازيين واصدار أقسى الأحكام عليهم . وقد حلت جميع التشكيلات النازية وطوردت بشدة ، وشرد النازيون أو من تعلق بهم ريبة النازية من أعمالهم ووظائفهم . وهكذا غدت ألمانيا النازية نقمة على كل من اعتنقها أو عمل فى ظلها . وعمل الحلفاء فى نفس الوقت على إحياء العناصر الاشتراكية والديمقراطية القديمة التى قضى عليها هتلر لتكون نواة لاحياء الفكرة الديمقراطية فى ألمانيا وإنشاء ألمانيا الديمقراطية المستقبلة .

على أن هذا الصراع المذهبى الذى طبع الحرب العالمية الثانية لم ينته بتحطيم الجبهة الفاشستية وظفر الجبهة الديمقراطية ، ولكنه ينشب اليوم بين حلفاء الأمس بصورة واضحة ، وتنشق « الجبهة الديمقراطية » القديمة على نفسها بعد أن وحد بينها الخطر المشترك مدى حين . والواقع أن التحالف بين روسيا البلشفية والدول الغربية خلال الحرب لم يكن أمراً طبيعيا ، ولكنه كان نتيجة محتومة لتفوق الجبهة الفاشستية خلال الحرب وللخطر المشترك الذى يهدد البلشفية والديمقراطية على السواء . ولم تنس روسيا البلشفية قط مايفرق بينها وبين حلفائها الديمقراطيين من الفوارق المذهبية الجوهرية . ولم تنس بريطانيا وأمريكا أنهما تعملان مع المارد البلشفى الذى طالما توجستا شرا من خططه ومبادئه الثورية وطالما رغبتا فى تحطيمه وسحقه .

ومن ثم فانه ما كاد لواء النصر يعقد « للأمم المتحدة » ويتم القضاء على ألمانيا النازية حتى ظهرت بوادر الخلاف واضحة بين حلفاء الأمس ، وأخذت

روسيا السوفيتية ترتد سراعاً إلى حظيرتها القديمة وتجرى فى سياستها الخارجية على طريقتها الخاصة وتحرص على تحقيق أهدافها القومية والدولية القديمة ، وتحركت المنافسات القديمة بين الفريقين فى سبيل التوسع السياسى والاقتصادى ، وظهر هذا الخلاف فى أشد صورة فى سائر الاجتماعات والمؤتمرات المشتركة التى عقدت فى العامين الأخيرين بين روسيا السوفيتية وحلفائها بالأمس : فى مؤتمر بوتسدام وفى مؤتمر موسكو وفى اجتماعات مجلس وزراء الخارجية وغيرها وكذلك فى هيئة الأمم المتحدة التى غدت مسرحاً لنضال مضطرم مستمر بين بين روسيا والدول الغربية .

ويتخذ هذا الصراع المذهبى بين روسيا البلشفية والولايات المتحدة صوراً عملية لا شك فى خطورتها . فالاعتمادات الضخمة التى أقرها الكونجرس (البرلمان الأمريكى) منذ بضعة أشهر لمساعدة اليونان وتركيا ، والاعتمادات التى طلب الرئيس ترومان اقرارها أخيراً لمساعدة فرنسا وإيطاليا والنمسا ، والبرنامج الشامل الذى وضعته أمريكا لتعمير دول أوربا الغربية وإنهاضها وهو المعروف ببرنامج مارشال ، تنبىء كلها بما تنطوى عليه من تضحيات ضخمة عن عزم أمريكا الراسخ على العمل بكل ما وسعت لتقوية الحواجز الأوربية ضد الزحف الشيوعى ، وحماية الدول التى تتعرض أكثر من غيرها للضغط الشيوعى ومطامع السياسة البلشفية ، ومعاونة الدول الغربية على مكافحة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التى تهددها بالدمار والفوضى لتكون أكثر مقدرة وجلداً على مقاومة الخطر الشيوعى الذى يلوح اليوم منذراً فى أفق الكثير منها ولا سيما إيطاليا والنمسا وفرنسا .

ولم تحجم روسيا التى ترى أن السياسة الأمريكية الرأسمالية ترمى إلى تطويقها والعمل على تقويض نظمها وثورتها عن الرد ؛ فقد عملت على إحياء الكومنترن أو الدولية الشيوعية التى ألفت خلال الحرب لتعمل على تقوية الجبهة الشيوعية فى أوربا بوسائلها الخاصة ، وجعلت مقرها فى بلغراد على مشارف البلقان وإيطاليا . وقد ظهر أثر نشاط الدولية الجديدة واضحاً فى القلاقل الشيوعية التى قامت أخيراً فى إيطاليا وفرنسا ، وفى التقريب بين دول البلقان وشرقى أوربا الخاضعة لنفوذ روسيا ، وارتباط رومانيا ويوجوسلافيا وبلغاريا وألبانيا ثم المجر ورومانيا بمعاهدات عسكرية واقتصادية تجعل منها كتلة موحدة تحت

إشراف موسكو وتوجيهها . وتجدّ روسيا فى الوقت نفسه فى تقصى أسرار القنبلة الذرية ، ولعلها قد ظفرت بها إذا صدقنا تصريحات الرفيق مولوتوف . وما زال مستقبل ألمانيا محوراً للصراع بين روسيا وبريطانيا وأمريكا ؛ إذ تريد الدولتان الغربيتان أن تجعلا من ألمانيا حاجزاً ضد البلشفية ، وتريد روسيا أن تظفر من الاشراف على مصاير ألمانيا الاقتصادية بأكبر قسط ، وتريد أن تحصل من موارد ألمانيا على أعظم نصيب ، وتعارضها أمريكا وبريطانيا فى هذ السياسة . ويبدو الاصطدام الروسى الأمريكى أوضح وأشد حيثما تعلق الأمر بمصالح استراتجية أو بترولية حسبما يحدث فى شرق البحر الأبيض المتوسط وفى كوريا والصين وإيران .

وهكذا تضطرم المعركة بين الجبهتين الروسية والأمريكية البريطانية سافرة يبدو لونها المذهبى واضحاً لا خفاء فيه ، فهى معركة البلشفية والرأسمالية ، وهى فوق ذلك معركة التوسع والنفوذ العالمى . وأخطر ما فيها نزعتها المذهبية التى ما فتئت منذ ثلاثين عاما تهدد سلام العالم والتى كانت أكبر عامل فى اضرام نار الحرب العالمية الثانية . فاذا لم ينجح الفريقان المتنازعان إلى نوع من التهادن والتفاهم ، وإذا استمر هذا الصراع بينهما على اضطرامه ، فانه سوف يفضى بلا ريب إلى نتيجته الطبيعية ، وهى تسميم الأفق الدولى والتمهيد المنظم لقيام حرب عالمية جديدة ، يحاول كل من الفريقين فيها أن يقضى على الآخر وعلى مبادئه ونظمه بطريقة حاسمة . وقد تطول نذر هذا الانفجار الجديد أعواماً ، ولكنه سوف يقع فى النهاية إذا استمر كل فريق فى إصراره على موقفه وغاياته ومثله .

محمد عبد الله عنان

بين الدلتا والصعيد

فى مقال سابق[1] تحدثنا عن عصر ما قبل التاريخ والحضارات المختلفة التى نشأت فى شمال مصر وجنوبها ؛ وخرجنا بعد استعراض تلك الحضارات بأنه حتى فى ذلك العهد السحيق ، الذى نستطيع أن نرجع به فى القليل إلى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، كانت هناك اختلافات ظاهرة فى المدنية والحضارة عامة بين شمال مصر وجنوبها . ومع ذلك فلم تلبث تلك الاختلافات أن تداخل بعضها فى بعض وأكمل بعضها بعضاً ، فاتحد مظهر المدنية واتخذت مصر طابعها الحضارى العام قبل أن يطلع فجر التاريخ . وقد يكون من المفيد فى هذا المقال أن نحاول أن نتتبع أسس الاختلاف بين شمال مصر وجنوبها ، وما يمكن أن نربطه به أو أن نرده إليه من اختلافات فى الطبيعة بين ما اصطلح الناس على أن يسموه الدلتا والصعيد فى وادى النيل ، وأن نحاول من جهة أخرى أن نعلل مظاهر الترابط والتكامل فى الحياة المصرية وفى حضارة مصر التاريخية ، مما كانت تقضى به عوامل الوحدة الطبيعية بين وجهى مصر ؛ تلك الوحدة التى سبق أن تحدثنا عنها إلى القراء فى أكثر من مقال .

وقد يحسن بنا أن نلج الموضوع من بابه ، فنشير إشارة عارضة إلى تاريخ نهر النيل وتطوره الذى أدى إلى تكوّن البيئة الطبيعية فى كل من الدلتا والصعيد . ذلك أن نهر النيل وإن كان من أعظم أنهار الدنيا ، إن لم يكن أعظمها ، من حيث جريانه وطوله وانتظامه ، ومن حيث إنه كان أول نهر عظيم قامت عن ضفافه مدنية مستقرة عريقة فى القدم ؛ فانه مع ذلك نهر حديث جدا من الناحية الجيولوجية . ومن الثابت الآن أن منابعه الحبشية التى

---

(١) «الكاتب المصرى» عدد ٢٩ (فبراير ١٩٤٨) .

تجلب الغرين والطمى الدقيق الذى يكوّن تربة مصر الخصيبة ، لم تكن فى أول الأمر تتجه مياهها نحو الشمال ؛ بل إنها لم تتصل بنيل النوبة ومصر إلا فى عهد جيولوچى متأخر . حتى إنه ليقال على وجه التقدير إن طمى الحبشة لم يصل مصر إلا منذ نحو اثنى عشر ألف عام ؛ بل إن اتجاه العلماء يرمى الآن إلى اختصار تلك الفترة ، واعتبار وصول طمى الحبشة فى أدنى وادى النيل أحدث من ذلك . والشئ المهم أنه قبل أن يصل الطمى الدقيق كان النيل الأدنى يعتمد فى جريانه على الأمطار المحلية التى تسقط فى مصر وبلاد النوبة ؛ وكانت تلك الأمطار المحلية تجلب الحصى والحصباء والرمال الخشنة فتردم بها الوادى وتنشرها فى قاع ما صار بعد ذلك دلتا النيل . حتى إذا ما انقضى العصر المطير فى مصر وبلاد النوبة ، وانقطع مورد المواد الخشنة من رواسب نهر النيل ، كانت يد الخليقة المبدعة قد حولت مياه الحبشة — لأسباب جيولوجية لا داعى لأن نمسها الآن — فاندفعت تلك المياه نحو مصر وفرشت أرضها بطبقة رقيقة من الطمى ، هى التى استقر عليها الانسان وأخذ يفلحها منذ العصر الحجرى الحديث .

ولكن استقرار الانسان فى مصر ، واديها ودلتاها ، لم يأت دفعة واحدة ، وإنما جاء تدريجيا منذ مطلع العصر الحجرى الحديث . فنزل الانسان من الصحارى وعاش أول الأمر على الحافات الخارجية لوادى النيل . ولم يكن اتصال الانسان إذ ذاك بمجرى النيل قويا ولا مباشراً ؛ وإنما هو فى الحقيقة كان يعيش بين الصحراء والوادى . فكان يلتمس الصيد فى بعض الأحيان بين الحيوانات التى تسرح فى الصحراء ولكنها تهبط الوادى سعياً إلى الماء لا سيما فى فصل الجفاف ؛ كما كان يزرع بعض الحبوب ويلتقط بعض الثمرات أو يرعى بعض ما يستأنس من الحيوان فوق أرض الوادى وعلى حافات دلتاه . وعلى ذلك فلابد لنا أن نتصور أن حياة الانسان فى مصر كانت بين الصحراء والوادى . ويبدو أنها بقيت كذلك خلال العصر الحجرى الحديث ، وأنها احتفظت ببعض أمارات الاختلاط فيما تلا ذلك من أوائل عصر بداءة المعدن ؛ حتى إذا ما انتصف العهد الذى نسميه ما قبل الأسرات أى فى أوائل الألف الرابعة قبل الميلاد ، نزل سكان حافات الوادى إلى قاعه ، وأخذوا يعيشون فى جوار مجرى النهر ، ويقسمون أرض الوادى والدلتا إلى حياض مربعة أو

مستطيلة ، وينظمون مياه الفيضان ، حتى تجرى إلى الحياض فتغطيها بالطمى تغطية منتظمة ، ثم تنصرف عنها انصرافاً مضبوطاً محكماً . لتعود إلى مجرى النهر من جديد ، وتنصرف آخر الأمر إلى البحر ، بعد أن تغذى أرض الوادى والدلتا بأغلب ما تحمل من طمى وغرين . ولعل السبب الأكبر فى نزول السكان إلى قاع الوادى وأرض الدلتا أن النيل قد بلغ فى هذا الطور مرحلة خاصة من الأرساب ، فاستطاع أن يردم قاع واديه ، وأن يزيل منه المستنقعات والمسطحات المائية التى تعوق الفلاحة والاستقرار فوق الأرض . فضلا عن أن صحارى مصر كانت قد ازدادت جفافاً فى هذا الدور ، فلم يعد فى طاقة السكان أن يعيشوا بين الصحارى والوادى كما كانوا يفعلون من قبل ، بل إنهم اضطروا إلى أن يزداد اعتمادهم على فلاحة الأرض وتنظيم استغلال مياه الفيضان فى الرى والزراعة وفى استنبات ما يحفظ الحياة على الانسان والحيوان فى أرض هذا الوادى الخصيب .

ولقد كان نزول السكان إلى قاع الوادى نقطة تحول خطير فى حياة مصر والمصريين . بل إننا لا نبالغ إذا اعتبرنا هذا التحول إيذاناً بارتباط الانسان ببيئة فى مصر ارتباطاً مباشراً هو الذى لم يلبث أن انتهى إلى ظهور « العصبية الاقليمية » فى صورة محلية أول الأمر ، ثم إقليمية واسعة بعد ذلك ، ثم فى صورة قومية تشمل الوطن كله آخر الأمر . ولقد قامت هذه العصبية الاقليمية على أساس ارتباط حياة السكان بالأرض ارتباطاً مباشراً ؛ كما قامت أيضاً على أساس أن جهود الانسان تركزت فى بقاع معينة من أرض الوادى أو الدلتا هى التى أقيمت حولها الجسور لتحدد الحياض ، وهى التى شقت فيها القنوات لتحمل ماء النيل إلى الحياض أو لتصرفه عنها ، وهى التى أقيمت فوقها كومات التراب العالية لتقام على ذراها القرى فوق مستوى الفيضان ، ثم هى التى تفلح وتحرس مزروعاتها حتى تجنى ثمارها وتحصد حبوبها ، ثم هى أخيراً التى يرعى فوقها المستأنس من الحيوان بعد أن جفت الصحارى ولم يبق من مرعى غير أرض النيل . لذلك كله قد ارتبطت جهود مجموعات البشر بقطع معينة من أرض مصر ؛ وحل ما نسميه الوحدة « الاقليمية » محل ما كان يعرف بالوحدة « القَبَلية » ؛ وقسمت أرض مصر بطريقة آلية إلى مناطق أو «أوطان» صغيرة ، انتشرت ، وجاور بعضها بعضاً على طول الوادى وفى دلتاه . ونستطيع

أن نتعرف شيئاً عن تلك الأوطان الصغيرة القديمة فيما خلفه لنا أهلها الأولون من آثار قديمة ، أغلبها من آنية الفخار التى رسمت عليها القوارب ، مما يدل على استخدام النهر فى الملاحة ، وعلى ارتباط حياة الانسان بمياهه الجارية ، ارتباطاً يبرز فى صورة جلية فى أواسط عصر ما قبل الأسرات ؛ ويزداد قوة كلما جرى به الزمن . وعلى هذه القوارب رسم أولئك الأولون علامات أو «شارات» تميز مختلف الأقاليم . وكانت هذه الشارات أقدم « أعلام » عرفها التاريخ ؛ فكان كل وطن صغير يعتز بشارته ؛ وكان الكفاح بين إقليم وإقليم يتمثل فى اعتلاء شارة على أخرى . وهكذا احتكت الأقاليم وتداخلت الشارات حتى انتهى الأمر بها جميعاً إلى ظهور وجهين اثنين لمصر ، هما الدلتا والصعيد ، قبيل أن يتحد القطر كله تحت إمرة نارمر الذى اشتهر فى التاريخ باسم مينا ، فرعون مصر الأول .

ولكننا لن نستطيع أن نتفهم الكفاح بين الدلتا والصعيد تفهماً صادقاً صحيحاً ، ولا أن نعلل ما نلحظه خلال أعصر التاريخ حتى يومنا الحاضر بين شمال مصر وجنوبها من اختلافات فى حياة السكان وتكوينهم ومشاربهم واتجاه ثقافتهم . . . لن نستطيع أن نتفهم ذلك دون أن نرجع إلى الطبيعة مرة أخرى ، فنحاول أن نكشف عما هناك من اختلاف فى البيئة والموقع والظروف الجغرافية المختلفة التى تسود الدلتا من جهة ، وتسود الصعيد من جهة أخرى .

والدلتا إقليم فسيح تمتد فيه الأراضى ذات اليمين وذات الشمال ، وتجرى فوقه فروع النيل العديدة ، تجتمع لتفترق ، وتنثنى لتتشابك ، وينحدر بعضها نحو الشمال الشرقى وبعضها الآخر نحو الشمال الغربى . وتختلف الأراضى فى الدلتا ، فبعضها مرتفع تقل فيه المستنقعات ، وبعضها منخفض تسوده الأحراش أو تغطيه المياه ، وبعضها رملى على الجوانب خفيف التربة ، وبعضها الآخر طينى متماسك ثقيل التربة . ثم إن جنوب الدلتا قريب من قلب مصر بعيد عن البحر ، تقل به الأمطار فهو يعتمد على مياه النهر اعتماداً كليا ؛ على حين أن شمالها قريب من البحر ، يسقط به من المطر ما يجعله أقل اعتماداً على مياه النيل من بعض الوجوه ، وتكثر به أراضى المراعى ومسطحات الماء على حساب أرض الزراعة والمسطحات الجافة . ثم إن للدلتا جهات أربع يختلف

بعضها عن بعض غاية الاختلاف ؛ فشرقها يقع إلى جوار صحراء سينا ويتلقى الغزوات حين تأتى من الشرق القريب ؛ وغربها مجاور لرعاة ليبيا الذين اتصلت بهم ثقافته منذ أقدم العصور ؛ وشمالها إقليم بحرى ارتبطت حياة سكانه بالمستنقعات والبحيرات وبالبحر ذاته ، فهم صيادون وملاحون ، وهم قد تأثرت حياتهم وثقافتهم بحياة البحر ، وبما قامت فى جزره الاغريقية وما وراءها من ثقافات وحضارات ؛ ثم إن جنوب الدلتا وداخليتها إقليم نيلى كان بمنأى نسبى عن مصادر الغزوات من الصحارى المجاورة على الجانبين ومن البحار الواقعة فى الشمال ؛ ولذلك احتفظ بطابعه الدلتاوى الخاص .

ولقد كان لكل هذه المؤثرات والظروف الجغرافية المختلفة أثرها فى حياة الدلتا والدلتاويين من أبناء النيل . فالدلتا إقليم غنى ، تتسع فيه الأرض ، تتنوع الموارد فى الزراعة ، والرعى وصيد الأسماك ، والتجارة ، والاتصال بالصحارى المجاورة والعالم البحرى ، وما وراء الصحارى والبحار ، ولذلك كانت الدلتا على الدوام مصدر الخيرات الأكبر بالنسبة لمصر ؛ وكانت حياة أبنائها فى عصور ما قبل التاريخ وحتى وقتنا الحاضر أكثر رخاء وأوفر مادة من حياة أبناء الصعيد فى جملته[1] . والدلتا كانت إلى جانب ذلك كثيرة السكان مترامية الأطراف ؛ وصلتها الغزوات من الخارج ، ولكنها استطاعت بحكم اتساع أطرافها وكثرة سكانها ، وبحكم أن صحارى مصر كانت على الجملة جافة وازداد جفافها خلال أعصر التاريخ ، مما جعل من العسير على الغزاة أن يعبروها فى أكثر من أعداد محدودة . . . استطاعت الدلتا بذلك كله أن تتلقى الغزوات ، وأن تهضم الغزاة موجة بعد موجة ، بما فى ذلك بعض الرعاة ممن استقروا على حافاتها الشرقية أو الغربية ، وانتقلوا بالتدريج من حياة الرعاة الصحراويين إلى حياة الزراع المستقرين ؛ وبما فى ذلك من استقر على سواحلها ونزل من موانيها الشمالية من أهل الجزر والبحار الشمالية ، ممن حملوا إلى مصر ألواناً من الجنس والثقافة والحياة البحرية لم تلبث كلها أن ذابت وتحللت فى حياة مصر والدلتا بعد فترة قصيرة أو طويلة . وإلى ذلك كله فان الدلتا ، إذ

---

(١) هذه العبارة عامة ، لا تنطبق على فئات خاصة من ذوى الأملاك الواسعة فى الصعيد .

استطاعت أن تهضم الغزاة وأن تحتفظ لمصر بطابعها الجنسى والثقافى العام على مر الزمن فانها لا شك قد أفادت من احتكاكها بالخارج ، فتنوعت ثقافتها ، واتسع أفق أبنائها ، وصارت على الزمن أبعد تقدماً وأكثر استعداداً للأخذ بأسباب المدنية والثقافة ، وتلقى معالم التجديد عن الخارج شرقاً أو غرباً أو شمالا . وهى لذلك كانت منذ أقدم العصور ، وبقيت على الجملة خلال أغلب أدوار تاريخ مصر ، أعلى ثقافة من الصعيد ، وأكثر استعداداً لأن تأخذ بأسباب النهوض والتجديد ، ولأن تتلقى الدروس عن الخارج ، ولأن تحد من تلك العصبية الاقليمية التى امتاز بها أبناء الصعيد على نحو حال فى بعض الأحيان بينهم وبين أن يأخذوا عن العالم الخارجى أخذاً حرا ، يجدد الحياة ويبعث فى ثقافتها ألواناً طريفة من ثمرات التجديد .

على أن الدلتا إذا كانت قد امتازت على الجملة بغناها ، وتنوع مواردها ، وكثرة عدد سكانها ، واتساع اتصالاتها بالخارج ، وبأنها رغم تلك الاتصالات قد حفظت على مصر طابعها الثقافى لأنها كانت من الكبر والاتساع بحيث لا يسهل الطغيان عليها مهما تلقت من الخارج من غزوات ، ومهما نقلت عن الخارج من عناصر الثقافة وألوانها . . . إذا كانت الدلتا قد أدت ذلك كله لمصر ، فانها رغم ذلك كله كانت إقليماً يصعب توحيد أهله وجمعهم على أمر واحد فى شؤون التنظيم والادارة ، وسياسة الحكم ، وما اصطلح الناس فى هذه السنوات الأخيرة على أن يسموه « الدفاع العسكرى » . ولا غرو فالدلتا إقليم تقطعه فروع النهر فتفصل بين مختلف أجزائه . وهى إقليم تختلف فيه حدود المقاطعات وتتغير من وقت لآخر بحكم تغير فروع النهر وتحول مجاريها من عصر لعصر . ثم إن مصالح السكان ومصادر الخطر الخارجى تختلف من جهة لأخرى ؛ فشرقها لا تهمه الأخطار والهجمات إن جاءت من الغرب ؛ وغربها لا تهمه الغزوات إن جاءت من الشرق ؛ وشمالها يكاد لا يعنى بغير ما يأتى عن طريق البحر أو ما يتصل بالحياة البحرية ؛ وقلبها كان مطمعا للجميع ، فتفرقت ميول أهله وأصحابه بين تلك الجهات جميعاً . ثم إن الدلتا يصعب توحيدها وتصعب إقامة عاصمة واحدة تجمع بين أطرافها . ولذلك كله فقد كانت وكان أهلها أقل عصبية وأقل تماسكا من الناحية الادارية والعسكرية . قد تشعبت وجهات بنيها واتجاهاتهم ومصالحهم وارتباطاتهم ؛ فلم نسمع كثيراً فى تاريخ مصر الطويل

بأن الدلتا كانت مبعث نهضة عسكرية شاملة تقوم على قوة « الرجال » أكثر مما تستند إلى قوة « المال » . وعلى العكس من ذلك كله كانت الحال فى الصعيد . فهو إقليم فقير نسبيا ، تضيق فيه أراضى الوادى على جانبى النهر ، بل إن عرض الوادى كله لا يزيد فى بعض جهاته على بضعة آلاف قليلة من الامتار . ثم إن الأرض فى الصعيد تصلح على الجملة للزراعة أكثر مما تصلح للرعى أو غيره ؛ فليس هناك « تنوع » فى موارد الانتاج كما كانت الحال فى الدلتا . كذلك كان الاتصال التجارى بالعالم الخارجى محدوداً ومع جهات أفقر مما كان عليه اتصال الدلتا بالشرق القريب والبحر الأبيض المتوسط . ثم إن اتصالات الصعيد الثقافية بالعالم الخارجى كانت قليلة أيضاً . بل إن الصعيد كان يعتبر منفذاً ومخرجاً لثقافة مصر وحضارتها نحو جنوب الوادى من جهة ، ونحو البحر الأحمر وبلاد بنت من جهة أخرى ، أكثر مما كان مدخلا لألوان الثقافة من تلك البلاد . وحتى الصحارى والواحات المجاورة للصعيد لم يكن بها من السكان الرعاة مثل ما كان على جوانب الدلتا من الرعاة الأقدمين ، الذين أثار اتصالهم أهل الدلتا بألوان طريفة من الثقافة بين حين وحين . بل إننا إذا رجعنا إلى الزراعة ذاتها وجدنا أن الدلتا كانت تفيد فى محصولاتها الشتوية بأمطار الشتاء التى تغذى النبات فى وقت تنحسر فيه مياه النيل ، على حين كانت الأمطار شحيحة فى الصعيد مما أدى إلى فقر المحاصيل بالنسبة للحالة فى الشمال . لذلك كله كان الصعيد أضيق فى مساحة الأرض ، وأقل فى عدد السكان ، وأفقر فى الزراعة ، وأقل فى تنوع المحاصيل والموارد ؛ كما كان قليل الاتصال بالعالم الخارجى ومحدوداً فى أفق ثقافته ؛ بل إنه كثيراً ما اعتمد فى هذه الناحية الأخيرة على ما كانت الدلتا تمده به من ألوان الفكر والثقافة النيلية والخارجية بين حين وحين . ومع ذلك كله فقد ساعد تحديد الوادى وضيقه وامتداده من الجنوب إلى الشمال وجريان نهر النيل فى مجرى واحد من أقصى الصعيد إلى أقصاه ؛ ساعد ذلك كله أن ترتبط الأقاليم المحلية فى الصعيد بعضها ببعض ، وعلى أن يسهل توحيد ذلك الوجه من مصر توحيداً إداريا وعسكريا . كما ساعدت قلة اتصال الصعيد بالعالم الخارجى على أن تتركز فيه وفى أهله روح العصبية المصرية ، وروح الثورة على التجديد ، لا سيما إن جاء مفروضاً على مصر أو مستعاراً من الخارج.

ولطالما تمثلت روح العصبية والثورة هذه فى نظام عسكرى ساعد على نموه ما استشعره أبناء الصعيد فيما بينهم دائما من إحساس بالوحدة ونزوع إلى التماسك والتساند والنظام . بل طالما استطاع صعيد مصر أن يجمع كلمة أبنائه جميعاً على أمر واحد بأيسر مما استطاعت دلتا النيل ، بحياتها المتفرقة ومناحيها المتشعبة . ولقد تمثلت روح الوحدة فى الصعيد فى كثير مما مرت به مصر من أزمات تاريخية ، وما تعرضت له من أخطار أجنبية مزقت وحدتها ، لا سيما فى بعض أدوار العهد الفرعونى . . . ذلك العهد الذى كان مطلعه تلك الوحدة الشاملة التى تمت للبلاد على يد نارمر ، أمير طيبة ، وجامع كلمة الصعيد ، ثم موحد الوجهين تحت تاج واحد .

أما بعد فهذا مقال سيقرؤه كثير من أبناء الدلتا وأبناء الصعيد . وليس القصد منه أن يرضى عنه أولئك أو أن يغضب منه هؤلاء ، ولا القصد منه أن يكتفى القارئ بأن يخرج بقضية عامة هى أن الدلتا قد أمدت مصر بالحياة والثقافة والمال ، على حين أمدها الصعيد بالنظام والوحدة وقيادة الرجال ؛ ولا أن يخرج بأن الدلتا حفظت على مصر حضارتها ، وتاريخها الثقافى المتصل ، وطابعها المصرى الذى يجمع بين التميز والتجديد ، فى الجنس والثقافة ومختلف مظاهر الحياة المدنية ، وبأن الصعيد أنقذ العصبية المصرية ، ورد إليها روح الوحدة والكفاح بين حين وحين ؛ ولا القصد منه أن يمن أبناء الشمال على أبناء الجنوب بما قدموا لهم ولمصر أم الجميع ، ولا أن يكون المن من قبل أبناء الجنوب على أبناء الشمال . وإنما القصد أن نحاول أن نلتمس فى الطبيعة والبيئة والظروف الجغرافية والموقع الجغرافى العام ، ما قد يعيننا على أن نجد تفسيراً مقبولا لما بين الدلتا والصعيد من وجوه الاختلاف . ومع ذلك فينبغى أن نذكر دائما أن هذين القسمين العتيدين من مصر الخالدة كانا على الدوام متكاملين ؛ ولم يستطع أحدهما فى يوم من الأيام أن يدعى أنه مصر بكاملها ، أو انه أقرب إلى روح مصر من الآخر ، وإنما أمد كل منهما الآخر بما اختصته به الطبيعة من خير وفضل . فلم تملك الدلتا فى وقت من الأوقات أن تحبس خيراتها أو ثقافتها على نفسها ؛ ولم يملك الصعيد فى وقت من الأوقات أن يحبس على نفسه نظامه وعصبيته ومقدرته على القيادة والتوحيد . وإنما جمع الله بين

الشطرين فى وحدة شاملة رائعة ؛ هى تلك التى أتم الله بها نعمته على أبناء وادى النيل ؛ بل هى تلك التى امتازت بها مصر على غيرها من البلاد القديمة والحديثة ؛ فتكاملت فيها الأوضاع ، وتساندت فيها مقومات الحياة ، وتشابكت المصالح تشابكا لا يدع مجالا لانقسام أو انقطاع . ولم يكن غريباً أن تبرز الوحدة فى مصر قبل أن يعرف العالم فى غير مصر شيئا عن تكامل الحياة بين الانسان وأخيه الانسان ، وعن أن الله خلق الناس فرادى لتتصل بينهم الأسباب ، ولتكون وحدة الحياة فيما بينهم مستمدة من وحدة الخليقة ؛ وتكون وحدة الخليقة بذلك كله صورة خالدة من وحدة الله .

سليمان حزين

الرحلة الايطالية

وداع إيطـــــاليا

على بحيرة كومو

فى شطّكِ الأحوَى ختامُ مطافى   يا جنة الملتاع والمصطاف (1)

طافت بشطيْك الرّبى مخضرّةً   بالغار والزيتون والصفصاف

وطلعت كالقدح المدوّر مترعاً   حتى الطفافة بالرحيق الصافى (2)

سكِرَتْ بمرآك النواظر والحجى   والحسُّ سكراً غير ذى إنزاف (3)

وتنزّلتْ فيك السكينة كالندى   فى نفسٍ مجروح الحشى لهّاف (4)

طاب التوحّدُ فى حماك ولم يكن   عندى التوحّد طيّبَ الأوصاف

ما مُوحَدٌ مَن كان فيك مصاحِباً   للطيب والألوان والأعطاف

أزهار بستانٍ ، ودَوْح خميلة ،   وشذاً كأذكى العطر للمستاف (5)

يا ما أحيلى ساعةً سُليتُها   فى ظل تلك الدوحة المضياف (6)

فى ظلها عرفتْ أفاويقَ الرضى   مَنْ لم تكن تدريه غير نطاف (7)

رودٌ من الملكات جافت خدرَها   كرهاً ولم تخلع ثيابَ زفاف (8)

جوّابةٌ شرقاً تهيم ومغرباً   تهيامَ لا وانٍ ولا وقّاف

هامت طويلا ما استقر بها النوى   إلاّ بساحل لجّك الرّجّاف

تخذتك خندقها المملّا ، دونه   جيشٌ من التشهير والارجاف

يا حسنَ مائك لازورداً أزرقاً   ذا رونق كالجوهر الشفّاف

عينى موكّلةٌ به مسحورةٌ   ترنو إليك بناظرٍ مسراف

أبداً تَفرّس فى حشاك كأنه يُطوَى على سرٍّ لسحرك خاف
يحكى صفاؤك لى — كرؤيا حالمٍ — عن كل ما فى هذه الأكناف
جلّيتهنّ فكل شئ لامعٌ وشنفتهنّ فكل شئ طاف(٩)
رقصت بصفحتك الربى وتخايلت شمُّ الجبال عليك كالأطياف
وبدا الربابُ عليك يفضَ ملائكٍ تهفو بأجنحة لهنّ لطاف(١٠)
وتراءت الجناتُ فيك وأصلُها فى ضفتَيْك شوابكَ الأطراف
لله أنتِ ، بكل ركنٍ آيةٌ تُحيى يقينَ الملحد المتجافى
لوددتُ أحيا فى ضفافك مُخلَداً بعضُ الحياة هنا خلودٌ كاف
لوددتُ ، لولا أن عَوْدىَ مُعْجَلٌ نادَى به داعى الهوى المتلاف
نادت به زوجى هناك ضجيعةً فى أرض وادى النيل كالأضياف
يا أرض إيطاليا الوداعَ على الهوى والودّ والتقدير والانصاف
أرضَ الطبيعة كالجنان تعرّضت فى الحلم ألطافاً على ألطاف
أرضَ الفنون تجمّعت آياتُها كالشهب آلافاً على آلاف
لك من طبيعتك الجميلة غُنْيةٌ عن عسجد الأبيات والأشناف
ومنَ الفنون إذا دهتك كريهةٌ ينبوعُ سحرٍ من جراحك شاف

عبد الرحمن صدقى

---

(١) الاحوى : الاسود تعلوه خضرة .
(٢) الطفافة من الاناء أعلاه .
(٣) الانزاف : ذهاب العقل من السكر .
(٤) اللهاف من لهف نفسه بتشديد الهاء : قال والهفاه متحسراً على نفسه .
(٥) المستاف : المستنشق .
(٦) الدوحة المضياف إشارة إلى دوحة جيز من أعظم الدوح فى إيطاليا فى الفندق القائم على بحيرة كومو المعروف بفيلا ديستى Hôtel Villa d'Este .

(٧) الأفاويق : الفيض فى أثر الفيض . وأصله ما اجتمع من الماء فى السحاب فهو يمطر ساعة بعد ساعة .

(٨) الرود الشابة الحسنة . والاشارة هنا إلى الأميرة ثم الملكة كارولين ابنة دوق برونزويك الألمانى وزوجة ولى عهد انجلترا ثم ملكها جورج الرابع ، وقد انفصلا بعد عام واحد من زواجهما ولم يمض على ميلاد ابنتهما شارلوت إلا القليل . فعاشت الأميرة فى عزلتها نحو الثمانى عشرة سنة فى إنجلترا . وعلى الرغم من المساعى التى بذلت والأدلة التى أقيمت على كذب الأراجيف الشائنة التى ألصقت بها ، بقى الأمير مصراً على سوء ظنه بها وجفائه لها . فرحلت الأميرة عام ١٨١٤ إلى موطنها فى برونزويك فاذا هى موضع القيل والقال فى قصر الأمارة الألمانية ، فكرهت المقام بين قومها . وعمدت إلى الأسفار تلتمس التفرج والسلوى بالمشاهد والآثار . فارتحلت أول ما ارتحلت إلى نابولى ، ثم زارت جزائر إلبا وكورسيكا وصقلية ، ثم أبحرت إلى شمال افريقية ومن بعدها إلى فلسطين واليونان ومالطة ، ثم عادت إلى نابولى ومنها إلى رومه . وكانت تهبط حيثما هبطت مثل ملك الخير ، تعود المرضى وتحسن إلى الفقراء المحتاجين حتى عرفت بينهم باسم « الأميرة المحسنة La buona Principessa » . ثم أصعدت الأميرة إلى شمال إيطاليا ؛ وأقامت بعض الوقت فى ليفورن وجنوه وميلان ، حتى إذا زارت منطقة البحيرات كانت بحيرة كومو أكثر المواضع فتنة لها وأطيبها موقعاً فى نفسها . فاشترت فى شرنوبيو Cernobbio مغنى على البحيرة ، فجملته ، وزادت فيه ، وجعلت له المراسى من رخام للمراكب والقوارب ، واستجدت به حديقة منسقة على الطراز الانجليزى ، وفيها دوحة الجميز الكبرى — ويقال إنها أبدع دوح الجميز فى إيطاليا بأسرها — وفى ظلها كانت تجلس الأميرة الانجليزية الجميلة La graciosissima Principessa فى أكثر الأحيان ، تطعم وتسمر طلباً للسلوان ، مع حاشيتها وخاصة معارفها والمتصلين بها . واستقرت كارولين فى هذا المغنى الذى عرف من وقتها باسمه الجميل فيلا ديستى Villa d'Este ، حتى إذا مات الملك جورج الثالث ، وآل العرش إلى زوجها ، رأت من واجبها ومن حقها — وهى اليوم ملكة بريطانيا العظمى وإيرلندة — أن تعود إلى لندن إلى جانب زوجها الملك ، فاذا بها تمنع من الاشتراك فى حفلة تتويجه فى كنيسة وستمنستر ، ثم لا ينقضى على هذا المنع الأليم أسابيع ثلاثة حتى تقضى هذه الملكة التعسة نحبها كسيرة القلب فريدة مستوحدة .

(٩) شفه : أنحله ورققه .

(١٠) الرباب السحاب الأبيض .

حياة غاندى وموته

قتل غاندى فى أواخر يناير من هذا العام . وقد كانت حياته ، كما كان كفاحه ، بل كما كان موته ، كلها حافلة بالمعنى والمغزى .

كان مغزى حياته أننا يجب أن نعرف كيف نستغنى لا كيف نقتنى .

وكان مغزى كفاحه أننا نستطيع أن نتغلب على خصومنا ونقهر الحيوان فى أعدائنا بانسانيتنا .

وكان مغزى قتله أن الهند تستغرب ، وتنفض عن نفسها ، النفس الهندية الناسكة ، لباس النسك الشرقى ، وتأخذ بأساليب الغرب فى تنازع البقاء .

ولد غاندى فى ١٨٦٩ . وتربى فى حضن أسرة لا تأكل اللحم . وفى الهند ملايين لا يأكلون اللحم بحكم الضرورة التى تعود بعد ذلك عقيدة دينية . لأن الأديان والعقائد يجب أن تتلاءم مع البيئة . وقد كانت البيئة الهندية فى آلاف السنين الماضية فقيرة ، فصار الفقر فضيلة ، حتى إن الناسك فى الهند يسمى إلى الآن « فقيراً » باستعمال هذه الكلمة العربية . ومن فقر الهند ظهرت طبقة المنبوذين أو الأنجاس التى أذلها الفقر والحرمان فانحدرت إلى الحضيض فى المكانة الاجتماعية . ثم جاءت العقيدة الدينية فجعلت الآلهة الهندوكية تقر هذه الطبقة على حضيضها .

وبعد أن تعلم غاندى فى المدارس الهندية رحل إلى انجلترا . وذلك كى يتعلم فى تلك المؤسسات الانجليزية التى يتخرج فيها المحامون ، وهى ليست مدارس بل نقابات قديمة . ومع أن الهند كان سكانها يترجحون بين ٣٠٠ و ٤٠٠ مليون حين رحل إلى انجلترا فانه لم تكن بها مدرسة للحقوق ، إذ كان يجب على كل هندى يرغب فى احتراف المحاماة أو القضاء أن يتعلم فى انجلترا . وهذا بعض أساليب الاستعمار .

ومع أن غاندى كتب كثيراً عن نفسه فانه أوجز فى الكلام عن إقامته فى انجلترا . ولكنا نعرف أنه أكل اللحم على سبيل التجربة . ولابد أن عقله

التجريبى قد حمله على تجارب واختبارات أخرى . ولكن المتأمل لحياته بعد ذلك يجد أنه عاد من انجلترا شرقيا هندوكيا لم تتغير شخصيته إلا قليلا ، قليلا جدا ؛ لأننا نجده بعد ذلك بأربعين سنة وهو يؤمن ويتكلم كالهندوكيين ويعبد آلهتهم ويشيد بفضائل الكتب الدينية الهندوكية .

وحاول غاندى أن يرتزق بالمحاماة فى الهند فلم يفلح . فرحل إلى أفريقيا الجنوبية حيث كانت الحكومات والشركات هناك قد استقدمت العمال من الهند كى يعملوا فى مناجم الذهب والألماس بأجور منخفضة لا يرضاها العمال البيض . وهناك فى أفريقيا الجنوبية اختمر فى رأس غاندى مذهبه السياسى وفلسفته الشخصية . وقد ثبت عليهما إلى يوم وفاته ، بل قتل لاستمساكه بهما .

والمذهب السياسى والفلسفة الشخصية يندغمان عند غاندى . وخلاصتهما أننا يجب ألا نقاوم أعداءنا بالعنف والبطش ، وأن الحياة كائنة ما كانت مقدسة ، فيجب ألا نقتل حيواناً إلا عند الضرورة . وقد حدث وهو فى أفريقيا الجنوبية أن وجد أحد أتباعه حية سامة تحت سريره فاحتاج إلى استشارته فى قتلها . وأشار غاندى بقتلها إذا لم يكن هناك مفر من القتل صيانة لحياة الانسان ؛ لأن حياة الانسان أغلى من حياة الحية . وهذا هو أيضاً مذهب البيرت شفيتزر . وإنما غاندى يستند إلى ديانته الهندوكية التى تقدس كل حى وتمنع القتل . وشفيتزر يستند إلى فلسفته . . . المسيحية الاغريقية الأوربية . . . ونحن جميعاً نرى أن تقديس الحياة إنما هو الاستنتاج المنطقى لنظرية التطور ، أى يجب أن نصون كل حى إلا إذا تعارضت الحياة الدنيا مع الحياة العليا ، الحية مع الانسان ، فعندئذ يجب أن نعدم الحياة الدنيا كى تبقى الحياة العليا .

وعاش غاندى طوال عمره وهو نباتى . وحاول فى البداية أن يستغنى عن اللبن ومشتقاته . ولكن قواه خارت ؛ لأن الفواكه والخضراوات لم تكفه ، فأضاف إليهما اللبن . ولم يكن يأكل الخبز . وقد ألف كتاباً عن الطعام كان ولا يزال أروج كتبه . وقد أثبت ببلوغه الثامنة والسبعين أننا نستطيع أن نعيش بأقل الطعام الذى يحوى القليل من البروتين . وكان غاندى منهمكا فى العمل بل أحياناً فى العمل الشاق . ولم يكن يبالى أن يسير نحو عشرين كيلومتراً . وكان يعمل فى الأصيل غازلا على مغزله فى الوقت الذى نقيل فيه فى مصر شباباً وشيوخاً .

ونحن نعيش كى نقتنى ، ولكن غاندى عاش وهو مستغن . وكان يتعلم بالتجربة كيف يستغنى . فانه وجد فى فترة من حياته أنه يحتاج إلى المسهلات يشربها فى الصباح كل يوم كى يحرك بها أمعاءه . ولكنه استغنى عنها بأن نقص مقادير وجباته وجعلها من الخضراوات والفواكه واللبن . ووجد أن أعباء الملابس التى نشتريها ونكدسها ونكاثر ونفاخر بها ليست ضرورية ، وأن الاستغناء عنها خير من اقتنائها ، فكان يقنع منها بشملة . وكان فى طعامه ولباسه لا يكلف الهند فى العام كله أكثر من ثلاثة أو أربعة جنيهات أى مقدار ما ينفقه رجل متوسط فى الأسبوع فى مصر أو أوربا .

ثم كان غاندى منتجاً . ولا نعنى هنا الانتاج فى السياسة ، هذا الانتاج الذى حقق الاستقلال للهند . وإنما نعنى الانتاج المادى الذى فهمه تولستوى حين شرع يصنع الأحذية للفلاحين بيديه . أو الذى فهمه جون رسكين الكاتب الفنان الانجليزى حين دعا إلى العمل اليدوى الذى يبعث فى نفوسنا الاحساس بالخدمة والتعاون . أو الذى يفهمه البيرت شفيتزر وهو دكتور فى الموسيقى ، ودكتور فى الطب ، ودكتور فى الغيبيات حين ترك أوربا ورحل إلى أفريقيا كى يعالج الزنوج حيث هو الآن .

وفى غاندى شئ كثير من رسكين وتولستوى وشفيتزر . بل فيه شئ كثير من جان جاك روسو . فهو يحب الطبيعة ، ويؤمن بأن الخير أصيل فى الانسان ، وإنما يغيره المجتمع الفاسد إلى الشر كما هو مذهب روسو . وهو قد مارس الغزل على مغزله كما كان يمارس تولستوى صناعة الأحذية لنفسه وأسرته وعماله . وقد جعل من ممارسة الغزل شعيرة وطنية وفرضاً إنسانيا ، لأن السياسة والأخلاق يندغمان عنده . وقد ناضل الانجليز بالأسلوب نفسه الذى ناضل به شهواته وشهوات الهندوكيين .

وكان غاندى ، مثل تولستوى وروسو ورسكين ، يكره الحضارة الصناعية ، من حيث إنها تلغى الشخصية البشرية . ذلك لأن العامل يعمل وكأنه مسمار أو مفتاح فى الآلة يؤدى وظيفة غير شخصية ، وظيفة آلية . وهذا بخلاف الحال حين كان يعمل بيديه حيث تتسع له الفرصة كى يطبع شخصيته فيما يصنع وكى يحب عمله ؛ لأنه كان يحس بأنه ينتج قطعة فنية تحمل طابع تفكيره ومعالجة يديه . وقد حمل على الحضارة الأوربية كثيراً لهذا السبب ولغيره ؛ لأنها حضارة

الاقتناء والتكاثر والمباراة وتنازع البقاء . وعارضه تاجور ووقف موقف الدفاع عن الحضارة الأوربية ، ورأى فى موقف غاندى دعوة إلى الانفصال بين الشرق والغرب.

والمتأمل لحياة غاندى لا يتمالك من الاحساس بأن فلسفته الشخصية هى ثمرة البيئة الهندية : فلسفة القناعة التى تصل إلى حد الاستغناء . ومنشأ هذه القناعة هو الفقر المحتوم . ولكنه هو تسامى بهذه القناعة حتى جعلها أسلوباً جميلا بل أنيقاً للعيش . وإذا كان مقياس الفضيلة كما وضعه برنارد شو صادقاً فان غاندى يجب أن يعتبر أفضل إنسان على هذا الكوكب . ذلك أن برنارد شو يعتقد أن الرجل الفاضل هو ذلك الذى يعطى الدنيا أكثر مما يأخذ منها . وقد أعطى غاندى الهند روحيا ما لا يقدر بأية مادة ، وأعطى الدنيا مادياً ما لا يقاس إلى جنب ما أخذه منها ؛ لأن هذا الذى أخذه هو قليل من اللبن والخضراوات والفواكه .

وعندى أن مغزى الحياة الشخصية التى عاشها غاندى هى أننا نستطيع أن نعيش بالاستغناء ونرتاح بذلك كثيراً أى أكثر مما نعيش بالاقتناء ، هذا الاقتناء الذى يعد فى كثير منا نيوروزاً يؤدى إلى إنفاق مجهودنا النفسى والذهنى والعضلى فى الجمع مع ما يجلبه هذا الجمع من الجهد وما يبعثه من الحسد والحقد والكراهة ، ثم الحرمان من الاستمتاع بالحب والثقافة والفنون .

وقد نقع فى التباس حين نتأمل حياة غاندى . ذلك أننا نتهمه بأنه رجعى لأنه كان يكره الآلات ويدعو إلى الصناعات اليدوية . وهو بلا شك رجعى هنا إذا توسعنا فى النظر إلى الآفاق البشرية فى الحضارة القادمة . لأن الآلات هى الطريق إلى تحرير الانسان من الكدّ . والمتأمل لحياة الفلاح المصرى عندنا ويقارنها بحياة الفلاح الأمريكى يجد أن الأول يعمل بيديه نحو ١٤ ساعة فى اليوم فى حين يعمل الثانى بالآلات ثمانى ساعات قدر ما يعمله الأول عشرين ضعفاً .

ولكن إذا نظرنا النظرة المحدودة بحدود الهند فى الأربعين أو الثلاثين سنة الماضية فأننا نجد أن غاندى كان صادقاً بصيراً حين دعا إلى الصناعات اليدوية . صناعات الغزل والنسج .

ثم هو فى نظرته للديانة الهندوكية لم يكن رجعيا أو تقليديا ؛ لأنه كثيراً ما وقف موقف المعارض بل أحياناً موقف الثائر على التقاليد . وقد وجد من

البراهمة ، كهنة الهندوكيين ، كفاحاً بل عداء . فانه دعا إلى المساواة بين الهندوكيين والمنبوذين . كما أنه لم يبال أن يقتل بيديه البقرة المقدسة التى كانت تترك حتى تموت ميتتها الطبيعية . ولم يكن يبالى أن يقول فى وجه البراهمة المعتزين بآلهتهم وعقائدهم إن المسيحية والاسلام يحويان من الفضائل ما لا يقل عما تحويه الهندوكية .

وقد وقعت الجناية عليه وقتل ، لأن قاتله كان يتهمه بحب المسلمين ومسالمتهم . . .

وحسبنا هذا من حياة غاندى مغزى للشخصية والأخلاق .

وأما المغزى من كفاحه السياسى فيندغم ، كما قلنا ، فى المغزى من حياته وسيرته وشخصيته . فقد كافح الاستعمار البريطانى بأخلاقه وفلسفته ، أخلاق النسك وفلسفة الاستغناء . وقد بدأ تجاربه فى هذا الكفاح وهو فى أفريقيا الجنوبية . فقد أخذ من ثورو الكاتب الأمريكى الذى كان يدعو إلى الطبيعة وإلى الاستغناء عبارة « العصيان المدنى » .

وكان ما يقصد إليه ثورو من هذه العبارة أننا نستطيع أن نعيش فى هذا المجتمع الحافل بالتكاليف المرهقة ، العيش الذى نختاره ، بأن نعصى هذا المجتمع ولا نتزل على القيم والأوزان التى يفرضها علينا . وقد عمل ثورو بما دعا إليه . فترك المدينة ورحل إلى شاطئ بحيرة ، وصنع لنفسه كوخاً من الخشب وصار يصيد السمك ويخيط ملابسه بنفسه ويأكل البقول . ولم تكن تزيد نفقاته فى الشهر على بضعة قروش . ويبدو أن غاندى تأثر كثيراً بحياة ثورو ومؤلفاته سواء فى الأخلاق والسياسة .

على أن عبارة ثورو « العصيان المدنى » قد احتلت مكاناً كبيراً فى قلب غاندى من حيث الخطط السياسية التى اتبعها فى مكافحة الاستعمار البريطانى للهند . لأن معناها قد انتهى عمليا إلى عدم التعاون وشل الادارة الانجليزية بهذا العصيان .

ونقل غاندى جميع تجاربه التى تحقق من أثرها فى أفريقيا الجنوبية إلى الهند . وكان عقب عودته إلى الهند فى أواخر الحرب الكبرى الأولى قد استقر فى ذهنه أن « العصيان المدنى » و « عدم التعاون » و « المكافحة السلبية »

كلها حسنة فى الابتداء للتنبيه ولكنها غير ناجعة ؛ إذ يجب أن تكون المكافحة إيجابية .

وحين نقول « المكافحة الايجابية » للسلطة الغاصبة تثب إلى الذهن أنواع المقاومة العنيفة الدموية . ولكن غاندى بمزاجه الهندوكى وتعاليمه الدينية وبيئة الهند الفقيرة ثم بما لقنه من تولستوى وثورو وغيرهما من دعاة الحياة الساذجة الرحيمة ، كان أبعد الزعماء عن العنف والبطش . وانتهى به التفكير هنا إلى أن خير أنواع المقاومة للانجليز هو المقاومة الاقتصادية . ورأى فى هذه المقاومة أنه يصيد عصفورين بحجر : الأول هو حرمان الانجليز من المنافع الاقتصادية فى الهند . والثانى هو رفع المستوى الاقتصادى لملايين الشعب الهندى .

وهبط هنا على الغزل والنسج ، وحمل الهنود على مقاطعة البضائع الانجليزية ومعظمها من الأقمشة . وكان إحراق هذه الاقمشة فى شوارع المدن الكبرى فيما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ عاما . وصارت السيدات يلبسن القماش الهندى الخشن الذى غزلته ونسجته أيدى الهنود ويؤثرنه على الحرير المجلوب من لنكشير .

ولكن المقاطعة لم تحمل الانجليز على الجلاء ، ولكنها زعزعتهم كما نبهت الهنود إلى الأسس الاقتصادية للاستعمار . حتى أصبح هم الانجليز مكافحة الصناعة فى الهند . ولكن الموجة الطاغية للحركة الوطنية اكتسحت كل شئ أمامها ، ونجحت الصناعات الكبرى والصغرى أى صناعات الآلات وصناعات الأيدى . حتى إن أكبر المصانع للفولاذ فى العالم كله الآن لا توجد فى الولايات المتحدة أو روسيا أو انجلترا وإنما توجد فى الهند . . .

وقد كان العالم يراقب غاندى فى هذا الكفاح البار لرفع المستوى الاقتصادى فى الهند ويجد فيه قديساً يحاول أن يطعم الجائعين ويكسو العراة . ولكن الانجليز كانوا يصفونه بأنه « ثعلب » ماكر . وكانوا محقين فى ذلك ؛ لأن هذه الخطة البارة التى تسترشد بالصلاح والاخاء والانسانية هى التى قضت على استعمارهم .

ونحن فى مصر نعرف أن فلاحنا فقير ، وأن دخله لا يبلغ أحياناً سبعة أو ثمانية جنيهات ، وإن كان فى بعض سنى الرواج قد يبلغ عشرة جنيهات أو أكثر . كما نعرف أن فلاحنا حين يقتنى بقرة أو جاموسة حلوباً يرتفع مستواه

الصحى إلى درجة لا تبلغها أسر العمال فى المدن . ولكن فقر الهنود قد تدرّك بالاستعمار البريطانى إلى حضيض لم نبلغ نحن انحطاطه فى مصر . مع أن الأسلوب الذى اتبع فى مصر والهند كان واحداً . وكان اللورد كرومر الذى عاش فى الهند ودرس هذا الأسلوب هو الذى تولى إنفاذه فى مصر ، وهو قتل الصناعات الوطنية وإحالة كل من مصر أو الهند إلى عزبة كبيرة للقطن يزرع ثم يرسل مادة خامة إلى مصانع انجلترا كى يغزل وينسج .

ولكن فلاحنا مع فقره وبؤسه يعد متيسراً بالمقارنة إلى الفلاح الهندى الذى لايزيد دخله السنوى على جنيهين اثنين . وهناك فى الهند نحو ثلاثمائة مليون إنسان تعيش أسرهم على هذا الدخل . أى أن متوسط الفرد فى الأسرة لايبلغ ٣٠ أو ٥٠ قرشاً فى العام . وكان غاندى فى دعوته إلى المغزل والمنسج إنما يكافح هذا الفقر .

وفى ١٩٣٠ ألفنا فى القاهرة جمعية «المصرى للمصرى» كانت غايتها بعث الاقتصاد المصرى . وحاولنا أن نستنير بحركة غاندى . فأرسلت إليه أطلب المطبوعات الخاصة بحركة الغزل والنسج مع أمثلة من المغازل فأرسلها كلها إلىّ . ولكن بعد أن درسناها وجدنا أنها لا تزيد الفلاح المصرى شيئاً يؤبه به ؛ لأن مستواه أعلى كثيراً من مستوى الفلاح الهندى .

وكان الاتحاد بين المسلمين والهندوكيين حجر العقد فى وطنية غاندى . وقد قتل من أجل استمساكه بهذا الاتحاد . وواضح أنه لم يكن مخادعاً فيه يبغى الوحدة السياسية منه فقط . لأن كل تعاليمه السابقة تتجه نحو الوحدة البشرية . وكثيراً ما كان يشيد بحياة نبى الاسلام والخلفاء الراشدين . ولما انقسمت الهند إلى هندوستان وباكستان مرض غاندى ووضحت عليه الشيخوخة التى لم يكن يعرفها قبل الانقسام . ولما فشا التدمير لمساجد المسلمين أعلن عن صيامه حتى ترد هذه المساجد إلى أصحابها .

وشئ فى غاندى يشبه المكر الذى اتهمه به الانجليز . وهو الذكاء الذى كان يبديه فى اختيار الفرص لتنبيه الوجدان الهندى . ففى ١٩٣٠ حين كانت الأزمة العالمية على أفتكها بالفقراء والمتوسطين عمد إلى إثارة الهنود لالغاء احتكار الملح . والملح يستهلك بوفرة فى الهند ؛ لأن الكثرة الساحقة تتألف من الملايين التى لا تحلم بالأدام . ولذلك لا يساغ الخبز القفار إلا مع الملح . واحتكرته

حكومة الهند لهذا السبب . وسار غاندى بالألوف إلى شاطئ البحر لجمع الملح من الملاحات . وأعملت شرطة البوليس وجنود الجيش البنادق والسياط ، فأخفقت الحركة . أخفقت فى إلغاء الاحتكار ، ولكنها بالطبع نجحت فى تنبيه الشعب إلى معنى الاحتكار البريطانى للملح .

على أن قتل غاندى يحمل مغزى كبيراً لا يقل فى خطورته عن مغزى حياته . وهو أن الهند تنتقل من الشرق إلى الغرب ، ومن استغلال الضعف إلى استغلال القوة ، ومن الروحية والقداسة الدينية إلى المادية والسياسة العصرية .

وليس شك أن فى هذا الانتقال ما يؤسف عليه كثيراً . فان الهند عاشت فى تاريخها الماضى وهو يزيد على ثلاثة آلاف سنة وهى لا تعرف الرق ؛ إذ لم يبع قط عبد أو أمة على الأرض الهندية . وهذه ميزة ترفع الحضارة الهندية إلى السحاب بالمقارنة إلى أية حضارة أخرى رضيت بالنخاسة . ولم يكن السبب لهذا الارتفاع سوى هذه « الروحية » الهندية التى تحترم الحياة كائنة ما كانت (أذكر الحية فى أفريقيا الجنوبية) وحياة الانسان أكثر من حياة أى مخلوق آخر.

احترام الحياة هو الأصل الذى تنبنى عليه فلسفة غاندى وسياسته وشخصيته ، وهو الأصل فى الفلسفة الهندوكية . وقد نجحت هذه الفلسفة فى تحريك الهند وبعث وجدانها الوطنى . ولكن يبدو من هذه الجريمة الأخيرة أنها قد استنفدت أغراضها فى الميدان السياسى ، وأن الهند قد استغربت وشرعت تأخذ بأساليب الكفاح الأوربى وتهدف إلى غاياته .

وهنا المغزى فى هذه الجريمة التى ما كانت لتقع أو يستطيع أن يتخيلها هندوكى قبل عشرين أو ثلاثين سنة ؛ لأن الاجتراء على مثل هذا القديس الناسك بالقتل كان يتجاوز حدود الخيال . ولكن الهند قد انتقلت من غاندى الذى يكره العنف ويقرأ تولستوى ويحب المسيح ويعيش على أسلوب ثورو ويصلى للآلهة الهندوكية ويدعو إلى المغزل اليدوى ، إلى نهرو الاشتراكى الملحد الذى يفهم التفسير الاقتصادى للتاريخ ، ويدعو إلى صناعات الآلات الكبيرة والانتاج بالملايين وإلى الثراء والرفاهية . أجل ! وإلى تنازع البقاء . . .

سلامه موسى

ظافر الحداد

شاعر من شعراء الاسكندرية فى أواخر العصر الفاطمى . وقد أخرجت الاسكندرية فى هذا العصر مجموعة طريفة من الشعراء ، وترجم العماد الأصبهانى فى كتابه «الخريدة» لكثير منهم مثل ابن قيصر وعبد الحميد بن حميد وابن سلمان القرشى وخالد بن سنان وأبى عبد الله بن الخمشى واللبيب واصف الملك وأخيه النجيب العلم عبد الله وأبى الربيع سليمان بن الفياض والشريف أبى الحسن الحسنى ومثل عبد المحسن وكان كثير الهجو بذىء اللسان ، وابن مجبر وقدذهب شعره فى الألغاز والأحاجى ، وابن معبد القرشى وكان حسن التصرف فى النظم والنثر ، وابن مكنسة وكان فكها حلو النادرة . وبجانب هؤلاء الشعراء نجد شاعرة تشتهر فى هذا العصر وتخرجها الاسكندرية وهى تقية الصورية .

وهذا الحفل الحافل من الشعراء ومعهم تقية يدل أبلغ الدلالة على ما كان بالاسكندرية من نشاط فى الشعر هذا العصر ، وكأنها كانت تريد أن تزاحم القاهرة فى هذا الفن . ولم تكن الاسكندرية وحدها التى تزاحم القاهرة فقد كانت هناك مراكز مختلفة للشعر صورها العماد فى خريدته ، وكان بعضها فى الدلتا وبعضها فى الصعيد من مثل دمياط وتنيس فى أقصى الشمال ، ومن مثل إسنا وجرجا وقوص وأسوان فى الجنوب ؛ فكل هذه البلدان كان لها شعراء مميزون حينئذ ، وهم فى حاجة إلى من يصفهم ويصف ما كان ببلادهم من حركات أدبية .

كانت مصر إذن تزخر بالشعر والشعراء فى العصر الفاطمى ؛ ففى كل بلدة كبيرة نجد شعرا وشعراء . ولعل من الطريف أن نذكر ما لاحظه العماد فى خريدته من أن أكثر هؤلاء الشعراء لم يكن يخضع فى صنع شعره لمذهب البديع والتصنيع الذى شاع فى المشرق .

على أننا لا نقف عند هذه الملاحظة العامة التى لاحظها العماد ، بل نحن نتبعها بملاحظة أبعد من ذلك ، وهى أن المصريين لم يصنعوا ذلك عن غير عمد بل صنعوه عامدين ؛ إذ كانوا يرون من الواجب أن يكون لهم إطارهم الفنى الذى يعبر عنهم والذى يعيشون فيه غير مسخرين للمشرق وتقاليده .

وأكبر الظن أننا لا نبعد إذا قلنا إن مصر فى العصر الفاطمى كانت تتحلل عامدة من كثير من الرسوم والمصطلحات الفنية التى وضعها المشرق وأصحابه للشعر العربى ، وكأنها كانت تريد أن تثبت شخصيتها فى هذا الشعر وأن لها وجهة فنية قد اختارتها لنفسها وعوّلت عليها فى صنع نماذجها وآثارها الأدبية .

ونحن لا نعجب أن تحاول مصر حينئذ أن تكون متميزة الشخصية ؛ فقد كانت تستقل سياسيا عن بغداد وكانت تستقل أيضا عن الخلافة العباسية . ومعنى ذلك أنها كانت تستقل عن النظام السياسى الذى ساد فى المشرق ، ولعلها أرادت أن تستقل أيضا عن النظام الفنى الذى عرف هناك والذى كان يقوم على الاسراف فى استخدام ألوان البديع ، فان تركته فالى ضروب من التصنع والتعقيد لا تعبر عن جمال فى الفن إلا إذا جعلنا التعقيد والتصنع من حيث هما مظهرين من مظاهر الجمال الفنى .

وأنت لا تجد بين شعراء الخريدة شاعرا يعنى بهذه الجوانب فى شعره إلا أن يكون وافدا على مصر طارئا عليها من الخارج . ولعل من خير من يمثل ذلك أبا الحسن بن الشخباء العسقلانى ، فقد كان يعنى بالبديع فى شعره كما كان يعنى بشئ من التعقيد ، ولكن أبا الحسن ليس مصريا إنما هو وافد على مصر .

لم تكن مصر تعجب بالبديع فى صنع نمازجها الفنية أثناء العصر الفاطمى. وليس معنى ذلك أنها نفته تماما بل معناه أنها لم تستعمله إلا فى خفة ، إذ كانت مشغولة بنفسها تريد أن يكون لها شخصيتها التى لا تخضع لتقليد المشرق ولا تتعبد طرقه ونماذجه .

وربما كان من أهم الشعراء الذين يعبرون لنا تعبيرا واضحا عن هذا الجانب عند شعراء العصر الفاطمى ظافر الحداد ، وقد نشأ نشأة متواضعة ؛ فقد كان حدادا فى الاسكندرية ، وتصادف أن كان هناك وال للفاطميين يسمى

ابن ظفر ، فضاق خاتم فى يده عن خنصره فأحضروا له ظافرا ليبرده له ، وكان ينظم الشعر ، فلما مثل بين يديه أنشد :

قصّر فى أوصافك العالم فاعترف الناثر والناظم
من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم

وكان فى حجر الأمير غزال مستأنس . فقال له أحد الحاضرين : إن كنت ذا خاطر سمح فأنشدنا أسرع من لمح البصر فى هذا الغزال المستأنس ، فقال على البديهة :

عجبت لجرأة هذا الغزال وأمر تخطّى له واعتمد
وأعجب به إذ بدا جاثما فكيف اطمأنّ وأنت الأسد

وكانت هناك شبكة مسدولة على الدار ، فقال الممتحن لظافر : انظم فى هذه الشبكة شيئا . فقال توًّا :

رأيت ببابك هذا المنيف شباكا فأدركنى بعض شك
وفكرت فيما جرى لى فقلت مكان البحار يكون الشبك

وكانت هذه الحادثة سببا فى اشتهار ظافر ، فقربه والى الاسكندرية منه ، وحمله معه — على ما يظهر — إلى سيده فى مصر ، فمدحه ظافر مدائح طريفة لم يثبتها العماد لأنه كان أيوبيا وكان الأيوبيون يكرهون كل ما هو فاطمى فضاع من أيدينا شعر كثير بديع مما أحدثه الشعراء المصريون فى مدح الخلفاء الفاطميين ومدح أمرائهم ووزرائهم . ولكن إذا كانت قد ضاعت مدائح ظافر فى الفاطميين بل فى ابن ظفر نفسه ؛ لأنه على ما يظهر كان يعرض فيها لبعض مبادئ الشيعة كما يصرح بذلك العماد ، فقد بقيت مع ذلك قصيدة له فى مدح ابن أبى حديد قاضى الاسكندرية، وقد رواها العماد لأن ظافرا لم يتشيع فيها ، وقد نظمها ظافر بمناسبة شهر الصيام فقال :

شهر الصيام بك المهنّى إذ كان يشبه منك فنا
ما سار حولا كاملا إلا ليسرق منك معنى
وينال منك كما ننا ل ويستفيد كما استفدنا

فرأى هـــلالك من محـــــل هلاله أعلى وأسنى
بهرت محـــاسنك الورى فأعادت الفصحاء لُكْنا
وإذا مدحناك احتقــر نا ما نقــول وإن أجــدنا
والفضل أجمع بعـد وصـــــفك فهو غاية ما وجــدنا
إن الذى صدح الحما م به ثناؤك حين غنَّى
فتهنَّ شهــرك واســتزد بقدومه سعــدا ويمنــا
فمـــكانه من عامــــه كمكانك المحـروس منّا

وأنت ترى ظافر فى هذا الشعر لا يستعين بالبناء الفخم فى المديح الذى نعرفه عند شعراء المشرق، وأيضا فانه لا يستعين بالبديع ، إنما هو يستعين بالخيال الشعرى فى ظرف وفى رقة . وهـذه هى الروح الحقيقية للمصريين فى العصور الاسلامية ؛ فهم لا يحبون الأبنية الضخمة فى الشعر والفن ، وحين يحاول أحدهم أن ينهض برفع قواعد هـذه الأبنية يكون ذلك سببا أولا فى تهمة مصريته والشك فيها.وخير مثل لذلك القاضى الفاضل؛ فقد كان يعنى بهذه الأبنية وكان أيضا غير مصرى .

ونحن نعرف أن مصر أخذت منذ ولى شؤونها الأيوبيون تخضع للنماذج المشرقية ، وكأن وفود صلاح الدين عليها كان معناه أنها ستخضع لهذه النماذج إذ كان صلاح الدين نفسه نموذجا مشرقيا فى السياسة وقد وفد عليها معه العماد الأصبهانى وكان نموذجا مشرقيا فى الشعر والكتابة ، وكذلك كان القاضى الفاضل مع تركه لبلده فى الشام أثناء العصر الفاطمى وتتلمذه على المصريين ، إلا أنه على ما يظهر لم يكن معجبا بهم ولا بخلفائهم ، ولذلك وجدناه يسعى حتى فى العصر الفاطمى نفسه إلى تقليد المشرق فى كتابته .

هناك إذن خطوط فاصلة فى تاريخ الأدب المصرى بين العصرين الفاطمى والأيوبى ؛ فقد كان المصريون فى العصر الأول أكثر حرية فى التعبير عن أنفسهم ، وكانوا لذلك أقوى شخصية . وهذا ظافر ينظم ، ولكن نظمه يشف عن روحه وعما احتوته من رقة . واستمع إليه يقول متغزلا :

رحلـــوا ولولا أننى أرجو الاياب قضيت نحبى
والله مـــا فارقتهم لكننى فارقت قلبى

أو يقول :

يا ساكني مصر أما من رحمة فيكم لمن ذهب الغرام بلبه
أمن المروءة أن يزور بلادكم مثلى ويرجع معدما من قلبه

أو يقول :

لئن أنكرت مقلتاها دمه فمنه على وجنتيها سمه
وها فى أناملها بعضه دعته خضابا لكى توهمه

وهذا شعر سهل عذب يطير عن الفم بخفة ، وخفته جاءت من أن الشاعر فيه يعبر عن نفسه مباشرة لا يلوى بتعبيره لونا من ألوان البديع ولا عقدة من عقد التكلف ؛ فنفسه تسيل على لسانه وفى شعره ، لا يحجبها عنا شئ .

وهذه خاصة مهمة من خصائص شعر ظافر بل الشعر الفاطمى كله ؛ فهو شعر لا يقصد به إلى التصعيب ولا إلى التعقيد بل يقصد به إلى التعبير الواضح عما فى النفس تعبيرا ليس فيه تصنع ولا تكلف ولا محاولة لاستخدام البديع كغاية يقصد لذاته .

السهولة والانطلاق مع النفس هما الخاصة الأولى لشعر ظافر وشعر الفاطميين ، وهى خاصة اقترنت بها عند ظافر خاصة أخرى هى عدم العناية باللغة ، كقوله من قصيدة :

يا رب غانية أضرّ بقولها أنى بلفظة معدم منبوز
فأجبتها ما عازنى نيل الغنى لكن مطالبة الحميد تعوز
ما خاب من هضم التفضل ماله كرما ووافر عرضه محروز

فقد قال «عازنى» والصواب أعوزنى ويعوز ، وقال« محروز » والصواب محرز .
وكما نلاحظ هذا اللحن عند ظافر نلاحظه أيضا عند الشعراء المصريين المتأخرين .

ونحن إنما سقنا ذلك لندل على أن الميل إلى السهولة عند المصريين والتعبير الطبيعى جعلهم لا يعنون بألفاظهم عناية المشارقة ، وهى ملاحظة تطرد فى كتابتهم وخاصة التاريخية منها لا عند الجبرتى المتأخر بل عند غيره

من السابقين . وهى حال نريد أن ندل بها على ميل المصريين إلى إثبات شخصيتهم فى العربية ، فكانوا لا يأبهون بقواعدها فى بعض الأحيان . ولكن هذا لم يكن شأن الكثرة بل كان شأن القلة ، حتى إذا وصلنا إلى العصر العثمانى شاع اللحن وشاع الخروج على اللغة وأصبح هناك ميل عام لاستخدام العامية أو على الأقل لاستخدام بعض ألفاظها .

ولعل فى ذلك ما يدل على أن الأدب فى مصر كان يسعى إلى أن يكون شعبيا . ولكنا نعرف أن كتاب المكافأة لأحمد بن يوسف ، وهو كتاب متقدم إذ ألف فى العصر الطولونى ، حاول صاحبه أن يستخدم كثيرا من ألفاظ المصريين الدارجة . وربما كان من أهم الأسباب فى هذا الميل الصريح إلى أن يصبح الأدب المصرى أدبا شعبيا أن نجد أبناء الشعب من أصحاب الحرف يشتركون فيه ، فهذا ظافر حداد ، ونجد فى العصر المملوكى شاعرا جزارا وآخر حماميا وثالثا وراقا ورابعا خياطا وخامسا كحالا وسادسا خبازا .

ولكن لا تظن أن هذه الشعبية فى الشعر المصرى ، وخاصة فى العصر الفاطمى ، أفقدته روعته ؛ فهذا العماد الأصبهانى يقول عن ظافر : «بحظه من الفضل ظافر ، يدل نظمه على أن أدبه وافر ، وشعره بوجه الرقة والسلاسة سافر ، وأما كمله لولا أنه من مداح المصرى والله له غافر ؛ حداد لو أنصف لسمى جوهريا ، وكان باعتزائه إلى نظم اللآلىء حريا ، أهدى بردى شعره الروى للقلوب الصادية ريا ، فياله ناظما فصيحا مفلقا جريا . »

وهذه شهادة قيمة من زعيم أدباء الشرق فى عصره وأكثرهم تقيدا بالبديع والتصنع فى نماذجه شعرا ونثرا . وهى شهادة ترجع فى الواقع إلى أن ظافرا وغيره ممن يماثلونه حينما ذهبوا هذا المذهب من السهولة فى شعرهم لم يخرجوا به من دوائر الخيال والتصوير ، بل على العكس أتاح لهم ذلك أن يبتكروا فى تصويرهم . وهو ابتكار يشهد بقدرتهم على صنع الصور وإخراجها فى أشكال بديعة من الرؤى الحالمة .

وليس من شك فى أن هذا الجانب عند ظافر وأمثاله هو الذى يمسك بشعرهم أن يخرج إلى الابتذال . فالشاعر إن ترك نفسه على سجيتها ولم يكن عنده حظ من الخيال والوهم خرج شعره ضعيف البنيان يكاد ينقضّ . وقد كان لظافر حظ ممتاز من الخيال الحالم ؛ ولذلك كثرت فى شعره الصور الجميلة التى

تروع العقل والقلب . ونحن نكتفى بصورة واحدة من صوره لندل على هذه القدرة الممتازة عنده ، وهى صورة وصف فيها الهرمين وأبا الهول وصفاً لم يقع لشاعر من قبله ولا من بعده ؛ إذ يقول :

تأمّل بِنْيَةَ الهرمين وانظرْ وبينهما أبو الهول العجيبُ
كعماريتين على رحيل لمحبوبين بينهما رقيبُ
وماءُ النيل تحتهما دموعٌ وصوتُ الريح عندهما نحيبُ

ولا ريب فى أن هذه الأبيات تدل على ريشة فنان حقا ، وهى ريشة تعرف كيف تضم أجزاء المنظر الواسع فى الطبيعة بعضها إلى بعض وتحيلها إلى صورة مركزة دقيقة . فهذان الهرمان ، كما يقول ظافر ، أشبه ما يكونان بعماريتين قد تهيأتا للرحيل بمحبوبين قد وقفا موقف الوداع ووقف منهما أبو الهول موقف الرقيب . وإذا كنت تشك فى هذا المنظر وحقيقته ، فانظر إلى ما يجرى تحت أقدام المحبوبين من دموع النيل التى ما تزال تصب وتجرى منذ القدم .

وأعتقد أن ظافراً لو لم يصنع سوى هذه الصورة الطريفة لكان حريا بالخلود بين شعراء العصر الفاطمى ، وإن فى مثل هذه الصورة عنده لآية على أن المصريين حين تحرروا من ربقة المشرق فى العصر الفاطمى ولم يخضعوا لرسومه الفنية كان ذلك حافزاً لهم أن يأتوا بطرائف جديدة حتى يباهوا أهل الشرق بما لهم من شعر وفن .

لم تجرّ شعبية الشعر المصرى عند ظافر وأمثاله فسادا ولا ضعفا فى الفن ، بل لقد جرّت رقة وسلاسة كما يلاحظ العماد الأصبهانى ، وجرّت أيضاً هذا التجديد والابتكار فى الصور كما جرّت إفصاحاً صريحاً عن بعض خصائص المزاج المصرى من الفكاهة ؛ وسنعرض لذلك عند آخرين من شعراء هذا العصر . ومهما يكن فان ظافراً لم تقعد به شعبيته ولا قعدت به حرفته عن أن يصبح شاعراً ممتازاً من شعراء مصر الفاطمية .

شوقى ضيف

غاندى البطل الروحى

على سهل أخضر بالقرب من دلهى عقد اجتماع رائع فى أول كانون الثانى عام ١٨٧٧ . وجلس فى هذا الاجتماع كبار الضباط وكبار حكام الهند وراء منصة مكسوة بألوان خضراء وحمراء وبيضاء وذهبية ليسمعوا لأول مرة تنصيب الملكة فكتوريا أول إمبراطورة على الهند . وعند ما صدحت الأبواق معلنة وصول صاحب السعادة نائب الملك ادورد روبرت بولت لايتن البارون الثانى لمقاطعة لايتن وقفوا جميعا يحيون سعادته وهو يمشى على سجادة حمراء طولها ٨٠٠ قدم . ثم قرئت الارادة الملكية باعلان الملكة امبراطورة على الهند ، ورفع العلم ، وأطلقت المدافع تحية لهذا الحادث ١٠١ اطلاقة . وبعد ذلك عزفت الفرق الموسيقية نشيد « اللهم احفظ الملكة » ، وسار الجنود على دق الطبول ونفخ المزامير تتقدمهم مواكب من الفيلة مجللة بغلائل ذات ألوان زاهية بهية رافعة خراطيمها إلى الأعلى مجيبة على فرقعة البارود .

وكان سمو المهراجا سنديا أول من هنأ الامبراطورة غيابيا هاتفا « شاهنشاه بدى شاه » (ملكة الملكات ليباركك الرب) . وقال إن أمراء الهند يصلون لدوام سيادتك وقوتك إلى الأبد .

عزة وزعيم

إن كلمة « إلى الأبد » التى نطق بها المهراجا سنديا كان يمكن أن تعمر أكثر فى الهند لو لم يوجد طالب خجول كان يعيش حينئذ فى بلدة نوربندار الواقعة فى شمال الهند الغربى على بعد ٧٠٠ ميل من بحر العرب . وكان عمر هذا الطالب الذى يسمى موهنداس كرشند غاندى ثمانى سنوات عندما نصبت الملكة فكتوريا إمبراطورة على الهند . وقد امتاز غاندى منذ هذه السن

باشمئزازه من تصرفات الحكام البريطانيين ، وكان يبدو عليه التأثر وهو يسمع أساتذة المدرسة ينشدون أبياتا من الشعر الركيك فى تمجيد الفرد الانكليزى وتحقير الهندى المستعبد . وكان من هذه الأبيات :

أنظر إلى الرجل الانكليزى القدير
يحكم الهندى الصغير
لأنه آكل اللحوم
وطوله خمسة أقدام .

ومع أن والديه كانا متدينين جدا من ملة ميشنافاس التى تحرم أكل اللحوم تحريما قاطعا ، فقد تقصّد غاندى بعد بضع سنين على أكل لحم المعز ليقتدى بالانكليز . وقد وصف بعد ذلك ما تركه هـذا العمل فى نفسه فقال : « قضيت ليلة رديئة جدا . وكلما حاولت النوم خيل إلىّ أن فى داخلى معزة تمأمىء ، فكنت أقفز من السرير والندم ولوم الضمير يحزان فى نفسى . »

ولم يزد وزن جسم غاندى الهزيل على ١١٠ بادنات ، ولكن الروح التى كانت فى داخل هذا الجسم أشعلت نار أعظم حركة تحريرية فى الهند وقوضت عروش القديرين وآكلى اللحوم . وقد أطلق المستر ونستن تشرشل يوما على غاندى اسم « فقير متمرد نصف عريان » ، وقال إن هؤلاء الهنود لن يحصلوا على مركز الدومنيون طوال حياتهم . ولكن بعد سبعين سنة من حفلة دوربار العظمى كان غاندى وتشرشل لا يزالان على قيد الحياة وكانت الحرية على قاب قوسين أو أدنى من الهنود .

ولكن البشر لم يظهر على غاندى إلا عندما غادر البريطانيون نهائيا مستعمرة المنبوذين القذرة فى ضواحى دلهى الجديدة ؛ لأنه عند ذاك فقط استمتع بثمرة جهاد دام أكثر من نصف قرن .

وقد حاول غاندى دائما أن يشيع السلام بين الطوائف الهندية ، لأنه كان يعتبر العنف والشقاق فى الهند إهانة شخصية له . وكانت « الاهما » أى عدم العنف المبدأ الأول فى حياته ، وظل يؤمن بأن الستيافراها (قوة الروح) هى الطريقة الوحيدة المرغوبة فى الحياة . وفى مسكنه المطلى بالجير الأبيض راح غاندى يلعق جراحات روحه ويردد : « إنى أشعر بأن عنف الهنود ليس

إلا علامة ذات دلالة » . وكان يناجى الأوراد ويقول : « إننا حالما نلقى بالنير الأجنبى إلى الخارج فان كل الأوساخ والقاذورات ستطفو على السطح . وعند ما يفيض الكنج فان الماء سيتعكر . »

ولكن من سخرية القدر أن يساعد غاندى الذى قضى حياته يجرب أن يوجه الحياة فى قنوات منظمة على إثارة الشعب ودفعه لأحداث الشغب . فان الذين سماهم « الملايين الجائعة المكدودة الخرساء من أولئك الذين يجلونه (ويعبدونه فى بعض الأحيان) » لم يفهموه عند ما كان يصرخ ويبكى من أجل حريتهم طالبا منهم ألا يلجأوا إلى القوة لنيل الحرية . ولكنه لم ييأس بل كان يزداد حماسة على حماسة ويقول « إن تثبيت نظام صحيح متسامح بين ٤٠٠ مليون فرد ليس مزاحا » .

وقد ابتدأ اهتمام غاندى بتنظيم حياته عندما قصد إلى جنوب أفريقيا محامياً له الحق فى الترافع أمام المحاكم الانكليزية ، وكان عمره إذ ذاك ٣٢ عاما . وهناك أحس لأول مرة بعبء الرجل الأبيض ، فأخذ يهمل تدريجيا عمله المربح فى المسائل القانونية ، وراح يوجه مواطنيه الهنود لمكافحة القانون المحلى المشرع ضد الهنود .

وقد أعاره هناك صديق انكليزى كتاب الكونت ليو تولستوى « الله معك » . فأثرت الحكمة المسيحية الروسية السمحة فى عقل المحامى الهندى تأثيرا كبيرا ، ودفعته إلى انتهاج حياة جديدة . وقد وجد أن العمل اليدوى ضرورى للحصول على سعادة حقيقية ، واعتقد أن الهنود سيجدون السلام عند ما يصنعون ملابسهم بوساطة « الجاركا » أى عجلات الغزل . فوضع تشريعا عمليا مخصصا للهنود سنويا ...ه بادن كانت تصرف لتحقيق الاستقرار الزراعى ، وبعد ذلك أخذ يصدر جريدته « الرأى العام الهندى » .

وحشد غاندى كل القوى الهندية المحلية لاعلان أول عصيان مدنى ، فاضطرت حكومة جنوب أفريقيا العنيدة إلى إلغاء بعض القوانين الموضوعة ضد الهنود . وفى عام ١٩١٥ ، وكان عمره ٤٠ سنة ، عاد إلى بومباى زعيما للهند .

تجربة كبرى

وبعد سنة واحدة من رجوعه قام برحلة جاب فيها جميع أرجاء الهند ، فكان الناسك الرقيق يسير ملتحفا بمئزره بين القرويين الذين امتلأت قلوبهم بمحبته ، وصارت أقواله مرادفة لاصدف عندهم . وعند ما كان يشاهده الفلاحون الساذجون كانوا يلتفون حوله ، بل إن بعضهم كان يحاول تقبيل قدميه إلا أن غاندى كان يصرخ فيهم : « تمسكوا بالله واعبدوه . »

وقد عرف بالمهاتما (الروح الأكبر) ، كما صار يسمى ، بأنه قد أصبح زعيما دينيا لا سياسيا . ومن أقواله فى هذا المعنى : « إذا ما ظهر أنى أشارك فى السياسة فما ذلك إلا لأن المسائل تلتف كما تلتف الحيـة على نفسها ، بحيث لا يمكن الانسان أن يستخلص من بينها مسألة واحدة مهما جرب من محاولات . وإننى أريد أن أصارع هذه الحية ... إننى أريد أن أدخل الدين فى السياسة . »

ووجد غاندى أنه لا يمكن أن يكون للشعب الهندى تفكير صاف فى كلمته وعهده ما لم تـكن له قضاياه الخاصة به . ولذلك أخذ يعمل من أجل استقلال الهنـد . ووجد أنه من الحكمة أن تسلم قيادة الـكفاح فى سبيل الاستقلال إلى طائفة من الهنود المثقفين تثقيفا جيدا . وصار المجلس الوطنى جمعية أدبية تجرى فيها المناقشات التى تدور حول حصول الهند على مركز الدومنيون بالوسائل التشريعية . وعمل غاندى على تحويل المجلس إلى منظمة شعبية كبيرة . وعند ما نجح فى ذلك جند الفلاحون جميعا أنفسهم للـكفاح وراء غاندى الذى دعاهم فلبوا النداء .

وإن الوسائل البريطانية العنيفة الرادعة بعـد الحـرب العالمية الأولى أقنعت غاندى بأنه ليست لبريطانيا رغبـة فى منح الهنـد نظام الدومنيون ، ولذلك نظم حركته السلمية . وقد أوشكت الحملة الأولى فى هذه الحركة أن تزعزع الحكم البريطانى . وقال الحاكم البريطانى فى هذه المناسبة : « إن غاندى أعظم تجربة هائلة فى تاريخ العالم ، وأنه قد غدا على مسافة شبر واحد من النجاح . »

إلا أن المقاومة السلبية كانت دائمـا تؤدى إلى استعمال العنف . وعندما شاهد غاندى إراقة الدماء بعـد دعوته إلى المقاومة غمره ندم وتقريع فوقف

حملته عام ١٩٢٢ وأدان نفسه بسبب سوء تقديره ، ورأى أن أتباعه لم يعدوا أنفسهم إعدادا كافيا كى يثقوا بفائدة العمل الروحى وليكونوا « أداة صالحة » لانجاح الأعمال السلمية .

وقد تكرر ذلك فى السنين التى تلت ذلك . فان كافة أنواع العمل السلبى — اضجاع النساء على خطوط السكك الحديدية ، استخراج الملح من البحر ، مقاطعة المخازن البريطانية ، الاضرابات ، المواكب الحاملة أعلاما خفاقة — أدت إلى إطلاق الرصاص فى الشوارع وإلى إشعال النيران وانتشار أعمال السلب والنهب . وكان الصوم دائما هو كفارة غاندى عن ذنوبه .

وبعد كل صوم ، وبعد كل مقاطعة ، وبعد كل سجن ، كان غاندى يقترب من هدفه الأخير ألا وهو تحرير الهند . وأخذ يستعمل نفس الأسلحة من أجل تحقيق أهدافه الاجتماعية التى تتناول القضاء على الاعتقاد بوجود أنجاس ومطهرين ، وعلى شرب الخمر ، وعلى اغتصاب الأراضى وتزويج الأطفال واحتقار المرأة .

وبينما كان مستمرا فى كفاحه أخذت السياسات الهندية تتحول من طريق إلى طريق . فالمجلس الوطنى الذى كان يمثل الهنود بجميع طوائفهم ومللهم اعترف أخيرا بأن محمد على جنه يتكلم باسم المسلمين ، وأدى ذلك إلى انشقاق الجبهة اليسارية وخروجها من المجلس ، وهدد الشيوعيون الذى يرأسهم بوران جاندرا جوزاهى بمقاومة سياسة تهدئة المزارعين والصناع المحليين التى كان يعمل غاندى لتوطيدها . ومنذ عام ١٩٤١ انتقلت إدارة المجلس إلى أيدى جماعة من المحافظين يرأسها السردار فالا بهباى باتل ، واقتصرت زعامة غاندى على التوجيه غير المباشر .

وقد أثرت اشتراكية جواهر لال نهرو كذلك فى طابع الكفاح الهندى ، وأخذ الجهاد الاستقلالى يساير جهادا آخر يعتمد على القوى الاقتصادية . إلا أن غاندى كان يجيب على هذه المشاكل المربكة بقوله : « إن الأذى لا يحى شيئا ، عش ببساطة ، وبسلام ، وبصفاء » . وكان كلما تغلب على تغلغل النفوذ البريطانى يقدم دليلا للوطنيين الهنود على اتساع تعاليمه .

وظل غاندى إلى آخر أيامه يأمل فى جمع الهندوسيين والمسلمين معاً فى دولة هندية متحدة ، بالرغم من اعلان تقسيم الهند رسميا إلى دولتين :

الهندستان والباكستان ؛ لأنه كان يؤمن بأن استمرار الأحقاد والمنازعات لن تؤدى إلى إفناء الدولتين بل إلى إفناء الهند بأسرها .

وبالرغم من أن الاتفاقات السياسية الأخيرة التى وقعها القادة الهنود لتجزئة الهند فان المصادمات الطائفية ظلت مستمرة ، فعمل المهاتما غاندى لإحلال السلام والتفاهم ، وقام بزيارة المدن والقرى لوقف المجازر الناشبة . ولما أخفق أعلن عن صومه ، وكان هو الصوم الأخير الذى وقفه بعد الحاح أتباعه .

وأخيرا قتل غاندى بالرصاص ، وهو الذى عاش ومات فى سبيل الدعوة إلى الإخاء والمحبة . وكان هذا الموت بالنسبة له دليلا على أن لا يكون الناس — كما قال برنارد شو — طيبى القلوب إلى هذا الحد . وستبقى تعاليم هذه الروح الكبيرة خالدة ما بقى الناس يستوحون المدد من أنبيائهم ورسلهم ؛ لأنه لم يكن إلا رسولا من رسل الضمير النقى والقلب الطاهر .

[بغداد] فؤاد طرزى

دراسات فى النقـد الانجليزى المعاصر

النقد الجديد فى رأى ج. ا. سبنجارن

هذه بعض الدراسات فى النقد الأدبى المعاصر بانجلترا ، رأيت أن أقدمها لقراء العربية رغبة منى فى توطيد الصلة بين الفكر العربى والفكر الأوربى الحديث ، وهى الصلة التى مازالت فى رأيى بعيدة بعض الشئ . وسأبدؤها بعرض لفلسفة إمام من أئمة النقد المحدثين وأعنى به — ج. ا. سبنجارن — وهى الفلسفة التى يطلق عليها اسم « النقد الجديد » والتى يتحرر فيها من كثير من الآراء والمعتقدات التى كانت ومازالت تسيطر على كثير من مدارس النقد فى أوربا وفى مصر على وجه الخصوص . ولكى يتسنى لنا أن نفهم مايعنى سبنجارن بالنقد الجديد يجدر بنا أن نستعرض فى اختصار الأطوار التى مر بها النقد الأوربى عامة فيما بين القرن الماضى والوقت الحاضر .

فى نهاية القرن الماضى احتلت فرنسا مرة أخرى مركز المسرح الذى يمثل النظارة فيه وارثو الحضارة الأوربية ، فأنصت العالم إليها مرة أخرى وهى تتحدث أحاديث مختلفة كان من أهمها حديث النقد الأدبى . ولست أريد الآن أن أسرد للقارئ ما هو فى الغالب يعلمه حق العلم ، ولا أن أشير إلى كيف أن نقاد «مجلة العالمين » *Revue des deux mondes* ، قرنوا فى مهارة وحذق ما بين النقد القديم وأسلحة العلم الحديث ، ولا إلى الدقة فى التفكير والجمال فى التعبير مما استخدمه جول ليميتر وأناتول فرانس وأقرانهما فى دفاعهم عن حرية التقدير والنقد ؛ فقد أصبح الكثير من أقوالهم الآن معترفا به ؛ ومن ذلك إنكار أناتول فرانس على الناقد صفة القاضى الذى يحكم بالبراءة أو الادانة ، ووصفه له بأنه « نفس مرهفة الحس تروى مغامراتها بين روائع الآثار الغنية » فمهمة النقد لدى أصحاب المذهب العاطفى هى التعبير عما يحسه الناقد من مشاعر مختلفة فى وجود الأثر الفنى — وهو قد

يعبر عن وجهة نظره بالكيفية الآتية فيقول : « هذه قصيدة جميلة — (بروميثيوس طليق) لشلى مثلا ، أحس بالسرور عندما أقرؤها ، وهذا السرور الذى أحس به هو حكمى عليها الذى لا يمكن أن يفضله حكم آخر . كل ما أستطيع عمله أن أروى لك كيف تؤثر فى وأن أشرح لك الاحساسات المختلفة التى تخلفها فى نفسى . قد يحس غيرى عند قراءتها باحساسات أخرى وقد يعبر عنها تعبيراً آخر . ولكن أليس له من الحق فى هذا مثلما لى ؟ إن استطاع كل منا أن يعبر عن نفسه جيدا ، وإن كانت لكل منا القدرة على الاحساس الدقيق ، أنتج أثراً فنيا جديداً يحل محل الأثر الذى كان مصدر إحساساتنا — وهذا هو فن النقد ، ولا يستطيع النقد أن يأتى بأكثر من هذا . »

وقد نرد عليه فنقول : « أنت لا تعنينا فى شئ ، وإنما قصيدة شلى هى التى تهمنا . وأنت بوصفك لحالتك الصحية أو النفسية لا تساعدنا على فهم القصيدة أو الاستمتاع بها، وإن نقدك ليحاول دائما أن يبتعد عن الأثر الفنى ليركز الاهتمام فيك وفى مشاعرك . » ولكنه سيجيب: «هذا صحيح ؛ إن نقدى يميل إلى أن يبتعد عن الأثر الفنى وأن يركز الاهتمام فىّ . ولكن كل أنواع النقد الأخرى تبتعد عن موضوع النقد وتحل محله شيئا آخر ، الناقد العاطفى يحل نفسه ، ولكن أى أنواع النقد الأخرى تقترب من بروميثيوس ؟

« فالنقد التاريخى يبعدنا عنه فى سعيه وراء البيئة والعصر والمدرسة الشعرية التى نشأ فيها الشاعر ، وهو يوصينا بقراءة « تاريخ الثورة الفرنسية والعدالة السياسية » لجودوين — و « بروميثيوس سجين » لا يسكلوس — والنقد السيكولوجى يبعدنى عن القصيدة أيضا ويحل محلها حياة الشاعر ، فبدل أن أستمتع « ببروميثيوس » يطلب منى أعرف الكثير عن شلى نفسه . والناقد الكلاسيكى لا يقترب من القصيدة بحكمه عليها بموازينه ومقاييسه المعينة ، فهو يطلب منى أن أقرأ المسرحيات الاغريقية وشكسبير وشعريات أرسطو وربما أصل الأجناس لداروين أيضا ، حتى أستطيع أن أتبين مدى إخفاق شلى فى أن يصبغ قصيدته بالصبغة المسرحية أو فى مراعاة أصول وقواعد « الصنف » الأدبى genre الذى تنتمى القصيدة إليه . ولكن هذا يعنى دراسة آثار أدبية أخرى لا دراسة « بروميثيوس طليق » . أما الناقد من أصحاب المدرسة الجمالية فى النقد فهو يبعدنى عن القصيدة بنظرياته عن الجمال والفن . وهكذا

الحال مع كل نوع آخر من أنواع النقد . فلا تخدع نفسك لأن النقد فى مجموعه يميل إلى أن ينقل الاهتمام من الأثر الفنى إلى شئ غيره . غيرى من النقاد يهتمون بالتاريخ أو السياسة أو تراجم الحياة أو الفلسفة أو الفقه اللغوى والأدبى . أما أنا فانى أحلم حلم الشاعر ؛ ولذلك أحاول أن أحل أثراً فنيا محل أثر آخر . والفنى لا يستطيع أن يدرك نفسه إلا بالفن » .

من العبث هنا أن نفصل ردود المدارس النقدية الأخرى على أصحاب هذه المدرسة ، إلا أنها كانت تستطيع مهاجمة الفكرة القائلة بأن الذوق يمكن أن يحل محل العلم ، أو أن العلم يمكن أن يعوضنا عن الذوق ؛ فكل منهما له قيمة فى النقد . وبذلك تكون الطريقة العاطفية ليست أقل خطأ من الطريقة المدرسية فى النقد ، كلاهما ناقص : وكلاهما لايفى بالغرض ، على أن هذا لايعنينا الآن فى شئ ، فيكفى أن نعرف أن نضال أصحاب المذهب الموضوعى وأصحاب المذهب الأتباعى ضد أصحاب المدرسة العاطفية فى النقد لم يكن بالشئ الجديد فهى حرب قديمة العهد ، بدأ بها تاريخ الأدب الحديث عندما سن النقاد الايطاليون فى القرن السادس عشر القانون الكلاسيكى الذى فرض على أوربا فرضا لمدة قرنين والذى مازال قائما إلى يومنا هذا فى ثوب « العلم الطبيعى » كما يسميه برونيتير ؛ فهم قد أنشأوا الوحدات المسرحية وغيرها من القواعد التى تخيلها الشاعر بوب على أنها الطبيعة ولكنها الطبيعة مقننة ، ولكن فى نفس اللحظة التى كان ينادى فيها زعيمهم سكاليجر بأن أرسطو هو أميرنا وأنه الدكتاتور الدائم على كل الفنون ، كان يصر ناقد إيطالى آخر هو بيترو اريتينو على أن العبقرية لا يمكن أن تعرف بالقوانين والقواعد ، وأننا لا نملك من معايير الحكم الأدبى إلا ذوقنا الشخصى . . .

وفى القرن السابع عشر ورث الفرنسيون مشعل الحضارة من الطليان . ومنذ ذلك العهد إلى يومنا هذا والنضال بين المدرستين لا ينقطع فبوالو ضد سانت إيفرموند والاتباعيون ضد الابتداعيين ، والنظاميون ضد العاطفيين . كتب لميتر يقول : « لم أتحدث بهذه الحرية عن هذا الشاعر النبيل فيرجيل لكى أحدد قيمته أو أضر بشهرته ، فسيستمر العالم يرى ما يراه الآن فى أشعاره الجميلة . أما أنا فلا أحكم على شئ ، وإنما أعبر عما أرى وعن الأثر الذى تخلفه هذه الأشعار فى عقلى وقلبى . » بيد أن هذه الألفاظ نفسها

« أنا لا أحكم على شئ وإنما أعبر عما أرى » قد قالها من قبله شيفاليه دى ميرى أحد الفطناء فى عصر لويس الرابع عشر وهو يكتب إلى سكرتير الأكاديمية الفرنسية . ومن ثم نرى أنه حتى فى عصر بوالو كان النقد فى نظر بعض الناس « مغامرات بين روائع الآثار الفنية » .

فهذه المعركة –إذن– معركة دائمة ، نجدها فى كل عصر بين المدرسة العاطفية أو الاستمتاع والمدرسة النظامية أى الحكم ؛ إذ أنهما بالنسبة للنقد كالرجل والمرأة فى الحياة . ولذلك وجب أن نعنى بقولنا إنهما يزدهران فى كل عصر بأن لكل عصر نقده المذكر ونقده المؤنث . والأول قد يفرض أو لا يفرض معاييره على الأدب ، وكأنه لا يسمح مطلقاً بأن يكون للموضوع الذى يدرسه سلطان عليه . والثانى يتجاوب مع الفن تجاوبا به الشئ الكثير من الحرارة ولكنه سالب . وفى عصر بوالو كان النوع الأول هو الذى يصبغ النقد ، أما فى عصرنا فالنوع الثانى هو صاحب الأثر الأول خارج دور الدراسة طبعا ؛ على أنهما يقومان دائما جنبا إلى جنب كل منهما يناضل الآخر مالم يتآلفا ويقترنا بطريقة ما .

على أننا لو اختبرنا هاتين الطريقتين المتعارضتين من طرق النقد فى عصرنا لألفينا أنهما تتفقان على الأقل فى نقطة واحدة لم تتفقا فيها ولا فى أى طريق أخرى من طرق النقد فيما مضى . فقد كان الاغريق لايرون فى الأدب تعبيراً تنشئه ملكة الخلق لا بد منه ، بل هو تقليد أو تكييف لمادة الحياة بشكل جديد . فالشعر فى رأى أرسطو نتيجة لغريزة حب المحاكاة عند الانسان . ويختلف عن التاريخ أو العلم فى أنه يعالج الممكن أو المحتمل لا الواقع فى الحياة . وكان الرومان يعتبرون الأدب فنا رفيع الشأن القصد منه إلهام الناس بالمثل العليا فى الحياة ، وكان هذا أيضا رأى الاتباعيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ؛ فقدكان الأدب فى نظرهم نوعا من التدريب : حرفة يمكنك أن تكتسبها بدراسة الآثار الكلاسيكية لتستطيع تفهم الطبيعة وفقا للتقاليد الاغريقية والرومانية ، وكان أيضاً نتاجا من أنتجة العقل مثله فى ذلك مثل العلم أو التاريخ . وجاء القرن الثامن عشر فعقَّد سير النقد بعض التعقيد بادخاله معايير جديدة عامة كالخيال والعاطفة والذوق ؛ على أنه لم يستطع التحرر من التقاليد القديمة إلا فى القليل النادر .

على أنه بقيام الحركة الرومانتيكية ، الابتداعية ، نشأت الفكرة الجديدة التى ينطوى عليها النقد بكل أشكاله فى القرن التاسع عشر . ففى أوائل القرن نادت مدام دى ستال بالرأى القائل بأن « الأدب تعبير عن المجتمع » ، وهى عبارة صحيحة جزئيا لو فسر المجتمع بأنه الدائرة الضيقة التى يعيش فيها الشاعر ، لا بأنه تلك الدائرة المنسقة التى يعبر فيها العقل البشرى عن نفسه ، وأعلن فكتور كوزان بعد ذلك المبدأ الأساسى « أن التعبير هو القانون الأولى فى الفن » . وإذا أخذ معنى التعبير بعد ذلك يضيق وتضاربت الناس فى فهمه أو إساءة فهمه أصبح فكتور كوزان مشرع النظريات الميكانيكية التى تدين بها مدرسة الفن للفن الفرنسية . ونادى سانت بيف بعد ذلك بأن الأدب تعبير عن الشخصية . وهى حقيقة جزئية أيضاً لو كنا نعنى بالشخصية خلق الفنان وعاداته ، لا الشخصية الفنية التى تبين عن نفسها فى الأثر الفنى . وجاء تين بعد ذلك متأثراً بهيجل فقال إن الأدب تعبير عن الجنس والعصر والبيئة . أما العاطفيون المتطرفون فيرون فى الأدب تعبيراً عن المشاعر الدقيقة أو الآثار التى تخلفها الحياة فى الانسان .

هكذا نرى أن الأدب فى نظر كل هؤلاء النقاد هو فن من فنون التعبير سواء أكان ذلك التعبير عن شئ أو خبرة أو عاطفة ، عن الكاتب نفسه أو عما يحيط به ؛ ومن ثم كان اتفاق النقاد فى عصرنا هذا مهما اختلفت مذاهبهم وتشعبت سبلهم ، فهم فى كل ما يكتبون يدينون جميعاً بفكرة التعبير هذه .

ولقد ظل النقاد فى فرنسا يرتكزون على هذه الفكرة قرنا أو ما يزيد ، ولكن دون أن يحاول أحد منهم أن يتفهم مدلولها الجمالى ، بل هم اكتفوا بترديد صدى الفكر الألمانى ترديداً مبهما لا وضوح فيه . إذ أن الفلاسفة الألمان فيما بين هيردر Herder وهيجل كانوا أول من حدد نظرية التعبير وجعلها أساساً لطريقة جديدة من طرق النقد . وكلنا يذكر حديث كارليل عما أنجز النقد فى ألمانيا فى ذلك العصر ؛ إذ قال : « لقد اتخذ النقد شكلا جديداً فى ألمانيا ، فأصبحت له مبادئ وأغراض سامية ، ولم يعد الآن يسعى إلى تحليل الأسلوب أو النظم التى تبين صلاحية الاستعارة أو وضوح العاطفة أو الكشف عن الحقيقة المنطقية العامة التى ينطوى عليها الأثر الفنى

كما أنه لم يعد يعنى باستقراء حياة الشاعر وصفاته الخلقية أو مزاجه من خلال شعره ، بل صار همه الأول روح الشعر نفسه وحياته الخاصة به . وليست مهمة النقد تحديد الكيفية التى أنشأ بها أديسون عباراته وكوّن أسلوبه ، بل هى استكشاف العبقرية التى أوحت إلى شكسبير مسرحياته ، ونفثت الروح فى إريل وهاملت ، أين تكون هذه الروح وكيف استطاعت أن تمنحها هذه الشخصية . فالنقد لايهتم الآن بالشاعر وطريقته فى النظم ، ولكنه يهتم بفحص العقيدة نفسها وكيف كانت ولم لم تكن مجرد تعبير فصيح بدل أن تكون خلقاً ينبض بالحياة كما هى . والنقد الآن يقوم مقام الشارح الذى يفسر الملهم لغير الملهم ، والذى يصل مابين النبى ومن يستمع إليه من الناس فيطرب لروى حديثه ولكن لا يتفهم فحواه .

وسبنجارن فى فلسفته الجديدة فى النقد يرى رأى كارليل . ولكن أكبر ظنى أنه يراه مغالياً بعض الشئ فيما نسب من صفات إلى الناقد الألمانى ولو أنه يقره على أن النقاد الألمان كانوا أول من أدركوا أن التعبير هو مهمة الفن ، وأن النقد هو دراسة للتعبير . وقد كتب جيته يقول : « النقد نوعان : نقد هدام ، ونقد منشئ خالق . والأول يختبر ويقيس الأدب بمعايير آلية ، أما الثانى فيجيب على هذه الأسئلة الأساسية : ما القصد الذى يسعى الكاتب إليه ؟ وإلى أى حد نجح فى إدراك قصده وفى تنفيذ خطته ؟ » وهذه هى تقريباً نفس الألفاظ التى يستعملها كارليل فى مقاله عن جيته حين يقول : « على الناقد أن يفهم بوضوح ماذا كان قصد الشاعر ، وما هو العمل الذى كان عليه أن ينجزه ، وإلى أى حد استطاع بلوغه وتأديته مستعيناً فى ذلك بالمادة التى بين يديه ؟ » وهذا — فى رأى سبنجارن — هو القبس الذى يستمد النقد نوره منه فى عصرنا الحديث ، وهذا هو المثل الأعلى الذى ظل النقاد يسعون إليه من كولريدج إلى باتر ومن سانت بيف إلى ليتر ، حتى عند ما لم يصيبوا فيه نجاحا ، وعندما كانوا يخدعون أنفسهم بأنهم يسعون إلى أشياء أخرى خلافه ؛ ولكنه لم يكن المثل الأعلى للنقاد فى عصر أرسطو أو العصور التى تليه عند ما كان الناقد يحكم على الأثر الفنى بقوله إنه « غير معقول » أو « ضار بالأخلاق » أو « يناقض نفسه » أو « يتنافى مع أصول وقواعد الكتابة » . ولم يكن هذا

أيضاً ضمن مقاييس بوالو Boileau الذى لام تاسو على استعمال الأسطورة المسيحية بدل الأسطورة الوثنية فى الملحمة ، أو أديسون عندما كان يحكم على « الفردوس المفقود » وفقا لمقاييس Le Bossu أو الدكتور جونسون عندما كان يعيب على الملك لير خلوها من العدالة الشعرية .

« ماذا حاول الشاعر صنعه وكيف أدرك قصده ؟ ما الذى يحاول أن يعبر عنه وكيف استطاع التعبير ؟ وما هى الروح التى يشف عنها أثره الفنى ؟ وما هو الطابع الذى يمكن أن يخلفه على العقل ؟ وما هى أفضل السبل التى أستطيع أن أعبر بهما عن هذا الطابع ؟ هل الأثر الفنى أمين على تنفيذ القوانين التى هى قوانينه الذاتية لا القوانين التى يفرضهما الغير عليه ؟ » هذه هى الأسئلة التى يجب على الناقد الحديث أن يوجهها إلى نفسه كلما حاول أن يعالج أثراً من الآثار الفنية . ولكننا فى الاجابة عنها يجب ألا يعزب عن بالنا أمر ذو أهمية عظمى ، وهو أننا يجب أن نحكم على هدف الشاعر ساعة الخلق ، أعنى بالقصيدة نفسها ، لا بالآمال والمطامع التى تجيش بها نفسه والتى يتخيلها هدفه قبل أو بعد أن يتم الخلق ؛ إذ أن مطمع كل فنان أن يخلق أثراً فنياً . ولكن الأسئلة التى تدور حول عمله يجب أن تنحصر فى هذا السؤال : « هل استطاع أو لم يستطع خلق أثر فنى » .

قلنا إن نظرية التعبير وإدراك أن الأدب فن من فنون التعبير هى النقطة الرئيسية التى تقابل فيها النقاد منذ قرن مضى إلى الآن ، ولكنهم لم يحسنوا فهمها فأدت بهم إلى طرق متشعبة وسبل معقدة وأوهام وسخافات لا حد لها فقد معها مدلولها وطمس معناها ، إلى أن جاء المفكر الايطالى بنيد تو كروتشى Benedetto Croce وهو ناقد معاصر أدرك النظرية إدراكا شاملا ، ورأى بوضوح ما يترتب عليها من نتائج ليست فى الواقع إلا استنباطا من النظرية نفسها ، وهى أنه بما أن الفن تعبير فكل تعبير فن . ولا يسمح المجال لى بأن أعرض لمحاسن هذه النظرية ومثالبها ، ولكن يكفى أن أقول إنهما الركن الأساسى فى فلسفة النقد الجديد ؛ إذ أن سبنجارن يرى أنه لو أقرها النقاد — وهم بالفعل يقرونها جزئيا — لأدى ذلك إلى تطهير النقد من كثير من الأعشاب البرية التى تعوق تقدمه ، وهى الأعشاب التى سأحاول فيما يلى أن أجلوها نيابة عنه ، لأبين الأهداف التى ظل النقد يسعى إليها مدى قرن

كامل أو ما يزيد ، ولأكشف عن عناصر النقد القديم التى بدأت فى ضوء هذه النظرية الجديدة تتوارى فى « النقد الجديد » .

فنحن أولا قد تخلصنا من القواعد القديمة ، حتى إن مجرد التفكير فى قواعد النقد ليذكر الناقد الحديث بعصر السحر وبهذه الألفاظ والعبارات المبهمة التى يحرم على أبطال الأساطير والقصص الخرافية التفوه بها دون سبب ظاهر . فالقواعد الآن لاتعدو أن تكون أثراً من آثار « التابو » عند القبائل الهمجية ، ونحن لا نجد الكثير منها عند أرسطو الذى كان يعتمد فى نقده على استقراءاته فى الأدب ، بيد أننا نجدها بوفرة فى كثيرين من أدباء اللغة الاغريق الذين أتوا من بعده وفى أغلب النقاد الرومان . فهوراس يسن القواعد للكاتب المسرحى فيقول : « يجب ألا يكون على المسرح أكثر من ثلاثة ممثلين فى وقت واحد ، ويجب ألا تتألف المسرحية من أكثر أو أقل من خمسة فصول . » لا ضرورة بنا إلى تتبع تاريخ هذه القواعد ولا إلى الافاضة فى كيفية ازدياد عددها ، ولا كيف أن الاتباعيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر نظموا منها القوانين والدساتير الأدبية ، ولا كيف أنها عاقت تقدم الفن فى ذلك العصر ؛ فقد رأينا أنها كان لها فى كل وقت من المعارضين مثلما كان لها من الناصرين ؛ فأريتينو ضد سكاليجر ، و سانت ايفرموند ضد بوالو ، كما أننا نعرف أن الشعراء فى كل عصر أذهلوا النقاد بخرقهم هذه القوانين خرقا لم يؤد إلى الايذاء بمؤلفاتهم ولم يضع معه جمالها ، وكيف أنها استمرت إلى نهاية القرن الثامن عشر عندما أبعدها الابتداعيون عن عالم النقد . ولكنها لم تبعد حقا ، فهى مازالت قائمة بيننا متنكرة باسم العرف والأسلوب الفنى ، ولكنها ستزول قطعاً عندما يعترف النقد فى صراحة بأن كل أثر فنى خلق روحى لاتتحكم فيه إلا قوانينه الذاتية .

ونحن قد تخلصنا أيضاً من تقسيم الأدب إلى أبواب genres فتاريخها مرتبط بتاريخ القواعد الاتباعية ؛ وقد كان الاتباعيون يسنون القوانين لكل باب ويحتمون ألا يتعداها . ولم يكن هذا التبويب فى ذاته إلا نتيجة لهذه القواعد ؛ فالكوميدى يجب ألا يختلط بالتراجيدى ، والملحمة يجب أن تنفصل عن الشعر الغنائى . على أن هذا القانون لم يلبث أن كسره الشعراء، فاضطر النقاد إلى تفسير هذا الخرق لقوانينهم أو إلى تغيير القوانين نفسها .

ولكنا إذا اعترفنا بأن الفن تعبير عضوى ، وأننا فى نقدنا لكل أثر فنى يجب أن نجيب على السؤال التالى : « ما الذى عبر عنه الأثر الفنى؟ و إلى أى مدى كان تعبيره كاملا ؟ » انتفت الحاجة إلى أن نتساءل عن مدى اتفاق الأثر الفنى مع قواعد وأصول الباب الذى يمكن أن ندرجه تحته . فالشعر الغنائى والملحمة والملهاة كلها أسماء لا يمكن أن تكون لها دلالة فعلية فى عالم الفن. فالشعراء لا يتعمدون كتابة الأغانى أو الملاحم أو الملهاة مهما غررت بهم هذه التسميات ، ولكنهم يعبرون عن أنفسهم ؛ وهذا التعبير هو الشكل أو المظهر الوحيد الذى تتخذه كتاباتهم . ومن ثم لا يمكن أن يكون للأدب ثلاثة أو أربعة أو عشرة أو مائة باب ؛ فهى كثيرة كثرة الشعراء أنفسهم . وأنت إذا أمعنت النظر فى تاريخ الأدب اتضح لك هذا الخطأ وبان خطره ؛ فشكسبير مثلا قد كتب « الملك لير » و « فينس و أدونس » و « السونيتس » ؛ فلو أن مؤرخ الأدب قد فصل كلا من هذه الآثار بعضها عن بعض ونسبه إلى الباب الذى يتشابه فيه تشابها سطحيا مبهما مع أثر فنى آخر لقطع بذلك صلته بخالقه ولفقدنا كل أثر لشكسبير الفنان الخالق . ومن الجهل بمعنى النقد أن نقسم الأدب الانجليزى إلى أقسام نسميها بالكوميدى والتراجيدى والشعر الغنائى وما أشبه ذلك ؛ إذ يصبح تاريخ الأدب بذلك سخافة منطقية ؛ لأنك بدل أن تصل بين المواد التى تتألف منها صلة عضوية تفصلها إلى أقسام وتضع كل قسم منها فى باب معين ، وهذه الأبواب فى ذاتها لا يمكن أن تعنى شيئا اللهم إلا فى حالة استخدامنا لكلمة الغنائى لنصف بها حرية التعبير الفنى ؛ فالفن كله غنائى بما فى ذلك الكوميديا الالهية والملك لير ومنظر من رسم كورو Corot وموسيقى باخ ورقص إيزادورا دنكان وأغانى هينى وشلى .

ونحن أيضاً قد تخلصنا من نظرية الأسلوب والاستعارة والتشبيه وما إلى ذلك من ضروب البلاغة الاغريقية الرومانية ، وهى التى ندين بكيانها للاعتقاد بأن الأسلوب منفصل عن التعبير ، وأنه شئ يمكن إضافته إلى الأثر الفنى أو طرحه منه كما نشاء بدل أن يكون إدراك الشاعر للحقيقة وموسيقى كيانه بأكمله . ولكنا الآن نعرف أن الفن هو التعبير ، وأن هذا التعبير كامل فى ذاته ؛ فاذا غيرناه اضطررنا إلى خلق تعبير جديد وبالتالى إلى خلق أثر فنى جديد . ومع أن بعض النقاد مازالوا يكتبون عن الأسلوب

كما كان أسلافهم يكتبون منذ قرنين عن فنون الشعر فقد أصبحت نظرية الأسلوب تشغل حيزاً يذكر فى الفكر الحديث . فنحن ندرك الآن أننا لا يمكننا دراسة الأسلوب منفصلا عن الأثر الفنى ، كما لانستطيع دراسة العنصر الكوميدى منفصلا عن كاتب الملهاة .

ونحن قد تخلصنا أيضاً من الحكم الأخلاقى على الفن بعد أن كان هوراس يقول بأن اللذة والمنفعة هما القصد من الشعر ، وظل النقاد بعد ذلك مختلفين ، فى اللذة والمنفعة أيهما أجدر بالشعر قرونا عدة ، فى حين كان بعضهم يقول بأن الشعر يهدف إليهما معاً ، فنحن نتعلم منه كما نطرب له . إلى أن جاء النقاد الابتداعيون فنادوا بالمبدأ القائل بأن الفن لاغرض له إلا التعبير ، وأن غرضه يكتمل باكتمال التعبير ، وأنه لامسوّغ للجمال إلا وجوده ، إذ أنه ليس من طبيعة الشعر أن يخدم أى غرض خلقى أو اجتماعى . وقد لا يستطيع المؤرخ أو الفيلسوف أو المشرع أن يرى فى الأثر الفنى شيئاً سوى أنه وثيقة اجتماعية ، وهو فى هذا يشبه الحجار الذى يرى أن التمثال ليس إلا كتلة من الرخام تزن عدداً معيناً من الأرطال ، ولكنه يجهل أو يغفل عن القصد منه والسر فى روعته وقوته . ونحن لانهتم بالأخلاق فى كلامنا على أبحاث العالم ومنشآت المهندس ، بل إننا نتطلب منه ألا يهتم بها فى بحثه عن الحقيقة . وعالم الجمال بعيد كل البعد عن كلا الوصفين ، فلا هو يرمى إلى استكشاف الحقيقة ولا إلى تقويم الخلق وكل ما يحلق فيه خيالى لا يمت بصلة إلى الحقيقة ولا يمكن أن يقاس بمقاييسها . وليس على الشاعر من واجب خلقى سوى أن يكون مخلصاً لفنه ، وأن يعبر عن تصوره للحقيقة فى أكمل صورة . ومن ثم بطل الحكم على الأدب بالمعايير الأخلاقية إلا فى أمريكا ، إذ أن النقاد فيما عداها من بقاع الأرض يعلمون أن الفن تعبير لابد منه عن ناحية من نواحى الطبيعة الانسانية لا تستطيع أن تدرك نفسها إلا به وفيه .

ولقد تخلصنا أيضاً من المزج بين المسرحية والمسرح مزجا خاطئا ظل يشوب روح النقد نصف قرن تقريباً ، فالنظرية القائلة بأن فن الدراما ليس فنا خالقاً بل هو مجرد نتيجة للظروف المسرحية القائمة نظرية قديمة يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر حين نادى عالم إيطالى بأن القصد من المسرحيات أن تلعب على المسرح فى أحوال وظروف معينة وأمام جمهور كبير متنوع من الناس . ومنذ

ذلك العهد أصبح الحكم على قيمة المسرحية يتبع مقدار السرور الذى يجلبه تمثيلها إلى نفوس النظارة ، أو بمعنى آخر مقدار نجاحها على المسرح . وارتكن إلى هذه الفكرة بعض الابتداعيين من النقاد الألمان فى القرن التاسع عشر ليسوّغوا شذوذ مسرحيات شكسبير عن القواعد الاتباعية ، فنادوا بأن الحكم على شكسبير بقواعد المسرح الاغريقى حكم خاطئ ؛ لأن الدراما نتيجة للظروف المسرحية القائمة وهى الظروف التى كانت تختلف كل الاختلاف فى انجلترا فى عهد اليصابات عنها فى أثينا فى عهد بركليس . وقد نجحوا فى دعواتهم كل النجاح فأعادوا إلى شكسبير مجده . ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد ؛ فقد تطورت الفكرة إلى نظرية ثم إلى عقيدة ظلت تلازم النقاد حتى اليوم ملازمة القواعد الاغريقية للنقد فى القرن السابع عشر . ولكن الواجب يقضى بألا نحكم على الكاتب المسرحى بمقاييس تختلف عما نحكم به على أى كاتب أو فنان آخر . فنقدنا يجب أن ينصب على ما يسعى الكاتب إلى التعبير عنه وعلى كيفية التعبير ومدى نجاحه أو كماله . فالمسرح عمل كما هو فن . وما نسميه بنجاح المسرحية يهم المسرح من الناحية التجارية . وكما قال ناقد فرنسى قديم : « قد يسوّغ نجاح الكاتب المسرحى ، ولكن قد لا يكون من السهل تسويغ النجاح نفسه » . فمقياس النجاح مقياس اقتصادى لا يعنى الفن أو النقد فى شئ ، ولكنه دون شك يهم علم الاقتصاد . وقد قامت بعض البحوث الخاصة بتاريخ المسرح وبتغير الذوق المسرحى بخدمات جليلة للتاريخ الاجتماعى والاقتصادى ، ولكنها لا تمت بسبب إلى الدراما كفن أو إلى النقد ، وهى فى ذلك تشبه بحثا فى تاريخ حرفة النشر وأثرها فى جيوب الشعراء وثرواتهم من البديهى أن لا صلة بينه وبين تاريخ الشعر .

ونحن أيضاً قد تخلصنا من المهارة الفنية باعتبارها جزءاً منفصلا عن الفن ؛ فقد أوضحنا أن الأسلوب لا يمكن أن ينفصل عن الفن . وما المهارة الفنية إلا تسمية خاطئة للأسلوب قد يعمينا عن خطئها مايحيط بها من هالة تشبه الهالة العلمية . وقد قال أوسكار وايلد فى مقاله عن « الناقد الفنان » : « المهارة الفنية هى الشخصية ، وهذا هو السبب فى أن الفنان لا يستطيع أن يلقنها لغيره ، وأن الطالب لايستطيع أن يتعلمها ، وأن الناقد لايستطيع أن يفهمها . » فالمهارة الفنية فى الشعر لا يمكن أن نفصلها عن طبيعته ؛ فلا نستطيع مثلا

أن ندرس النظم فى ذاته إذ هو صفة من صفات الشعر لا تنفصل عنه وهى تختلف فى القصيدة عنها الأخرى ولو كانت من نفس البحر أو القافية .

ونحن أيضاً قد تخلصنا من الجنس والزمن والبيئة التى نشأ فيها الشاعر كعنصر من عناصر النقد . فدراسة هذه النواحى بالنسبة للأثر الفنى تعنى أننا نعالجه كما لو كان وثيقة تاريخية أو اجتماعية ؛ وهى دراسة قد تلقى شيئاً من الضوء على تاريخ الثقافة أو الحضارة ، ولكنها لاتفيد تاريخ الفن إلا إذا كشفت لنا عن مادة الحياة التى كانت تحيط بالشاعر لنعرف ماذا صنع بها وكيف استطاع أن يصوغها شعراً . وبهذا فقط نكون قد فسرنا التعبير تفسيراً صحيحاً وحررنا النقد من Kulturgeschichte التى فرضها عليه تين ومدرسته .

وقد تخلصنا أيضاً من تطور الأدب ، وهى الفكرة التى نشأت فى القرن السابع عشر والتى عارضها باسكال من بادئ الأمر حين نبه الأذهان إلى ضرورة التفرقة بين العلم والفن . فالعلم يتقدم عن طريق الاستكشاف وجمع الحقائق ؛ أما تغيرات الفن فلا يمكن أن نخضعها لأية نظرية من نظريات التقدم؛ إذ يتحتم علينا حينذاك أن نصنف الشعراء وفقا لتقديرنا لقيمهم تقديراً تعسفيا ، وهو أمر لم يعد النقد الآن يعيره شيئاً من اهتمامه . وتطورت فكرة التقدم فى أواخر القرن التاسع عشر إلى نظرية التطور التى استعارها النقاد من العلم ، ولكنها أيضاً نظرية خاطئة لأنها تغفل طبيعة الفن الذى يسير ويتحرك فى حرية تامة . ونحن كذلك نخطئ عندما نتكلم عن منشأ الفن لأنه ليس للفن منشأ ينفصل عن حياة الانسان .

ونحن أخيراً قد تخلصنا من الفصل بين النقد والخلق ؛ إذ أن النقاد عندما حددوا مهمتهم بأنها الكشف عن غرض الشاعر وكيفيته ومدى تحقيقه لهذا الغرض حددوا بهذا طريقتهم فى النقد . إذ كيف يتسنى للناقد أن يؤدى هذه المهمة دون أن يكون كالفنان تماما . أعنى أننا فى تذوقنا للأثر الفنى يجب أن نعيد خلقه فى نفوسنا حتى يتسنى لنا فهمه والحكم عليه . وفى هذه الحالة يصبح النقد فنا من الفنون الانشائية . ونظرية الجمع هذه بين الخلق والنقد هى آخر ما وصل إليه الفكر الحديث فى عالم الفن . ونحن نستطيع أن نتتبع نشوءها من جيته إلى كارليل ، ومن كارليل إلى أرنولد، ومن أرنولد إلى سيمونز حيث ظل النقاد دهراً طويلا يتحدثون عن المهمة الانشائية للنقد ولو أنها كانت

تعنى عند كل منهم شيئاً يختلف عما تعنيه للآخر ؛ فكانت فى نظر أرنولد تعنى أن النقد يخلق جو العصر الفكرى ، وهى مهمة اجتماعية هامة ولكن لا صلة لها بالفن . على أن هؤلاء النقاد مهما اختلفوا فقد كانوا جميعا يرمون إلى حقيقة هامة تنطمس فى ضوئها كل الآراء العتيقة عن عقم النقد ، وهى أن الحياة التى ينبض بها النقد لا تختلف فى شئ عن الحياة التى ينبض بها الخلق . وهذه الحقيقة لا تفسر لنا كل ما نحب أن نعرفه عن النقد ، ولكنا الآن نعرف أن النقد بدونها مستحيل . قال شلينج Schelling : « إن الخلق بالنسبة للنقد كالروح بالنسبة للفلسفة ، الحقيقة العليا التى لا حقيقة غيرها . » وهذا يفسر كيف أن التفكير وحده لا يمكن أن يهتدى إلى السر فى روعة الفن ، وهو السر الذى إن تكشف لنا على الاطلاق لا يمكن أن يجلوه إلا أثر فنى آخر من آثار فن النقد الذى يقوم بالنسبة للأدب مقام المرآة ؛ لأن النقد والخلق فى جوهرهما لا يختلفان .

وبعد فهذه خلاصة آراء مدرسة النقد الجديد التى يتزعمها سبنجارن G. A. Spingarn نرجو أن نكون قد وفيناها حقها من العرض والتلخيص .

محمد رشاد رشدى

من هنا وهناك

روسيا السوفيتية والدراسات الشرقية

قد يكون من واجبنا أن نعنى بتتبع الدراسات الشرقية فى بلاد أوربا ، وربما كنا على علم كبير بما يجرى فى هذا الباب فى بلاد مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا لما بيننا وبين هذه البلاد من اتصالات علمية ، ولكن الأحوال السياسية بعد الحرب العظمى الأولى قضت بأن نكون بعيدين عن تتبع سير الدراسات الشرقية فى روسيا السوفيتية . وقد وقفنا أخيراً على معلومات طريفة فى هذا الباب من مقال للعالم الروسى تيخونوف نشره عن معهد الدراسات الشرقية فى روسيا السوفيتية ، وهو معهد يؤلف قسما من أكاديمية العلوم السوفيتية ، ونقلت هذا المقال نشرة الصحافة السوفيتية التى تصدرها المفوضية السوفيتية فى مصر — عدد ٩ فبراير — ولسنا بمستطيعين نقل هذا البحث بأكمله لطوله . ولكننا سنحاول أن نجيء بأهم ما جاء فيه من بيانات .

استهل الكاتب مقاله بذكر تاريخ الدراسات الشرقية التى قام بها الروس ، وذكر أن بطرس الأكبر كان أول من رأى ضرورة هذه الدراسات حين أصدر مرسوماً فى سنة ١٧٠٠ عن تعليم اللغات الشرقية للروسيين . وعندما أنشئت أكاديمية العلوم فى مدينة بطرسبرج سنة ١٧٢٥ ، كان هنالك أشخاص تعلموا اللغات الشرقية فى بعثات أرسلت إلى بلاد الشرق ، بفضل المرسوم الذى أصدره بطرس الأكبر . ومع ذلك لم يبدأ تعليم اللغات الشرقية فى بعض المدارس العليا الروسية إلا فى القرن التاسع عشر . وفى ١١ نوفمبر سنة ١٨١٨ أنشأت أكاديمية العلوم المتحف الأسيوى ، وجمعت له كتب ومخطوطات ونقود ونقوش من مجموعة الكتب التى اقتناها بطرس الأكبر . وهكذا نشطت الدراسات الشرقية فى روسيا ، واهتم علماء كثيرون بهذه الدراسات ، وبرزت أسماء العلماء الروسيين فى سمائها . ونذكر منهم روزن Rosen الذى كان زعيم المدرسة الروسية للدراسات العربية ، ومار Marr الذى أنشأ نظرية حديثة هى النظرية المادية للغة ، وبارتولد Bartold مؤرخ الشرق الشهير .

وعندما انتشر الرخاء فى ربوع البلاد السوفيتية ، وتقدمت الثقافة والعلم ، اتسعت الواجبات فى نطاق الدراسات الشرقية بأكثر مما يتحمله نشاط المتحف الأسيوى . وعلى ذلك أنشىء معهد الدراسات الشرقية فى أكاديمية العلوم . وضم إلى هذا المعهد جميع الأقسام التى أنشئت من قبل وتمت إلى الدراسات الشرقية ، مثل معهد الدراسات البوذية ومعهد الدراسات التركية ، وكلية المستشرقين . وضم إلى المعهد جميع العلماء الباحثين فى هذه الدراسات من أمثال كراتشكوفسكى Kratchkovsky وهو اسم معروف عند علماء العالم بأسره . ويشرف على كل قسم من أقسام هذا المعهد عالم مختص فى مادته ؛ فالأستاذ الكسييف Alexeiev يرأس قسم الدراسات الصينية ،

والأستاذ بارانيكوف Barannikov يرأس الدارسات الهندية ، وكوزين Kozine للغة المنغولية وثقافتها ، وسترفيه Strouvé للشرق القديم ، وكونراد Konrad للحضارة اليابانية وفريمان Freiman وبرتل Bertel للدراسات الايرانية ، وجوردلفسكي Gordlevsky مختص بالدراسات التركية .

ومن أهم ما يعنى به المعهد إخراج القواميس بهذه اللغات ، وقد أخرج طائفة منها ، وهي أقرب إلى الموسوعة منها إلى كتب اللغة .

ويهتم المعهد اهتماماً خاصا بدراسة تاريخ هذه اللغات . ومن أهم ما أخرجه من الكتب في هذا الباب أجرومية اللغة الصينية في جزأين ، يعنى الأول منهما باللغة القديمة ويعنى الثاني باللغة الحديثة .

ونشطت الدراسات الأدبية في محيط اللغات الشرقية . وقد أصدر المعهد كتاباً أساسيا عن الأدب الجغرافي العربي ، وهو مؤلف لم يتم بعد . كما أن القسم الأول من كتاب في تاريخ الأدب الفارسي هو الآن تحت الطبع .

والدراسات التاريخية كثيرة . وقد اهتم المؤرخون الروسيون بدراسة أصول الحياة في البلاد الشرقية في القرون الوسطى ، فدرسوا النظام الاجتماعي عند الشعوب البادية ، وخصائص المدنية الشرقية في القرون الوسطى ، واقامة الرحل حول الواحات واتخاذهم عادات المتحضرين ، وقيام الامبراطوريات الشرقية وتفككها ، وغير ذلك من الأمور التي تلقي ضوءاً على مشكلات التاريخ .

ونشر المعهد منذ إنشائه أكثر من ثمانين مؤلفاً بعضها بحوث وبعضها نصوص . وليس من المستطاع تعداد أسماء هذه المؤلفات ولكننا نذكر أهمها : فمن ذلك كتاب العالم فلاديميرتزيف Vladimirtzev عن الهيئة الاجتماعية بين المنغول وتأليفها .

ونشر العالم إيفانوف Ivanov وثائق المحفوظات لدى خانات خيفا في القرن التاسع عشر ، كما نشر أبحاثاً في تاريخ قره كولباك .

وأصدر جوردلفسكي مؤلفا ضخما عن دولة السلجوق في آسيا الصغرى .

ونقلت رحلة ابن فضلان على نهر الفولجا إلى اللغة الروسية ، كما صدرت ترجمة روسية جديدة للجزء الثالث من تاريخ رشيد الدين الشهير باللغة الفارسية .

واتسع قسم المخطوطات بالمعهد اتساعا كبيراً ، فصار من أهم مجموعات المخطوطات في أوربا . ففيه ما يزيد على أربعين ألف مخطوط ومنها ما هو نادر . ومن أكبرها قسم المخطوطات العربية ، وفيه أكثر من ١٢ ألف مخطوط . ومن أهمها تاريخ المنصور للحموي وهي نسخة بخط المؤلف ، ومنها مخطوط للجزء الخامس من تجارب الأمم لابن مسكويه وهي نسخة كتبت في القرن الخامس عشر .

وفي المجموعة من الشعر نسخة كاملة لكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ونسخة من كتاب الكامل للمبرد تاريخها سنة ١١٤٢ ، وأقدم نسخة لديوان جرير من القرن العاشر ، ومخطوطة جميلة لديوان الأخطل ، كتبت في القرن الثالث عشر ونسخة نادرة جداً لديوان الشاعر الأموي ذي الرمة ، ومخطوط نادر لديوان أبي نواس ، ومخطوط آخر نادر من القرن الثالث عشر لديوان ابن قزمان الشاعر الأندلسي ، ومجموعة أشعار أسامة بن منقذ ، ومجموعة أشعار الشاعر المصري ابن تغري بردي وقد كتبت في عصره .

ومن الطرائف فيما يتعلق بأدب البلدان ثلاث منظومات نظمها أحمد بن مجيد ، دليل

المستكشف فاسكوى دجاما، فى وصف الطرق البحرية فى المحيط الهندى، ووصف لرحلة بطريرك أنطاكية بروسيا فى القرن السابع عشر.

وفى العلوم الرياضية توجد مخطوطة لمبادئ أقليدس تاريخها سنة ١١٨٨، ومجموعة لرسائل ابن الهيثم، وكتاب فى الفلك لنصر الدين الطوسى.

ومن أهم المخطوطات نسخة للقرآن الكريم بالخط الكوفى كتبت فى القرن التاسع، ومخطوط للتوراة باللغة العربية كتب فى دمشق سنة ١٢٣٦.

أما مكتبة المعهد فتحتوى على ٧٠٠ ألف مجلد مكتوبة بأكثر من ٦٠ لغة أوربية وشرقية. ومما يدل على اتساعها اتساعاً كبيراً أن مكتبة المتحف الأسيوى فى سنة ١٨٤٤ كانت تحتوى على ٣٠٦٧ مجلد. وفى سنة ١٩١٨ كانت تحتوى على نحو ٣٥ ألف مجلد.

وتتصل هذه المكتبة بالمعاهد المختلفة فى روسيا السوفيتية وفى الخارج وتعيرها كتبها. كما يتصل المعهد نفسه بجميع الهيئات التى تعلم اللغات الشرقية أو تدرسها فى روسيا وفى الخارج.

ويقوم مجلس المعهد بدراسة الرسائل التى تقدم إليه من جمهوريات الاتحاد السوفيتى كما أنه يساعد الطلبة الذين يقبلون على الدراسات الشرقية بالمنح المالية. وهكذا يقوم بعمله فى نشاط وجد.

ع.

وفاة العالم الهندى الدكتور أنند كمارسوامى

(١٨٧٧ — ١٩٤٧)

فقدت الهند بوفاة الدكتور أنند كمار سوامى ركناً من أركانها العلمية ذا شهرة عالية فى فلسفة الفن وصاحب نظرية خاصة فيها.

ولد أنند كنتيش كمارسوامى بن السير موتوكمارسوامى فى سنة ١٨٧٧ م فى جزيرة سيلان، وتعلم بالهند، فلما كمل التعليم الابتدائى والثانوى التحق بجامعة لندن ونال منها الدكتوراه فى العلوم D. Sc. وعين بعد ذلك مباشرة زميلا Fellow فيها، ومن سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٠٦ تولى منصب المدير لمصلحة مساحة الثروة المعدنية فى سيلان، فأول منشوراته كانت تقاريره عن جيولوجيا تلك الجزيرة، وما صنفه فيما بعد فهو فى الفن، وعلم الاجتماع وما وراء الطبيعة. ولع كمارسوامى بالفن عن طريق العلم، فباكورة مصنفاته فيه فى الغالب إيضاحية وتاريخية. فكتابه مثلا فى الفنون والحرف فى الهند وسيلان وهو الذى نشره فى سنة ١٩١٣ يعد لدى أهل العلم كتاب المرجع فى الموضوع. وفى مقدمة هذا الكتاب صدرت من قلمه جملة أومأت إلى مخايل الاتجاه المقبل فى فكره وتقدمه وتطوره الممكن، وتلك الجملة: إن الهنود لم يعتقدوا أصلا فى المبدأ — الفن للفن، بل كان مبدؤهم فيه كمبدأ أوربا القرون الوسطى الفن لأجل المحبة.

ونشر من سنة ١٩١٠ إلى سنة ١٩١٢ كتابه « الرسوم الهندية » فى مجلدين، ثم فى سنة ١٩١٦ كتابه « بوذا وكتاب

البوذية الملهم » . وفى سنة ١٩١٧ انتقل إلى أمريكا وعين زميلا للبحث فى الفنون الهندية والفارسية والاسلامية فى متحف الفنون الجميلة ببوسطن واستمر فى هذا المنصب إلى آخر حياته . ونشر فى سنة ١٩١٨ كتابه « رقص الاله شيوا » . وفى سنة ١٩٣٣ بحثه « اقتراب جديد من ويدات » احتوى على ترجمتها وتفسيرها . وفى سنة ١٩٣٤ كتابه « تغير الطبيعة فى الفن » شمل نضوج نظريته فى الجمال التى يمكن أن تعتبر جميع مصنفاته الايضاحية والتاريخية السابقة مقدمة لها . ثم نشر فى سنة ١٩٣٧ كتابه « هل الفن خرافة أو طريق للحياة ؟ » ، وفى سنة ١٩٤٣ كتابه « لم تعرض نتائج الفن ؟ » أبان فيهما الوضع العقلى والعملى لنظريته . وفى سلسلة أخرى عنوانها « صور الكلام أو صور الفكر » شرح وجهة التقليد والعادة فى الفن بمباحث متتابعة علمية دقيقة .

كان كمار سوامى من مؤسسى النهضة للتعليم الوطنى فى الهند ، وعدا منصبه الآنف الذكر بأمريكا كان زميلا فى جمعية لينيا Linnean Society وجمعية علماء طبقات الأرض ، وعضواً فى الجمعية الآسيوية الملكية ، وأمد بمقالاته العلمية غير واحدة من المجلات العلمية البريطانية وغير البريطانية ، وكذلك ساهم بها فى دائرة المعارف الانجليزية وأيضاً فى قاموس وبستر الدولى الجديد (الطبع الثانى) الأمريكى .

توفى كمار سوامى فى ٦ سبتمبر الماضى فى مدينة نيدهام (ميساشوستس) بأمريكا بالغاً السبعين من عمره وتاركا بنتاً وابنين . وكان العلماء من أقطار العالم المختلفة ساهموا بمباحثهم العلمية فى إخراج كتاب بعنوان « الفن والفكر » للتقديم إليه احتفالا ببلوغه السبعين واعترافاً بعلمه وفضله ، ولكنه انتقل إلى دار البقاء قبل أن يطبع الكتاب . والكتاب سيطبع متى تم ترتيبه وإعداده للطبع ، وهو يحتوى على أكثر من ثلاثين مبحثاً علمياً من أقلام كبار العلماء فى العالم .

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

الرسائل فى الأدب العربى [1]

ينتاب النقد الأدبى فى هذين اليومين شبه أزمة ، باحجام الأقلام البارعة النافذة البصيرة من أن تصول وتجول فى ميدانه الفسيح ، مما أضعف النتاجين النقدى والأدبى معاً . ويؤسفنى — ويؤسف الغير أيضا — أن يتصدى للنقد والتعقيب قوم فرغت همومهم الأدبية فأضفوا على أنفسهم أثوابا من الأستاذية ؛ إذ ظنوا أن النقد هو ذلك المركب الطيع السهل الذى ينقاد لهم — بجرة قلم — فى طرفة عين وانتباهتها . . .

ولا نعيب أصحاب هذه النقدات ولا

(١) كتبت هذه الكلمة على أثر قراءة ما وجهه إلى الأديب « الجاحظ » فى تعقيباته بعدد الرسالة ٧٤٧ من نقد لمقدمة رسائل الزهاوى المنشورة بالكاتب المصرى فى العدد ٢٥ .

أرباب تلك التعقيبات — فكل خلق لما هو ميسر له — ولكن نعيبها حرصا منا على موازين النقد الأدبي من أن يعبث بها مادامت قد أصبحت - في هذا الزمن الآلي - سداها ولحمتها ذلك الارتجال الرخيص .

والنقد كما تلقيناه عن شيوخنا الأجلاء ، ونذكر منهم على سبيل المثال : الصولى والقالى والألوسى وابن رشيق والعسكرى وابن قتيبة وطه حسين والعقاد وهيكل والمازنى وأضرابهم من الثقات العباقرة هو ذلك النتاج الضخم الذى لايقل روعة عن النتاج المنقود ، لا ذلك الصيد الذى يتخطفه الكاتب من هنا ومن هناك ، ويزهى بما يحمل بين يديه من زاد علم الله مقدار ماتكلف فى سبيله من جهد وعناء ، كأنه يحمل عصا الماريشالية ، أو عصى موسى .

ويحسن بهؤلاء الكتاب الفضلاء — وهم فى مستهل حياتهم الأدبية — أن يستخيروا الله جل وعلا ، فيما تنضح به قرائحهم ، ويعملوا جهد طاقاتهم على أن يقدموا للجيل مثل ما قدم لهم الرعيل الأول — من جهابذة النقد وفحول البيان— من زاد تعتز به اللغة فى تحرز لا يبلغ حد التزمت والتردد وحرية لا تبلغ حد السباب والتهاتر .

أجل ! لقد طلع علينا الأديب الشاب محمد فهمى عبداللطيف — الملقب بالجاحظ !— بتعقيبته اللطيفة « الرسائل فى الأدب العربى » المنشورة بالعدد ٧٤٧ من الرسالة الغراء يعيب على فيها قولى — بالمقدمة التى قدمت بها الرسائل — «هذا لون من ألوان الأدب الجديد — فى أدب الرسائل — استحدثنا أو بعبارة أخرى نبشنا دفائنه وأحيينا مواته . . . » فى أسلوب كريم لم أنسج على غراره فى يوم ما ، حتى فى ذلك اليوم الذى بدأت به حياتى الأدبية بما قدمته من دراسات نقدية للاعلام الأجلاء : حافظ والرافعى والزهاوى من بضع عشرة سنة . ولن أستطيع اليوم إلى ذلك سبيلا . ذلك لأننا لن نرجع القهقرى اطلاقا حتى نرضى للنقد — وهو ذلك الفن الرفيع — هذا الثوب المهلل الرخيص . كأن الجدل الأدبى انتقل إلى جدل سياسى ، وكأن الكتاب — فى هذا البلد المسكين — أصبح كل وكدهم تبادل لواذع القول بدون رادع . وندع هذا جانبا ونرد على الأديب الناقد فى إيجاز :

نعم أيها الأديب . إن الأدب العربى مشحون بأدب الرسائل ، وعلى رأسها رسائل إخوان الصفاء ، ورسائل عبد الحميد الكاتب ، ورسائل ابن العميد ، ورسائل البلغاء ، وغيرها من آلاف الرسائل ، من رسائل العلماء والفلاسفة والأدباء ، حتى الجوارى والقيان . ولا ينكر هذا إلا من كان غير ذى علم . ولكنها أيها الأخ بالرغم من اشتمالها على ضروب من المعرفة شتى ، لا تعين على بناء شخصية كاملة ، أو بعبارة أدق لا يستطيع المترجم لصاحبها أن يصور صورته الحقة على ضوئها ، لا لأنها ضيقة الأفق أو محدودة المعانى ، بل لأنها لم تنشأ أصلا لتحقيق « الشخصية » بل أنشئت — كما تقول أنت أيها الأديب تماماً — للمطارحات والمعارضات ؛ ورسائلى مع الزهاوى لم تكن من هذا الضرب إطلاقا .

ولذلك أضع أمام عينيك — مرة أخرى — النص الكامل من المقدمة التى بترتها كما يبتر المخاتل الآية الكريمة « ولا تقربوا الصلاة » :

« قدمت إليك منها بالعددين الماضيين

يا صاحبي ما يسمح به المجال ، وهي بما حصل بين ثناياها من طرافة وجدة محببتين تفسحان لها مكانا بارزا بين أدبنا العربي الحديث ، جديرة بالدرس والتمحيص والوقوف أمامها طويلا للتملي بلونها الجميل .

« أجل ... فهذا لون من ألوان الأدب الجديد — أدب الرسائل ، استحدثناه أو بعبارة أخرى نبشنا دفائنه وأحيينا مواته . ذلك لأن اللغة العربية لم تحظ بهذا اللون الجميل اللهم إلا في النادر القليل ، بعكس اللغات الأجنبية فانها مشحونة بهذا الضرب الرفيع بنماذجه الرائعة وأنماطه العذاب .

« لقد استطعت أن أجعل من الزهاوي مترجما لنفسه يصور حياته بقلمه بما لا يدع مجالا للشك والريبة في هذه الحياة العجيبة الخصيبة التي ظلت تكافح وتناضل في سبيل اللغة والوطن حتى آخر نسمة منها . »

ها هي ذي المقدمة ليس فيها غير :

١ — إنني أزهى بهذه الرسائل لطرافتها وجدتها .

٢ — واعتبرها بمثابة لون من ألوان الأدب الجديد في أدب الرسائل — وقد سقط حرف « في » أثناء الطبع — استحدثناه ، أو بعبارة أخرى : نبشنا دفائنه وأحيينا مواته .

٣ — إنني استطعت أن أجعل من الزهاوي مترجما لنفسه ، وهذا هو لب الموضوع . فهل تنكر طرافة هذه الرسائل أيها الأخ الكريم ، وقد أعجب بها الأستاذ الزيات من قبل ؟

وهل تنكر أنها كلون من ألوان الأدب الجديد أحاول على ضوئها نبش دفائن « أدب الرسائل » ذلك الأدب الجميل ؟

أئذا جاء البارودي ، وهدر كما يهدر الفحول ، وآتته السماء نفحة علوية فشدا ثم شدا ، وأحيا موات الشعر ، بما ألصق به على أيدي النظامين والمتشاعرين من غثاثة وفهاهة ، ننكر عليه هذا الفضل بحجة أن اللغة العربية مشحونة بالمعجز من القول والخالد من القصيد ؟

أئذا جاء العقاد والزهاوي وفوزي المعلوف والهمشري وابتدعوا ، القصائد الطوال الشبيهة بالملاحم ، تلك الغرر الخالدة في الشعر العربي الحديث ، ننكر عليهم هذا الفضل ونقول لهم إن اللغة العربية مشحونة بالملاحم ، أو القصائد الطويلة النفس المتماسكة الموضوع ، التي نذكر منها على سبيل المثال ملاحم عمر ابن الفارض والبوصيري وابن سينا وابن العربي وأضرابهم ؟

أئذا جاء متأدب مثلي وحقق مع رجل من رجالاتنا في العصر الحديث هذا التحقيق العلمي ننكر عليه هذا الجهد ونرميه بالجهل والغفلة والغباء ؟

أيجمل بك أيها الأديب ألا تعرف شيئاً عن حياة أساتيذك : الزيات وطه حسين والعقاد والمازني وهيكل ؟

نعم . . . لقد جلى أستاذنا طه حسين طفولته ومرتع صباه — بل فترة شبابه — في كتابه الخالد « الأيام » بريشته الساحرة التي لا تضارع . أما العقاد فكشف عن حياته في سطور قلائل لا تغني ولا تسمن من جوع .

فكيف تمر بنا هذه الحقبة ، من حياة أولئك الأبطال ، دون أن نسجلها أو نحاول تسجيلها ؟

وهل يليق بنا أن نقبل على دراستهم ودراسة آثارهم دون وعي وتمحيص وزاد من تحقيقاتنا الخاصة ، ونستوحي تلك الأوراق الجامدة ، وما تمليه علينا ، وعلى حفدتنا ، الأراجيف ثم الأقاويل ؟

ألم تسمع عن أشياخك القدامى وكيف كانوا يقطعون الهامه والقفار فى سبيل تحقيق حادثة أو مراجعة حديث ؟

ألم تسمع فى العصر الحديث عن « إميل لودفيج » الأديب الألمانى النابغة وكيف حج إلى النيل الخالد ، وظل فترة طويلة أو قصيرة عن كثب من منابعه وروافده لا لينظم قصيدة بليغة يهديها إلى فتاة حسناء كما يفعل الشعراء المائعون ، بل ليكتب كتابا أدبيا خالداً عن « حياة النيل » كنهر ، من الخلد ، وكبطل من أبطال التاريخ ؟

أيليق بنا أن تمر هذه الأحداث دون أن ننبس ببنت شفة أو نحرك ساكنا ؟ وهل ترى معى أيها الأديب ، أن حياة واحد من هؤلاء الأبطال لا تقل خلودا عن حياة النيل العظيم ؟

لندع هذا كله ونرجع بك إلى قضيتنا حتى لاتتهمنى بالجهل والغباء — سامحك الله — وأسألك كم من قرن مر على اللغة العربية وهى محرومة أدب الرسائل ؟

وهل أنكرت أنا أدب الرسائل فى اللغة العربية جملة واحدة ، حتى ترمينى بتهمة أنا منها براء ، وكان يجمل بك كأديب أن تناقشنى الحساب فى نبل من القصد وسمو من الغاية .

انى ياصاحبى لم أنكر أدب الرسائل على اللغة العربية ، بل أنكرت عليها — وما زلت أنكر — أدب الرسائل ، الذى حرمه أدبنا العربى الحديث ، ذلك الذى يعين على تحقيق الشخصية وتبيان السمات والملامح فى وضوح وجلاء ، كما أوضحت فى صدر هذه العجالة ، وكما ذكرت فى المقدمة المنقودة بالحرف الواحد توضيحا لهذه النظرية . واليوم أقدم إليك رسالة أخرى تحمل معها خلاصة التحقيقات التى دارت بينى وبين ذلك الرجل العظيم ؛ فقد راعيت فى تحقيقاتى معه بادئ ذى بدء أن أكون[1] مقلا مقتصداً فى أسئلتى إياه حتى لا أبعث الملل فى نفسه من ناحية ، ومن ناحية أخرى كيما أصل إلى مفتاح شخصيته — سيكلوجيا — فى هدوء واطمئنان ، وأستطيع أن أصور حياته على ضوء هذه التحقيقات .

فاذا كنت أنا قد اقتضبت الشرح وجاء مبتورا كما فهمت أنت أيها الأخ الكريم ، فلى مندوحة فى خلو أدبنا العربى الحديث من مثل هذه التحقيقات ، أو بعبارة أخرى من تلك التراجم التى تفتقر إليها كل الافتقار .

بقيت تهمة شائنة يطلقها المتزمتون كل يوم فى وجوه أدباء الشباب ، كالتى رمى بها « الجاحظ » فى قوله : « ومسكين والله هذا الأدب العربى ، كأن الله كتب عليه فى هذه الآونة أن يكون هدفا للدعوى من كل فارغ الرأس ومقصداً للاتهام من كل جاهل . وأنا لا أحسب أن فى نفوس هؤلاء الشبان ضغينة على الأدب العربى ، ولكن العلة أنهم يحسبون أن الأدب العربى هو ما يقرءونه فى الصحف والمجلات ، وما يدرسونه من النماذج الجامدة البالية فى مقررات المدارس . فاذا ضممت إلى ذلك دعوى عريضة تمتلىء بها الرءوس الفارغة وتلتوى بها الألسن المعوجة ، وقفت من وراء ذلك على أصل العلة وموطن الداء . وإنه لداء تفشى بين شباب العصر . فليس

---

(١) هاتان الكلمتان ذكرتهما خطأ بالكاتب المصرى هكذا : «أكون مقالا» .

أسهل على الواحد منهم من أن يحمل القلم ويتنفج بالدعوى العريضة ويمد أنامله فيخط كلمات رشيقة رقيقة يطمس بها تاريخ الأدب العربى من بدايته إلى نهايته وينكر أن يكون هذا الأدب أدبا . »

إلى آخر هذه الرواشم البغيضة التى يسمون بها جباه هؤلاء الشبان المساكين .

ونسى هؤلاء التوم — أو تناسوا — أن هؤلاء الأدباء يعملون ليل نهار فى هدوء وصمت ، لاعلاء شأن اللغة ، وسيخلقون منها حتما بفضل الجلد ونكران الذات خلقا آخر ، وأن نتاجهم الآن رغم التثبيط والاستهانة به لا يقل روعة عن نتاج إخوانهم من أدباء الغرب ، وأن الصدارة والمجد والشهرة كلها كلمات عذبة تطوف حولهم — كالأحلام الجميلة — لا يركنون إليها ولا يأبهون بها ، مثلهم فى ذلك مثل لمتصوفين أو فقراء الهنود .

ونسوا أنهم لا يكتبون إلا باللغة العربية ، وأنهم ليسوا مبرزين إلا بفضل عونها ومورها العظيمين وسحرها الخالد وجمالها المنقطع النظير .

هلا ذكرت بالخير أمثال : نجيب محفوظ ، ويحيى حقى ، وعلى باكثير ، وعادل كامل وجوده السحار ، وحكمت محمد ، وأضرابهم من الشبان المبرزين فى أدب القصة ؟

وهل نوهت بشاعرية صالح جودت ، والشابى، والصيرفى، والهمشرى ، والتيجانى بشير ، والمعلوف ، ومحمد فهمى وأضرابهم من الشبان المبرزين فى الشعر الحديث ؟

لقد عاش من عاش منهم فى عزلة قاتمة، ومات من مات منهم فى غمرة حالكة :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

يحلو لبعض الأدباء أن يطلق عليهم لقب السدنة والحراس على اللغة العربية دون أن يتقدموا إليها بنتاج يذكر بالخير لهم .

أجل . . . حسبهم أعباء هذه الحراسة . وكفى ! . . .

كلمة صغيرة وأخيرة أسرها فى أذنك أيها الأديب « الجاحظ » إن : رسائل الزهاوى لها مقدمة سبقت هذه المقدمة التى نحن بصددها الآن والتى صببت عليها جام غضبك ، فأرجو الرجوع إليها،وأصدقك القول انها حازت رضاء أستاذنا العظيم الدكتور طه حسين بك ، وكذلك هذه المقدمة الثانية، فماذا تريد من قولك: «فان كان هذا الدكتور يرى هذا ويعتقده فاننى على استعداد لمناقشته فى هذا الرأى » .

ألا يجدر بأدبك الرفيع أن تنازل أديبا مغموراً مثلى وتطمع فى نزال أستاذك العظيم ؟ إن الرجل فى صومعته الفكرية وفى شغل عنك وعن هذرك أيها « الجاحظ » ويقدم للغة العربية زاداً تعتز به فى العالمين .

حسبك اليوم ما قدمت إليك . وتقبل تحية خالصة من تلميذه المخلص .

أحمد محمد عيش

شهرية العلم

الجو والمـــزاج

لقد خطا علم الظواهر الجوية خطوات واسعة فى هذا القرن ، وصار فى الامكان التنبؤ بأحوال الجو ومعرفة ما سيحدث من عواصف وأعاصير وما ستكون عليه الحرارة والضغط . وبنى العلماء بحوثهم فى ذلك على التغير فى درجات الحرارة على الأرض ؛ إذ لا يخفى أن هناك اتصالا وثيقا بين التغير فى أحوال الجو وبين إشعاع الشمس الذى يولد الحرارة . ومع أنهم لا يزالون بعيدين عن التنبؤات بتقلبات الجـو البعيـدة ، فهم على ما يظهـر سائرون فى دراساتهم وتجاربهم فى الاتجاه الصحيح . فلقـد ثبت أن لتقلب إشعاع الشمس تأثيراً فى الحرارة والضغط على الأرض . ويقـول ابوت Abbot فى هـذا الشأن : « ويبدو أن تغيراً قدره نصف واحد فى المئة فى إشعاع الشمس يستطيع أن يحدث تغيراً ظاهراً فى أحوال الجو . فقـد يصحب التغيير فى إشعاع الشمس تغيير فى مقدار الغيم فيتضاعف التأثير ويتجمع . وكذلك التقلبات الشمسية تؤثر فى الأشعة التى فوق البنفسجى فقد تغير كثافة الاوزون . وهذه الطبقة من الأوزون قائمة على ارتفاع ٤٠ ميلا فوق سطح الأرض . وهى عامل فعـال فى امتصاص الحرارة المنطلقة من الأرض — بعد امتصاصها — إلى الفضاء . فاذا قلت كثافة طبقة الاوزون مليمترا فقد يكون ذلك كافياً لهبوط درجة الحرارة على سطح الأرض هبوطاً غير يسير . وعند ذلك تتأثر حالات الضغط الجوى بتغير درجات الحرارة . وكذلك يمكن أن يحدث تقلب عظيم فى الظواهر الجوية ... وبهذا قـد يفسر تأثير تغير يسير فى إشعاع الشمس فى أحوال الجو على الأرض ... »

والجو فى أعاليه يتكهرب بتأثير الكلف . ولهذه تأثير وفعل . فالكلف هى بقع سوداء تظهر وتختفى من على سطح الشمس . ويختلف العـدد الذى يظهر . ويكون على أكثره كل إحدى عشرة سنة . ومن هـذه البقع ما هى كبيرة جدا تسع الأرض وما عليها . وهى تتألف عادة من منطقة قاتمة اللون فى وسطها بقعة سوداء كأنها تجاويف عظيمة . واختلف الفلكيون فى سبب ظهورها ، ويرجح الكثيرون أنها تتكون بسبب التغييرات النـاتجة من تأثيرات الحرارة فى جوف الشمس ، وأن هناك مواد تخرج من هـذا الجوف إلى السطح ، وعند خروجها تبرد وتظهر مظلمة بالنسبة لوجه الشمس الباهر النور . وزيادة على ذلك فقد يكون فيها كهربائية شديدة تقوى معها مغناطيسية الشمس والأرض . وثبت لدى العلماء أن ظهور البقع واختفاءها من الحوادث النظامية فى تاريخ الشمس ونتيجة لعوامل ثابتة .

ولقـد درس الدكتور كوبن Koppen الظواهر الجوية وعلاقاتها بالكلف، فتبين له من سلسلة المحطات وما جرى فيها من تجارب لدرس العلاقة أن حرارة الشمس تكون على أشدها عند ما تكون الكلف على

أكثرها ، وينتج عن هذه الحرارة الشديدة الغيوم فالأمطار وما يصحبها من عواصف .
ومن العلماء من لاحظ أن ازدياد الكلف يعقبه ارتفاع فى الحرارة . ومنهم من خرج من دراسة الأحوال الجوية بأن مقدار المطر يتغير تبعاً لزيادة الكلف على سطح الشمس. فزيادة الكلف تعنى ارتفاع الحرارة ، وهذا يؤدى إلى ازدياد كميات المياه التى تتبخر فأمطار غزيرة . ومن هنا يرى بعض الفلكيين العلاقة بين الكلف والأمطار . ومنهم من يرى غير هذا ولا يعلق أهمية على ازدياد الحرارة ؛ فليس لها من التأثير ما يؤثر فى الأمطار والأحوال الجوية . وإذا كان هناك شئ من هذا القبيل فهو بسيط جدا لم يستطع العلم بعد إدراك مداه .
أما ما نسبه بعض الفلكيين إلى الكلف من حدوث زلازل وفيضانات وخصب وإمحال وأمراض وأزمات تجارية فهذا لم يثبت علميا وهو لا يزال فى دور البحث والدرس . ولكن مما يستوقف النظر أن يقع بالمصادفة حدوث الرخاء والاقبال فى العالم فى أوقات يكثر فيها ظهور الكلف على وجه الشمس . فلقد تصادف عند ما كانت الكلف على أكثرها سنة ١٩٢٨ أن كان الرخاء يعم الأرض . وكذلك سنة ١٩٣٦ فقد بدت بوادر الانتعاش بعد أزمة عالمية حادة وكان عدد الكلف يقترب من نهايته العليا .
ومن عجيب المصادفات أن الأزمة بلغت أشدها فى عامى ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ عند ما كان عدد الكلف على أقله . جاء فى كتاب آفاق العلم : « ... وليست هذه المقابلة بفريدة فى بابها . بل إن الدكتور ستتسون Stetson يقول : إن البحث فى التاريخ الحديث فى هذه الناحية يسفر عن أن خمساً من الأزمات الست العظيمة التى ابتلى بها العالم فى الخمسين سنة الأخيرة وافقت فى تطورها كثرة الكلف وقلتها . فهل هذه الموافقة مجرد اتفاق ؟ أم فى جعبة العلم مايفسر هذه الظواهر الغريبة ...؟ » وقام تشيجفسكى بدراسات واسعة فى تحرى الحوادث التى وقعت أثناء تزايد الكلف . وقد وجد ارتباطاً بين أعمال العنف وأنواع التدمير والقتل من جهة وكثرة الكلف من جهة ثانية ؛ ففى سنة ١٩٣٩ التى كانت الكلف كثيرة وعلى أشدها نشاطا أعلنت الحرب الأخيرة . فهل هناك من علاقة ؟ يرى بعضهم أنه من المحتمل جدا أن يكون للكلف تأثير فى ضعف الأعصاب مما أدى إلى وقوع الحرب . وفوق ذلك يعزو تشيجفسكى نشاط كبار رجال التاريخ أمثال محمد واتيلا ونابليون وريشيلو ولينين وغيرهم إلى الكلف ؛ فحيوية هؤلاء كانت على أشدها حينما كانت الكلف على أكثرها .
ونحن لا نستطيع الأخذ بهذه الآراء التى خرج بها تشيجفسكى من تحرياته ودراساته ،فقد تكون صحيحة وقد لاتكون ، وقد تكون هناك علاقة ، وقد لا تكون . لكنها تعطى صورة عن الفكرة التى يحملها بعض العلماء والفلكيين عن الكلف وأثرها فى تكييف حياة الانسان . ويظهر لنا من أقواله فى هذا الشأن أنه لم يستطع إدراك السبب فى هذه الحيوية الناتجة من تزايد الكلف (على رأيه) . فهل للكلف أثر فى الانسان حتى تخضع حياته لها ؟ وما هو هذا الأثر ؟ وكيف يكون ؟ هذا مالا نستطيع الاجابة عليه ، وما لم يستطع تشيجفسكى بعد أن يتبين الجواب الشافى .
وفوق ذلك أثبت الدكتور جورج هيل G. Hale أن للكلف تأثيراً كالمغناطيس ويفعل فعله ، وأن هذا الفعل ينتقل إلى الأرض فتتأثر مغناطيسيا ويحدث من ذلك اضطراب فى حقل الأرض المغناطيسى .

وحين تكون الكلف على أكثرها تتأثر طبقات الجو العليا ويصيبها شيء من التكهرب ينتج عنه اضطراب فى حالة الجو . وقد ظهر فى مباحث كليتون H. Clayton أن تقلب الضغط الجوى يتفق وتقلب النشاط فى الشمس الناتج عن الكلف . وأسفرت بعض البحوث العلمية أن فى أعالى الجو طبقة مؤينة وأن تأينها يرجع إلى الأشعة التى فوق البنفسجى وإلى انطلاق دقائق مكهربة من الشمس عند ما تكثر الكلف . ويرى بعضهم أن تأثير الكلف فى الراديو دليل على انطلاق هذه الدقائق المكهربة . ويرى سبنسر جونس أن هناك علاقة بين الكلف والأضواء القطبية ؛ فهذه الأضواء تكثر وتكون بهية رائعة عندما تكون الكلف على أكثرها . وهذه الأضواء كما لا يخفى ليست إلا تفريغات كهربائية فى أعالى الجو أحدثتها دقائق مكهربة تطلقها الشمس .

وعلى أساس الدقائق المكهربة تبرز الصلة بين الأحوال النفسية والجو . ففى بعض الأحايين يشعر الانسان بأنه نشيط على استعداد للعمل بحيوية وهمة دون أن يكون هناك أسباب توجب ذلك . كما أنه يشعر فى أحايين أخرى بأنه تعب يعتريه خمول وتراخ وأن حيويته فى نقص فلا يستطيع القيام بالأعمال التى تستوجب نشاطا وعزماً . أى إن المزاج يتغير ويتقلب ، فبيناهو مزاج النشاط والهمة فى أيام إذا هو مزاج الخمول والفتور والتراخى فى أيام غيرها ، دون أن تكون هناك عوامل توجب ذلك النشاط أو الخمول .

وقد درس بعض العلماء هذه المسألة وأخضعوها لتجاربهم وبحوثهم ، فتبين لهم أن هناك علاقة وثيقة بين الهواء الذى تتنفسه وبين المزاج . فالشعور بالنشاط أو بالفتور يتصل اتصالا وثيقا بالجو وبما يحويه من دقائق مكهربة ؛ إذ لا يخفى أن الهواء يحتوى على دقائق مكهربة بعضها يحمل شحنات موجبة وبعضها يحمل شحنات سالبة . ولسنا بحاجة إلى أن نقول أن هذه الدقائق موجودة أو محمولة فى الغبار وفى قطيرات الماء . وقد توفق العلماء لكهربة الهواء حين يريدون كما توفقوا لصنع أجهزة يمكنهم بوساطتها أن يخرجوا من قدر معين من الهواء فى معامل البحث الدقائق المكهربة الموجبة والدقائق المكهربة السالبة . وقد أجرى العلماء تجارب كثيرة فى تأثير الدقائق بنوعيها من الشحنات ؛ فوجد الأستاذ دسور Dessauer أن المرضى الذين يتعرضون للدقائق التى تحمل شحنات موجبة يشعرون بالتعب والاعياء والدوار والصداع ، وأنه متى أزيلت هذه الدقائق من الهواء وتعرضوا للدقائق السالبة شعروا بالنشاط والانشراح وزال ما كانوا يقاسونه من الدقائق الموجبة . ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ظهر أن وجود الدقائق الموجبة يزيد فى ضغط الدم وأن وجود الثانية يخفف من هذا الضغط ويحدث شعوراً مليئاً بالراحة . ويقول أحد العلماء إن استنشاق مقادير من الدقائق السالبة لمدة أسابيع يؤدى إلى تخفيف عوارض ضغط الدم وإزالته . ولقد ثبت للأستاذ دسور أن الناس المعرضين للروماتزم زادت آلامهم وتضخمت مفاصلهم ، وارتفعت حرارتهم قليلا عند استنشاق هواء تكثر فيه الدقائق الموجبة . ومن المعروف عند علماء الجو : «أن العاصفة قبل حدوثها يسبقها هبوط فى ضغط الهواء فيصعد إلى سطح الأرض هواء كان محفوظاً بين دقائق التراب . وقد ثبت أن الهواء الذى يكون بين دقائق التراب تكثر فيه الدقائق المكهربة الموجبة . ولعل وجود هذه يزيد فى آلام المصابين بالروماتزم قبل انفجار العاصفة ...»

وقد يكون هذا من الأسباب التى تجعل بعض المصابين بالروماتزم يتنبأون بالتغير فى حالة الجو وبالعاصفة قبل وقوعها .

ويحاول العلماء الآن اخضاع حالة الجو الكهربائية اخضاعاً تاما ، وقد قطعوا فى هذا شوطاً ، والأمل كبير أن يتمكنوا فى المستقبل القريب من أن يجروا تكييفا فى حالة الجو الكهربائية ، وذلك بزيادة الدقائق الموجبة أو السالبة مما يوافق المزاج وحالة الانسان الفسيولوجية . وظهر لبعض العلماء أن الأشعة فوق البنفسجى التى تصدر عن الشمس تتأثر بالكلف الشمسية وهى تتغير كمية وأثراً بتغير نشاط الكلف؛ فازدياد هذه يزيد فى تأثير الأشعة وفعلها . ولا يخفى ما لهذا النوع من الأشعة من آثار على النبات وفى إحداث الفيتامينات التى تلعب دورها الخطير فى صحة الانسان ونشاطه وحيويته حتى اتجاهات تفكيره . ولم يستطع العلماء بعد إدراك تأثير الأشعة فى المحاصيل بشكل تفصيلى واسع . ولكن الأمل كبير فى كشف نواح جديدة قد تساعد على معرفة القيمة الغذائية والصحية فى المحاصيل التى نزرعها وكيف أنها تختلف باختلاف العوامل الطبيعية . ويرى الأطباء الآن أن هناك صلة بين الفيتامينات والمزاج والسلوك الفسيولوجى ، وهم يأملون أن يكشف العلم فى الأعوام المقبلة أن الغدد الصم تتأثر بالفيتامينات التى نتناولها فى غذائنا كما تتأثر بالأشعة التى تصيب الجسم. ولا يخفى ما للغدد الصم من تأثير فى الانسان ؛ فهى تسيطر على جرم الجسم كما تسيطر على الطبائع والنفسيات من حيث النشاط أو التراخى ، وهى المكونة لشخصياتنا والمكيفة لها . ومن هنا يتجلى أن العلم سائر فى طريق الكشف عن نفسية الانسان وتفهم شخصيته والسيطرة عليها . والعلماء يوالون درسها وعلاقتها بالأحوال الجوية الناتجة عن الشمس وكلفها .

[نابلس] قدرى حافظ طوقان

شهرية السياسة الدولية

الأحداث متداعية

شهر عامر بالأحداث فى السياسة الدولية، ذلك الذى ينقضى وقت كتابة هذه السطور، ويمتاز بأن أحداثه تعم الغرب والشرق معا: فالحملة على الشيوعية من جانب أمريكا وانجلترا قد بلغت أوجها ، والسعى من جانبهما إلى تكتيل العالم على الكتلة السلافية حثيث ، وروسيا تقذف فى وجههما بالاتهام تلو الاتهام ، وهما وهى يتسابقن إلى نشر الأسانيد الألمانية السرية المؤيدة للدعويين المتناقضتين ، وكل فريق من الفريقين يحاول الانفراد بالمنطقة الألمانية التى يحتلها ليتعهدها بما يقاوم به مصالح الفريق الآخر . ومشروع مارشال يترجج بين الشيوخ الديموقراطيين والجمهوريين تأييداً له حتى يفلح فى جلب الدول الأوربية المترددة ، ومناوأة له حتى تصاب الادارة الأمريكية الحالية باخفاق يكون له فعله فى الانتخابات العامة المقبلة . والشرق الأقصى محط أنظار فرعى الكتلة الانجلوسكسونية ، وهما عليه فى دخيلة نفسيهما يتنافسان ، وانجلترا تود لو فازت قبل أمريكا بعقد معاهداتها مع البلاد العربية ، وأمريكا تود لو وقفت لدق أسفين لها فى إيران فتخلق عن طريقها وطريق تركيا واليونان كتلة شرقية تقابل بها كتلة البلقان أو كتلة صقالبة الجنوب . والجامعة العربية تعقد لمجلسها أدق دورة مرت بحياتها، وجدول أعمالها ملىء بالمشاكل التى تذهب من ريف مراكش إلى الهند وباكستان وفيتنام ، والعراق قد رفض معاهدة وزارته السابقة مع انجلترا، وشرق الأردن لم يعلن بعد شيئاً عن معاهدته التى شاء أن يعدل بها ملحق معاهدته السابقة. وسوريا ولبنان قد اختلفا فى الموقف من الفرنك بالنسبة لنقديهما ، وكل هذا إلى ما يجرى فى فلسطين من دماء وإلى ما ينتظر أن يجرى فى ليبيا من استفتاء .

بين روسيا وأمريكا

والواقع أن العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية قد تجاوزت حدود الخلافات فى النظر التى لا تخلو منها العلاقات الدولية فى كل زمان ، فقد لجأت كلتاهما إلى ما لم يعرفه التاريخ الدبلوماتى من قبل؛ إذ لجأتا وهما متصادقتان إلى التجابه بالأسانيد المأخوذة عن المحفوظات الألمانية التى استولت عليها الجيوش عند دخولها برلين ، تأخذ كل واحدة منهما ما يفيدها ويظهرها مظهر البراءة ويلصق بالأخرى تهمة التآمر مع ألمانيا العدوة . فقد راحت أمريكا تنشر الأسانيد الخاصة بالميثاق السوفيتى الألمانى الذى عقد قبيل الحرب العالمية الثانية فى الوقت الذى كانت المفاوضات تجرى فيه بين الاتحاد السوفيتى وفرنسا وانجلترا لعقد معاهدة ثلاثية بينهن . وراحت روسيا تدلل

على أن عقدها ذلك الميثاق إنما كان عمداً لأنها كانت تعرف تصميم هتلر على مهاجمتها، وقد شاءت بذلك الميثاق أن تؤجل موعد مهاجمته من ناحية ، وأن تبعد التخوم التى تصدر عنها المهاجمة من الأراضى الروسية الأصيلة التى تأخذ فيها العدة المنتجة للدفاع ، بل إنها ذهبت إلى حد اتهام الولايات المتحدة وبريتانيا بأنهما قد ساعدتا على تمويل صناعات الحرب الألمانية وعلى الدفع بهتلر إلى مهاجمة روسيا بل بالسعى فى سبيل عقد صلح منفرد معه .

وفى هذا الجو تقرر فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة أن يعقدن مؤتمراً فى باريس للنظر فى توحيد الاجراءات الخاصة بادارة المناطق الألمانية التى يحتلنها ، فيثير هذا القرار ثائرة الاتحاد السوفيتى ويقذف إليهن باحتجاجه؛ لأن المؤتمرات السابقة كانت قد قررت مبدأ أخذ شؤون ألمانيا كلها عن طريق اجتماعات يساهم فيها الأربع الدول جميعاً.

ويلوح أن فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة ماضيات فى سبيل العمل دون الاتحاد السوفيتى ؛ إذ وضعن فيما بينهن جدول أعمال مؤتمرهن الثلاثى وتبادلن الرأى فى تفصيل الاتجاهات التى تصدر بها قراراتهن فيه حين ينعقد .

وتقابل روسيا هذا الاجراء بدعاية واسعة النطاق فى المنطقة الألمانية التى تحتلها مذيعة فيها أن الدول الغربية الثلاث إنما يسرن فى سبيل تقسيم ألمانيا وتمزيقها بدل ما تريده روسيا لها من وحدة وتمركز . وتفيد هذه الدعاية عند الألمان فى الجانبين ، فتؤلف فى الناحية الشرقية جماعات تنادى بالوحدة ، وتجرى على الألسنة فى الناحية الغربية عبارات الأسف على النازية؛ لأنها لم تنزل بألمانيا قدر ما تنزله بها حكومات حلفاء الغرب هذه الأيام .

المستعمرات الايتالية

وللأربع الدول العظمى مجلس وزراء خارجيتهن ، وبين المسائل المعروضة عليه ، أو المعهود بها إليه ، مسألة المستعمرات الايتالية السابقة ، ولها لجنة تتحرى وتتنقل ، وقد انتهت من تحريها فى إيرتريا والصومال وستقصد بعد أيام إلى برقة وطرابلس . ولا يدرى أحد حتى هذه اللحظة ماذا جرى فيما أتمته من تحريات . لكن الأنباء قد بدأت تذاع عن خلافات تجسمت واتخذت صورة دبلوماتية بالنسبة لليبيا . فقد قيل إن الاتحاد السوفيتى قد أبلغ الحكومة الايتالية انه متجه فى صدد المستعمرات الايتالية كلها اتجاه إعادتها إلى إيتاليا عن طريق الوصاية عليها جميعاً . والمعروف أن لبريتانيا إزاء تلك المستعمرات خططاً تقضى باحكام الاتصال بينها وبين الامبراطورية البريتانية . وقد قالت منذ زمان إنها قد تعهدت للسيد السنوسى ، وللسنوسيين كافة، بأن الايتاليين لن يعودوا إلى برقة ، وتفاهمت مع الولايات المتحدة على استعمال بعض المطارات الواقعة فيها وفى طرابلس . ويظهر أن الاتجاه الروسى إنما يقصد به تأييد الحركة الشيوعية فى إيتاليا إبان الانتخابات العامة التى ستجرى فى الثامن عشر من شهر ابريل المقبل . والايتاليون فى عموم يودون لو عادت لهم مستعمراتهم ، ويقدرون للشيوعيين منهم موقف روسيا ، فيميلون إلى تمييزهم فى تلك الانتخابات .

على أن الأمور فى طرابلس الغرب لا تنتظر تلك الاتجاهات من جانب روسيا أو من

جانب انجلترا وأمريكا ، بل إنها قد أخذت تتبلور تبلوراً طرابلسيا خالصاً وتتجه اتجاهاً قوميا نحو المطالبة بالاستقلال غير المقيد وبتوحيد القطرين برقة وطرابلس . ويلوح أن الطرابلسيين قد تبينوا أن هناك من المساعى ما يبذل بين البريتانيين المحتلين والايتاليين المقيمين ليوصل إلى تفاهم بين بريتانيا وإيتاليا على أن ترضى إيتاليا باستقلال برقة تحت حكم السيد السنوسى تربطه معاهدة مع بريطانيا العظمى واتفاقات مع الولايات المتحدة مقابل رضا بريتانيا ورضا الولايات المتحدة بوصاية إيتاليا على طرابلس مع منحهما فى الوقت ذاته حقوق ارتفاق على مطاراتها وبعض قواعدها . فقامت فى طرابلس المظاهرات ضد الانجليز والايتاليين معا .

ولا شك أن هذه الدخائل ستعقد الموقف من مسألة المستعمرات الايتالية السابقة كلها ، وسيعين على تعقده كذلك موقف فرنسا فى تونس ومن فزان ؛ فهى فى تونس تود ألا تجاورها أمة إفريقية مستقلة ، وتؤثر أن تكون جاراتها خاضعة لمثل نظام حكمها فى شمال أفريقيا كله عن طريق الحماية أو الوصاية أو الضم ، فتميل إلى أن ترضى لايتاليا بوصاية على طرابلس وتؤيد الاتجاه البريتانى نحو برقة ، وهى من ناحية أخرى قد احتلت فزان منذ خرجت قوات الجنرال لكلير من منطقة تشاد إلى ساحل البحر المتوسط ، وهى تود لو احتفظت بها وضمتها إلى الأراضى التونسية ، وحظيت بموافقة إيتاليا على هذا الاحتفاظ مقابل موافقتها على وصاية إيتاليا على طرابلس ...

فى الشرق الأوسط

وليست الأحوال فى الشرق الأوسط أقل ارتباكا منها بالنسبة لألمانيا أو للمستعمرات الايتالية . فالى التطور الذى تطورته الحرب الأهلية فى اليونان بحيث أصبحت سبعة أعشار التراب اليونانى فى قبضة الجنرال ماركوس وبقيت ثلاثة أعشاره فقط تحت سلطان الحكومة الملكية، والحكومة الملكية خاضعة لاجراءات المعاونة الأمريكية ولاجراءات الاحتلال البريتانى ، وحكومة الجنرال ماركوس معلنة شيوعيتها وساعية فى سبيل التحالف مع الجارات البلقانية جميعها — إلى ذلك التطور الخطير فى اليونان ، نرى المطالب تتقدم بها الحكومة الأمريكية إلى الحكومة الايرانية قصد الحصول على قواعد ومطارات وامتيازات ، فترى روسيا فى ذلك الوضع اليونانى وفى هذه المطالب من إيران ، حركات تمهيدية موجهة ضدها بالذات ، فى حين تصفها الولايات المتحدة بأنها حركات استعداد للدفاع وتنظيم للخط الأول من خطوط هذا الدفاع ، وإن كانت المسافة التى تفصل روسيا عن الولايات المتحدة آلافاً من الأميال ، واليونان وإيران على مقربة من الاتحاد السوفيتى بل على تلاصق معه .

وتركيا بين اليونان وإيران قد اكتنفها الخوف من الجانبين ، فبدا فيها اتجاه — وإن لاح خفيفا — نحو الوقوف موقف الحيدة بين القوتين الجبارتين . ولتركيا فى ماضيها غير البعيد ما يدلل على إتقانها الأخذ بأهداب الحيدة بين المتنازعين ؛ فقدكانت محالفة أيام الحرب العالمية الثانية ألمانيا وروسيا وانجلترا فى وقت معا ، وحظيت على أى حال برضا انجلترا وألمانيا وبخطب ودهما المستمر .

العالم العربى

أما العالم العربى فلا يزال « الغليان » يكتنفه . فالحرب بين العرب واليهود فى فلسطين تشتد يوماً بعد يوم . وموقف الأمم المتحدة ، والرئيس ترومان ، وبريتانيا ذاتها مترجح . فقد رفعت اللجنة التى انتخبتها الجمعية العامة للامم المتحدة للاشراف على تحقيق توصيتها بالتقسيم تقريرها إلى مجلس الأمن مطالبة بتزويدها بقوات حربية تستند إليها فى مهمتها . ويلوح أن مجلس الأمن غير متوافرة فيه الكثرة التى تقرر هذا التزويد ، والرئيس ترومان واقع بين مصلحته الانتخابية التى يحتاج فيها لأصوات يهود ولاية نيويورك ، ومصلحة شركات البترول التى تؤثر رضا العرب وهدوئهم فى المناطق التى تمر بها أنابيب الزيت السعودى وفى الموانىء التى تنتهى إليها . ويظهر أن وزارة الخارجية الأمريكية تختلف وجهة نظرها عن مصلحة الرئيس ترومان الانتخابية ، فراح هو يتدخل مباشرة — بعد أن تدخل بوساطة الضغط على أعضاء الأمم المتحدة ليصوتوا مع التقسيم — لدى حكومات الدول العربية حتى يمنعها من التدخل العسكرى، بل حتى يدعوها إلى تهدئة خواطر العرب الثائرين على قرار التقسيم . ولا شك أن هذه الدول ستقابل مسعاه بما هو جدير به من الأخذ بالحزم ، والرد الحاسم من القول ، والتعبير عن حقيقة إحساس العرب بسوء موقف الولايات المتحدة وبسوء أثره فى النفوس .

وأما محاولة انجلترا عقد معاهدات مع البلاد العربية فقد أصابها ما أصابها من صدمة إثر رفض العراق مشروع المعاهدة الذى وقعه وفده فى بورتسموث وإثر تكتل سوريا ولبنان فى رفض أى اتفاق يعقد مع دولة عظمى على انفراد ، بعد ما أصابها إثر رفض مصر الارتباط معها بأية محالفة . ولعلها محاولة الالتجاء إلى دهائها القديم قصد العودة إلى جذب العرب نحوها بما تظهر به من ميل إلى مقاومة تقسيم فلسطين ومن ميل إلى تفاهم على تعديل شروط الملحق العسكرى بمعاهدتها مع شرق الأردن. لكن ذلك كله رهن بالتطورات الدولية.

محمود عزمى

شهرية الفلسفة

النحلة الأورفية

ظهرت النحلة الأورفية فى اليونان فأثرت فى الدين والفلسفة والحياة الاجتماعية أثراً عظيما ، وتسربت عقائدها وطقوسها إلى العالم المسيحى حتى اليوم .

وتنسب هذه النحلة إلى أورفيوس الذى عاش فى تراقيا قبل العصر الهوميرى . ويعتقد أرسطو أنه كان شخصية خرافية ليس لها وجود . غير أن سائر القدماء يؤكدون وجوده ، فيذهب هيرودت إلى أنه جاء بعد هوميروس .

وأول إشارة إلى أورفيوس فى الأدب القديم مقطوعة بعنوان « أورفيوس الشهير » للشاعر إيبقوس فى القرن السادس قبل الميلاد .

ويقال إنه ولد فى ليبثرا من أعمال بيريا، وهى جهة محيطة بجبل أولمبوس . وكانت هذه الجهة فى القديم جزءاً من مقدونيا إلا أن أصلها من تراقيا . ولم يكن أهل تراقيا فى العصور المتأخرة يعدون من صميم الاغريق ، ولهذا السبب لم يعدوا أورفيوس إغريقيا . ومما يؤيد هذا الرأى النقوش التى تمثل أورفيوس ، وفيها نجد ملابس أورفيوس إغريقية ، وفى بعض النقوش الموجودة على آنية خزفية أن هيئته إغريقية والمستمعين له من أهل تراقيا .

ونسبه إلهى : فأمه إلهة الشعر الغنائى كاليوب ، وأبوه أبولون فى رواية ، وفى رواية أخرى أنه أوجروس إله الخمر فى تراقيا .

ولسنا نعرف عن حياته إلا ما تذكره الأساطير .

ويروى أنه رحل إلى مصر يطلب العلم . ويقال إنه ركب البحر مع بحارة السفينة « أرجو » حسب طلبهم ، فاشتغل فيها رباناً وموسيقيا وواعظاً دينيا . وقد ذكر هذه القصة بندار فى أشعاره ، وصوره أوريبدس فى تمثيلية تدور قصتها حول رحلة بحارة أرجو .

ونجد فى أسطورة أخرى قصة نزوله إلى الأرض أو العالم السفلى ، يشجى الآلهة فى هذا العالم بموسيقاه ، ويطلق سراح زوجته . ويختلفون فى وفاته : يذهب بوزانياس المؤرخ اليونانى أنه انتحر . ويقول آخرون إنه صعقه الرعد . والشائع أن الميناديات أتباع وعباد ديونيسوس ، مزقنه إرباً إربا لأنه عبد أبولون .

ودفن فى ديون من أعمال مقدونيا ، ويزعم بوزانياس أنه شاهد قبره .

كانوا يعدون أورفيوس فى الزمن القديم مغنياً صاحب صوت حلو جميل ، تنقاد لأنغامه وموسيقاه جميع الكائنات كأنها واقعة تحت تأثير السحر ، ويستطيع أن يستأنس الوحوش الضارية فى هذا العالم ، والقوى المخيفة فى العالم الآخر . وهو عندهم المعلم بل الرسول الذى يكشف الأسرار ويفسرها : مثل أصل الآلهة وطبيعتها، والطريق المستقيم الموصل إليها ، والسلوك الذى يجب على

الناس اتباعه فى الدنيا والآخرة ، والقواعد التى تجرى عليها النفس لتبلغ مقرها الصحيح .

وإذا كان قد اعتنق دين ديونيسوس ، وهو دين جاء إلى تراقيا من آسيا ، فقد حوره ليلائم الروح الاغريقى ، فهذب مبادئه الصارمة ، وجعل منه أداة لتأديب النفس وهدايتها . ويظن بعض المؤرخين أن قصة مقتله على أيدى المينـاديات تبين مدى ما كان يقاسيه من معارضة المظاهر المتطرفة فى ديانة الخمر . وانتهى الأمر إلى قبول الاغريق التـأليف الذى أحدثه ؛ إذ وفق بين أبولون وديونيسوس ، إله الشعر وإله الخمر ، بين الألحان والحان، كما نجد فى دلفى.

غير أن تعاليمه النظرية كانت غامضة ، وطقوسه معقدة ، فلم يظفر إلا بعدد قليل من الأتباع سموا أنفسهم الأورفيين ، وهم شيعة اتخذوا ديونيسوس إلهاً عبدوه على طريقتهم الخاصة .

واتخذوا نقباء يقومون بطقوس الطهارة لمن يريد ذلك . وبقى نفوذ هؤلاء النقبـاء سائداً حتى القرن الرابع قبل الميلاد . فنحن نجد ثاوفراسطس زعيم مدرسة المشائين بعد أرسطو ، يرسل إليهم « الرجل المتطير » هو وزوجته وأبناءه مرة كل شهر ليشفيهم .

وكان اعتماد هؤلاء النقبـاء على كتب مقدسة تعد إنجيل النحلة الأورفية .

وإليك عقيدة النحلة الأورفية كما ترويها الأساطير :

فى البدء كان الزمان ، وهو المبدأ الأول . وكان الزمان وحشاً مخيفاً فى هيئة ثعبان له ثلاثة رءوس ، رأس ثور وأسـد ووجه إله بينهما . ونشأت معه الضرورة وهى قانون القضاء والقدر الذى يسيطر على الكون بأسره ويضم أطرافه . ثم أنجب الزمان : الأثير والعماء والظلام . ويشـكل الزمان بيضة فى الأثير فتتفتح ويخرج منهـا النور ، وهو أول إله أنجبه الزمان .

ومن أسماء النور أو صـفاته : زيوس ، وديونيسوس وإيروس ، وبان ، وميتس ، وإيريكبايوس .

ثم أنجب النور ابنـة هى الليل ، نقيضه وشريكه ، ثم اتحـدا فأنجبا الأرض والسماء. واتحدت الأرض والسماء فخلفتا ثلاث بنات وستة بنين . وعلمت السماء أن أبناءها سوف يقضون عليها فألقت بهم فى نهر تارتارس . وغضبت الأرض فأنجبت التيتان، وهم مردة أو شياطين ، وكرونوس ، وريا ، وأوسيانوس وتيث .

وتغلب كرونوس فصرع أباه أورانوس (السماء) ، وتزوج أخته ريا . فلما أنجبت ابتلع أبناءه حتى لا يخلفوه فى البأس والقوة.

غير أن زيوس نجا بفضل ما قدمته ريا من مسـاعدة ؛ إذ ألقمت أورانوس حجراً بدلا من الطفل المولود ، الذى أرسلته إلى كريت حيث كفله الـكوريتس ، حتى إذا بلغ أشده ابتلع النور فأخذ عنه القوة و« أصبح البدء والوسط والنهاية لـكل شئ » .

ثم شرع زيوس يرتب أمور الـكون ، فتزوج ريا فأنجب منها برسيفونى . ثم اغتصب زيوس ابنتـه فحملت منـه ديونيسوس . واستطاع التيتان أن ينزعوا الطفل من أيدى حراسـه ، ثم مزقوه إرباً إربا وأكلوا لحمـه . ولمـا علم زيوس بهذه الجريمة أنزل غضبه على التيتان فأبادهم بأن سلط عليهم الرعد والبرق . وأعاد الطفل إلى الحياة فأصبح ديونيسوس هذا إله الأورفية . وولد ثلاث مرات : كان موجوداً من قبـل فى النور ، وهو ابن برسـيفونى ، وأعاده زيوس إلى الحياة .

ثم جمع زيوس رماد التيتان وخلق منه الانسان ، فكان بذلك صاحب طبيعتين :

طبيعة الاثم أو الخطيئة ورثها عن التيتان ، وطبيعة إلهية أخذها عن ديونيسوس الذى أكل التيتان لحمه .

وترتب النحلة الأورفية على هذا التصور للالهة والكون نظرية تخص طبيعة الانسان ومصيره . فالنفس تتميز تماماً عن الجسد . لأن البدن ، وهو العنصر التيتانى ، سجن أو قبر للنفس . وغاية الحياة فى النحلة الأورفية أن تجنح نحو العنصر الالهى ، بأن تحفظ البدن فى حال من الطهارة ما أمكن إلى ذلك سبيلا حتى يحين الوقت الذى تنطلق فيه النفس من عقالها ، وتكتسب حريتها .

وكانوا يعتقدون أن اتصال النفس بالبدن هو عقاب لاثم قديم ، للخطيئة الأولى التى ارتكبها الجنس البشرى ، ونعنى بها : تذوق التيتان لحم ديونيسوس ، ومن التيتان نشأ الانسان .

ولما كان البدن وما فيه من شهوات هو منبع الشر ، فينبغى على الأورفى أن يكون زاهداً ، ويجب عليه ألا يأكل لحم الحيوان أو يشارك فى الذبح وإراقة الدماء .

ويجب على النفس أن تبقى مع البدن حتى يستكمل الانسان مدة العقوبة المفروضة عليه بعد ارتكاب الخطيئة الأولى .

وعلى النفس فى أثناء اتصالها بالبدن أن تتبع قواعد خاصة فى الطعام والشراب والراحة ، وأن تخضع لعبادات منظمة تجرى على يد الكاهن . ونحن نجهل هذه العبادات أو المراسيم ، لأن الأورفية كانت من الديانات الغامضة السرية . وأكبر الظن أنهم كانوا يقيمون نوعاً من العبادة الجمعية تجرى فيها الأدعية والتراتيل ثم يقصون الأسطورة الأورفية وما جرى فيها للالهة ، وديونيسوس بوجه خاص . فاذا اتبع المريد هذه العبادات ، وآمن بها ، فقد يصل إلى السعادة الدائمة الأبدية فى العالم الآخر ، وذلك عند ما يتخلص من البدن ويلحق بالصالحين . أما أولئك الذين يعيشون حياة الفسق والفجور فان عقابهم أبدى شديد ، إذ يلقون فى الوحل والطين وبئس المصير .

ويبدو أن صورة هذه الحياة السعيدة تتخذ فى بعض الأحيان صبغة مادية ، على العكس من حياة الزهد المطلوبة فى هذه الحياة الدنيا . فنحن نجد أديمانت فى جمهورية أفلاطون يتهم موزايس وابنه بأنهما يجعلان الحياة الطيبة ليست شيئاً آخر إلا الطعام والشراب الأبديان . أما مقر الروح الأخير فيصفونه بأنه فى « جزر السعادة »، حيث يعيش القديسون فى نعيم مقيم كالآلهة . وهو وصف يفسح المجال للمادية كما يفسح المجال للتأويل الشعرى .

وقد عثر العلماء فى مقابر إيطاليا وكريت على ألواح ذهبية سطرت فيها أبيات من الشعر ، وكانت توضع مع الميت فى القبر لترشده إلى الطريق الصحيح . ذلك أن النفس عند ما تفارق البدن بعد الموت لا تبلغ مقرها فى الحال بل تسيح فى العالم السفلى . يروى أن النفس سوف تذهب إلى ينبوعين بجانب أبهاء زيوس ، أحدهما إلى اليسار . وهذا الينبوع ينبغى تجنبه لأنه « ماء النسيان » تشرب به الأنفس التى سوف تعود إلى هذه الدنيا . أما الينبوع الذى إلى اليمين ، وفيه « ماء الذاكرة » الذى يجب أن تشرب منه النفس ، وإلى جانبه حراس تتوجه إليهم النفس ، ليصلوا بينها وبين الآلهة ، قائلة فى دعائها : « إنى ابنة الأرض والسماء ، إنى أموت عطشاً ، فهب لى ماء زلالا من بحيرة الذاكرة » . وعندئذ يمنح الحراس النفس ماء الينبوع الالهى فترقى إلى مرتبة الابطال .

وقبل أن تبلغ النفس مقرها الأخير تقف

بين يدى برسيفونى وإلى جانبها عدد من الآلهة منهم زيوس وديونيسوس ، فتلتمس العودة إلى جنسها السعيد الذى كانت تنتسب إليه ، والذى طردت منه بالقضاء بعد أن ارتكب التيتان الخطيئة ، فسلط عليهم زيوس الرعد والبرق ، ثم جمع رمادهم وخلق منه البشر .

فالنفس تلتمس الآن ، وقد تطهرت ، من برسيفونى أن ترق لها وترسلها إلى مقر الأبرار الأطهار . لقد خرجت النفس من دائرة التناسخ ، وخطت نحو النعيم ، وفرت من أحضان الجحيم . فاذا كان الجواب ملائماً ترفع النفس إلى درجة الآلهة .

ظلت تعاليم الأورفية الباطنة سرا محجوباً إلا عن المريدين ، كسائر الأديان السرية ، إذ كان أصحاب هذه النحلة يصطنعون لكتمان أسرارهم لغة رمزية لا يفهمها إلا التابعون ، وتحتاج إلى شرح وتأويل ؛ إلى أن ظهرت فى عصور متأخرة معاجم تكشف أسرارهم ، وذلك على يد كلمنت الاسكندرى فى القرن الثالث بعد الميلاد ، إذ فسر قصيدة أورفية . فلما ألقى الضوء على النحلة الأورفية اتضح أثرها البالغ فى الفلسفة اليونانية القديمة ، وفى كثير من العقائد التى لا تزال جارية حتى اليوم واحتفظت به الانسانية فيما احتفظت من تراث الفكر .

وأكبر الظن أن فيثاغورس وفرقته أخذوا القول بالتناسخ ، والعمل بالزهد، والابتعاد عن أكل اللحم وذبح الحيوان عن الأورفية .

ويتبعهم أفلاطون فى التمييز بين النفس والبدن . وكثيراً ما يقتبس من قصائدهم أبياتاً ، ولو أنه لا يذكرهم صراحة إذ يقول عنهم المؤلهة الأقدمون . ولا ريب فى أن احتقاره للبدن ولعالم الحواس لا يخلو من التأثر بالنظرة الأورفية للانسان والنفس ، ومن أنها اتصلت على كره منها بالبدن وهو مصدر الشر والآثام . وفى تطهير البدن وإماتة الشهوات طريق إلى الخلود .

وقد سرت عن أفلاطون نظريته فى النفس إلى الشيخ الرئيس ابن سينا فقال فى قصيدته المشهورة :

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تدلل وتمنع

أحمد فؤاد الأهوانى

شهرية المسرح

الموسم الايطالى فى دار الأوبرا الملكية

انقضى الحول مذ جاءت الفرقة الأجنبية الأولى بعد الحرب الطاحنة لتمثيل الأوبرا فى دارنا المصرية ، واستغرق الموسم الثانى قسما من شهر يناير وأكثر شهر فبراير . وكان الموسم الثانى لفرقة إيطالية أيضا .

ولقد تكلمنا من قبل عند استعراض الموسم الأول عن ضرورة تغيير الفرق التى تمثل الأوبرا وعدم الاقتصار على الفرق الايطالية . وكان من عادة دار الأوبرا قبل الحرب الأخيرة ، فيما نذكر ، أن يكون موسمان للفرق الايطالية وموسم لفرقة فرنسية . ومع ذلك لم يمنع هذا النظام من مشاهدة فرقة نمساوية على مسرحنا المصرى فى موسم أو موسمين . وكان هذا التنوع موفقا ، ونرجو أن تأخذ به دار الأوبرا فى إدارتها المصرية بل أن تتوسع فيه ، فتشهد فرقا ألمانية ومجرية وروسية أيضا . فالفن لاوطن له . وقد يكون فى هذا التنوع مايرضى الغرض الفنى الذى نريده من هذه الدار ، ونحن واثقون أن الادارة المصرية الحالية تريده أيضا .

ولقد كنا نحب أن نقتصر فى الكلام عن هذا الموسم على التحليل الفنى للأوبرات التى مثلت على المسرح ، والتحليل الفنى للموسيقى التى عزفت ، وللأغانى التى أنشدت ، ولكننا نرى الحاجة أمس إلى الكلام على المبادىء . فاننا نعلق الآن آمالا كبيرة على دار الأوبرا ، ونحب الآن أن تتحقق هذه الآمال فى ضوء إدارتها الناهضة ، كما أن زملاء لنا من المحبين للفنون يشككون فى هذه الآمال ، ولا يرون فيها إلا ظلاما حالكا . وأول مبدأ نحب أن نعرض له هو فكرة القديم والحديث فى الفن .

لقد أخذ على دار الأوبرا تكرار مايمثل فيها من مسرحيات ، وغولى فى ذلك ، فقيل إن أوبرات مثل أوتللو وبترفلاى ومانون مثلا ، ليست جديرة بأن تسمى فنا . بل قيل إنها فن حقير لمجرد أنها تمثل مئات المرات ، ولمجرد أن عامة الشعب على اختلاف الأمم تقبل عليها ، وقد أصبحت مرذولة مبتذلة . وهذا القول عجيب ؛ فان أوتللو وبترفلاى وكارمن ومانون مثلا ، لاتخلو منها المواسم فى باريس أو فى لندن أو فى نيويورك . وليس من بأس مطلقا بل لانفهم مطلقا أن تخلو منها المواسم فى القاهرة . والأوبرات ككل المظاهر الفنية ، سواء أكانت موسيقى صرفة أم نحتا أم تصويرا ، هى للمتاع العقلى واللذة الفكرية . وليس الغرض منها الاستمتاع بها مرة ثم اطراحها إلى غيرها مما هو جديد . بل إن العمل الفنى على تفاوت قيمته يعيش مع الزمن ، وتتجدد اللذة به وتقوى كلما زاد المرء معرفة به . كما أن الزمن الذى كان يقال فيه إن الفن ارستقراطى لايشعر به غير الخاصة قد مضى ولم يعد ملائما لتقدم الأمم . ففى بلاد مثل روسيا مثلا ، لانعتقد ان الذين يملأون دور الأوبرا فى هذه الأيام وقد يكونون بملابس العمل ، أقل فهما من أولئك النبلاء الذين كانت تمتلىء بهم مقاصير دار الأوبرا الامبراطورية ، وتلمع صدورهم

بمختلف الأوسمة المرصعة . بل كل مانقرؤه عن تلك البلاد البعيدة يدل دلالة واضحة على أن الفن فيها لايقل رقيا فى هذا العصر عنه فى الزمن القديم . والفن لا يمكن أن يعيش إلا بالتشجيع .

ونحن إذا أردنا أن ننبه دار الأوبرا فى مصر إلى تنويع البرامج ، بحيث تشاهد المجهودات الفنية الجديدة ، فلسنا نقصد أن تعدل عن القديم إلى الجديد . وليست دار الأوبرا فى مصر حقلا للتجارب ، لمجرد سبب واحد هو أن نوع الاوبرا لم ينشأ بعد فى مصر . ولو كانت هنالك مسرحية واحدة من هذا النوع لحنها موسيقى مصرى ، أو أجنبى نزيل ، لطالبنا دار الاوبرا بأن تعرضها تشجيعاً للمصرى أو النزيل مهما كانت غير جديرة بهذه الدار ، ولكننا فى الأوبرا لانزال مقتبسين .

فالطريقة المثلى التى نود أن تنفذها الادارة الحالية هى أن تظهر بعض المؤلفات الحديثة أو التى لم تشاهد من قبل فى الدار أو التى شوهدت من زمن مديد ؛ فتشترط على الفرق أن يكون بين برامجها مسرحيتان أو ثلاث أو أربع من هذا النوع ، إلى جانب المسرحيات العتيدة المعروفة ، وبذلك توفق بين القديم والحديث .

مسألة أخرى نحب أن نعرض لها ، هى أنه مادامت لاتوجد فرق مصرية يعتمد عليها فى تمثيل الأوبرات ، فانه سيحتم علينا أن يكون هنالك موسم لفرق أجنبية ، بل ربما تحتم علينا دائما فى جميع الفنون التمثيلية أن تفد إلى مصر فرق أجنبية ؛ فان فى ذلك حافزاً على النهوض بتلك الفنون . وستزداد بمرور السنوات صعوبة الحصول على فرق ممتازة . واذا كان فى السنوات التى تلى الحرب مباشرة نجد ذلك ميسوراً ، فان ذلك يزداد صعوبة كلما انتعشت الحالة فى أوربا .

ولنثق أن الحالة فى أوربا ستنتعش سريعا . فتلك شعوب حية لاتستكين إلى حالتها إذا ساءت ، وتعمل سريعا للحصول على حاجاتها . والفن هو إحدى هذه الحاجات ؛ فهو ليس أمراً كماليا لديها ، بل هو من الأمور الأساسية فى الحياة .

لذلك سيكون واجبا على إدارة الأوبرا أن تبذل جهداً ، يزيد عاما بعد عام ، فى أن تأتى بالفرق الممتازة . ولا شك أن مثل هذه الفرق ستكون فى شاغل عن القدوم إلى مصر لازدهار المواسم فى أوربا . على أن لدينا شيئا من الاغراء فى جو هذه البلاد وشمسها . فليستعمل هذا الاغراء إلى أقصى حد ، ولتراقب المتعهدين باحضار الفرق مراقبة شديدة ، كى لايفضل هؤلاء المتعهدون المال على الفن .

ونحب فى معرض الكلام عن هذه المسألة أن ننتقل من التعميم إلى التخصيص ، فنقول إن فرقة هذا العام تحتوى على مغنين ومغنيات من المتازين فى سماء الأوبرا بايطاليا . ولكننا نشعر بأن هنالك شيئا من عدم التوازن فى الفرقة . وأغلب الظن أن ذلك نشأ عن المغنيات أكثر مما نشأ عن المغنين . فقد كان بعض المغنيات ذوات الأدوار الأولى متقدمات فى السن ، وميالات إلى البدانة . ويحضرنا فى ذلك دور مانون وفيدورا وبطلة الصديق فرتز . فقد كانت البدانة تفسد الدور . ومع ذلك فقد أظهر بعضهن فنا كبيراً ، حتى لقد نسينا بدانة مانون وكبر سنها الظاهر ، حين رأيناها فى الغناء تبز أقرانها من المغنين أمامها ، فتجتذب الآذان إن لم تجتذب العيون . وهذا يوجد دائما نوعاً من عدم التناسب يظهر سريعا فى المسرحيات المغناة ؛ لأنها كما قلنا أكثر من مرة فن صناعى ومغرق فى البعد عن الطبيعة .

وعلى كل حال هل لى أن أطالب دار الاوبرا بالكثير ؟ وهل لمجرد أنى أرغب فى رؤية «بلياس ومليزاند» و«ووزيك» مثلا، أنادى بأن تقتصر دار الأوبرا على هاتين المسرحيتين لأجلس وأستمتع وسط المقاعد الخالية ؟ دع عنك هذه الأحلام ، ومن يرد ذلك فعليه أن يجرى وراء استمتاعه ، فيجوب البلاد ويتنقل ليسمع مايريد .

يكفى أن نطالب دار الأوبرا بأن تحتفظ بمستوى فنى خاص للفرق التى تأتى بها ، فلا تنزل بالمستوى إلى ما يقرب من فن الأوبريت ، ولا ننتظر منها أن ترتفع بالمستوى إلى مافوق مقدورها ؛ فان ذلك قد يؤدى بها إلى تشويه مسرحيات عظيمة . وكل ما نراه واجبا علينا نحن النقاد هو التشجيع والتحذير .

حسن محمود

شهرية السينما

مسيو فردو (اتحاد الممثلين) [1]

كان إنتاج شارلز شابلن يحتل دائما مكانا بارزاً بين الانتاج الأمريكى عامة . وكان شابلن نفسه لا يضحك الناس ليسليهم فحسب كما كان يفعل المضحكون من معاصريه مثل هارولد لويد وبستر كيتون، بل كان يضحكهم ليظهر لهم آفات المجتمع الذى يعيشون فيه . فهو حين اتخذ هذه القبعة الزرية ، وهذا السروال الواسع البالى ، وهذه السترة الضيقة القصيرة ، وحين أخذ يسير فى الطرقات بهذه الخطوات المضحكة العجيبة ، كان يريد أن يمثل الفرد حين يصبح ضحية المجتمع سواء أكان هذا الفرد عاملا أم مغامرا . فكأن وراء تهريج شابلن الظاهرى فلسفة عميقة يستنبطها اللبيب من الشهود ويغفل عنها من جاء ليمضى ثلاث ساعات طيبة.

ثم فجأة ترك شارلى هذه القبعة وهذه السترة وهذا السروال وأنتج فيلم «الدكتاتور» . وما كاد هذا الفنان يترك زيه المعتاد حتى فقد إنتاجه ما كان له من قيمة . ففيلم « الدكتاتور » لم يكن إلا دعاية رخيصة بوساطة تهريج رخيص . ثم انقطع شابلن عن الانتاج فترة أعد فيها فيلمه الجديد « مسيو فردو » وراجت الشائعات حول هذا الفيلم : فمن قائل إن شارلز شابلن قد ترك فيه شخصية الشارد ليمثل دور رجل من البرجوازية الفرنسية ؛ ومن قائل إنه قد ابتكر فنا جديدا فى عرض حوادثه . وما كاد يعرض الفيلم فى أمريكا حتى هوجم منتجه واتهم بالشيوعية المتطرفة . والفيلم ليس ذا شأن لكى يهاجم منتجه ، والآراء الذى يعرضها فيه ليست بهذا العمق الذى يجعل الناس يخشون تأثيرها . فهى من ذلك النوع الرخيص التافه الذى يعرض ليثير دهشة عامة الناس وإعجابهم ، وسخط من يدرك تفاهتها وازدراءه . وقد استمد شابلن قصته من حياة لاندرو القاتل الفرنسى . فمسيو فردو ما هو إلا قاتل للنساء دفعه النظام الاجتماعى إلى الجريمة ليدافع عن نفسه وعن أسرته المكونة من امرأة متقاعدة وطفل صغير . لقد خدم مسيو فردو ذلك المجتمع الذى لفظه خمسا وثلاثين سنة أمضاها يعد نقود غيره فى أحد المصارف . ويمضى هذا القاتل الصغير فى جرائمه حتى يقبض عليه رجال الشرطة ويقدمونه للمحاكمة . ولنستمع إلى دفاع هذا المجرم : « ألم يشجع العالم ذلك الذى يقتل بالجملة ؟ إننى بالنسبة إلى هؤلاء لا أعد إلا هاويا ... فقتل شخص واحد يجعل من القاتل مجرما خطيرا ، وقتل الملايين يجعل من القاتل بطلا ؛ فكأن العدد يحيطه بالقداسة . » نعم ! إن هذا الدفاع منطقى ظاهريا . ولكن هل ثمة وجه للمقارنة بين من يدفع عن بلاده طمع العدو ومن يدفع عن نفسه اعتداء المجتمع ؟ وإن كان شارلز شابلن

---

(1) Monsieur Verdoux *(United Artists)*

يريد بهذا الدفاع أن يظهر عدم رضاه عن الحروب. فهل نجح بشخصية مسيو فردو أن يجعلنا نشمئز من الجريمة سواء ارتكبها فرد أو أمة ؟ إن شخصية مسيو فردو تجعلك فى حيرة أى حيرة ؛ فأنت بين مشمئز منه وعاطف عليه ؛ فأنت مشمئز منه لأنه رجل آثم ، وأنت تعطف عليه لأنه مهرج لطيف يستأثر بك كل الاستئثار . ولكنك لا ترضى عنه بعد كل شئ ؛ لأنه مجرم لا يدفعه إلى الجريمة سبب قوى ، وليس له عذر مقبول ، ولأن فلسفته سطحية لا تقنعك بتصرفاته . أنظر إلى نهاية الفيلم حين يذهب القس لمقابلته فى السجن . إن شارلز شابلن يعرض هنا آراء تذكرك بآراء الصيدلى مسيو هومى فى قصة « مدام بوفارى » لتفاهتها . يقول للقس إنه لا يعنى بروحه لأنها ملك الله والله وحده يتصرف فيها كيفما شاء، وإن لولا وجود الشر ما كان ثمة داع للقسس . أبهذا اللغو يريد شابلن أن يستأثر بالعالم وأن يصلح المجتمع بهدم النظام الرأسمالى ؟

ومع أن شارلز شابلن أخرج فيلمه فى السنتين الأخيرتين ورغم تطور صناعة السينما السريع فأنت تشعر حين تشهد « مسيو فردو» أنك تشهد فيلما أخرج فى أول عهد السينما . فطريقة العرض أولية ، والتصوير أولى أيضا . فالصورة لا تسجل من الشخصيات إلا من يتحدث فقط ، وقد يكون تسجيل صورة من يستمع إلى الحديث أكثر خطرا من تصوير المتحدث وحده . أما عن جو الفيلم الذى أراد شابلن أن يكون فرنسيا فهو بعيد كل البعد عن الجو الفرنسى . فالناس فى شوارع باريس لا يتخطرون كما حدث فى الفيلم ، والمنازل البرجوازية الفرنسية تختلف كل الاختلاف عن المنازل الفرنسية التى صورها شابلن فى اخراجه .

ولم نلمس عند شابلن مثلا أى تطور فى فن الأداء . فمن رأى أفلامه السابقة ولمس النواحى المختلفة لهذا الفن لا يجد فى أداء شخصية مسيو فردو أى تجديد . فمادة الضحك يستمدها من حركاته الآلية كما كان يفعل فى أفلامه السابقة .

ولولا أن فيلم « مسيو فردو » أخرج فى أمريكا ، ولولا أن منتجه وممثله هو شارلز شابلن ، ما صادف هذا الفيلم رواجا ولا أصاب نجاحا كما حدث حين عرض فى القاهرة . فتهافت الجمهور على شهوده ورضاهم عنه لا يعودان إلى جودة الانتاج ، وإنما يعودان إلى ما للانتاج الأمريكى ولاسم ممثل شهير مثل شابلن من تأثير فى الجمهور .

الفتى (مترو جلدوين ماير) (١)

لا أتحدث عن هذا الفيلم فى مقالى هذا إلا لطرافة موضوعه ويسره وهدوئه . فقصة « الفتى» هى من هذه القصص التى تخلو من التعقيد الذى أسرف فيه الأمريكيون فى أفلامهم ، ومن عوامل التأثير المصطنعة التى يلجأ اليها المخرج لينال رضا جمهوره ، ومن هذا العنف الذى تسوقه الينا أفلام هوليوود حين تعرض لنا حياة الريف الأمريكى فى القرن التاسع عشر . فهذه القصة هى عرض بسيط لحياة أسرة أمريكية فى القرن

(١) The Yearling *(Metro Goldwyn Mayer)*

الماضى لا مرمى لها إلا الكفاح لتستغل الأرض وتيسر لنفسها حياة رغدة . وقد يبدو للبعض أن قصة تخلو من الحوادث المثيرة أو من العنف لا تصيب عند الجمهور إلا الملل ، ولكن هذه القصة باخراجها اليسير الواقعى ، وبالمناظر الجميلة التى كان يعرضها الفيلم ، وبأداء الممثلين عامة قد أصابت قسطا وفيرا من التوفيق والنجاح .

أمريكى فى اجازة (فيلم لوكس) (١)

هذا الفيلم الايطالى يمكن أن يعد مثالا للقصد فى التعبير. وأقصد بالتعبير الاخراج والتمثيل وحوادث القصة . فالاخراج هو وسيلة للتعبير عن جو القصة وظروفها ، والتمثيل وسيلة للتعبير عن شخصياتها ، والحوادث وسيلة للتعبير عن شعور تلك الشخصيات . ويمكننى أن أضيف أن ثمة ناحية فى هذا الفيلم امتازت بالقصد وهى الدعاية . فأنت حين تشهد هذا الفيلم يدهشك هذا الذوق فى اختيار المواقف ، وهذا الفن المقتصد فى الأداء والتمثيل ، ووسائل الدعاية فيه.

والقصة غرامية تدور حوادثها فى روما حيث يتقابل شاب أمريكى وفتاة من ريف إيطاليا، فيهيم الشاب بالفتاة هياما شديدا وتبادله هى هذا الشعور القوى ولكنها تخفيه عنه. وهو يلاحظها فى كل مكان ولكن الفتاة تتمنع وتهرب من المدينة إلى ريفها الهادئ . ولكن الأمريكى يأبى أن يعود إلى ميدان القتال دون أن يرى محبوبته ليسلمها مذكراته عن المدة التى قضياها معا فى روما ، ثم يتركها ليواصل سفره بعد أن وعدها باللحاق بها إن عاد حيا من المعركة . وكل هذه الحوادث تسير فى هدوء تام لا يشوبها أى عنف أو أية مغالاة ، وخاصة فى المنظر الأخير حين يتقابل الشابان لآخر مرة فلا صراخ ولا عويل عند الفراق ولا حتى هذه القبلة التى يحرص الأمريكيون أن يختتموا بها أفلامهم . وكان أداء الممثلين لا يختلف عن طابع القصة فى هدوئه وقصده . فكل منهم وخاصة فالنتينا كورتيزيه التى امتازت بتمثيل فائق وقوة تعبير خارقة قد اصطنع القصد والأمانة فى إخراج شخصياتهم . وكان المصور أيضاً على حظ كبير من التوفيق فيما سجل من صور جميلة بين آثار روما ، فأسبغ على الفيلم جمالا فنيا محمودا .

و إن كان هذا الفيلم يمتاز بكل هذه الصفات التى تحدثت عنها ، فلست أرمى إلى أن أجعله فى المرتبة الأولى بين الأفلام الايطالية ، إنما أردت أن ألتزم الأمانة فى حديثى ، فلا أغفل هذه الميزات التى مع كثرتها لا تجعله إلا إنتاجاً حسناً فحسب .

رشدى كامل

(١) Un Americano in Vacanza *(Lux Film)*

من كتب الشرق والغرب

ديوان أبي فراس

اتخذ الأستاذ الدكتور سامى الدهان نشر ديوان الأمير الشاعر المترف الفارس الشجاع الحارس أبى فراس بن سعيد الحمدانى ، موضوع رسالة للدكتوراه قدمها لجامعة باريس ، فظفر بشهادة الدولة منها.

وقد أخرجه بشرح ابن خالويه جامع الديوان وشارحه ، إخراجا أنيقا رائعا ؛ فطبعه فى غاية من الاتقان والنظافة ؛ وورقه من النوع الممتاز الثمين القليل الصقل مما يجعله يتشرب الحبر تشربا ، فبدت فيه الحروف واضحة جلية مشرقة ، حتى لاتكاد تجد فيه حرفا ضعيفاً أو علامة إعجام ضائعة.

وشرح ابن خالويه إنما هو شرح تاريخى، يقدم كل قصيدة بكلمة يبين بها الغرض الذى سيقت له القصيدة أو المناسبة التى قيلت فيها . وقد تقصر هذه الكلمة فتكون بعض السطر ، وقد تطول فتكون سطوراً . فاذا عرض أبو فراس لوقائع آبائه ومآثر قومه (كما فى القصيدة الرائية الكبرى) أخذ هو يشرح تلك الوقائع والمآثر شرحاً مفصلا رائعاً ؛ فيذكر تفصيل ماسبق عصره من الأحداث عن الثقات ؛ فاذا عرض أبو فراس لوقائع سيف الدولة وناصر الدولة ، شرح ابن خالويه تلك الوقائع شرح معاصر مشاهد . وبذلك يعد شرح ابن خالويه لديوان أبى فراس مكملا لما أغفله التاريخ من وقائع آل حمدان ومآثرهم .

وقد أخرج حضرة الناشر الديوان فى جزأين ضخمين ، وجعل له مقدمة بالفرنسية فى جزء ثالث صغير ذكر فيها ما قام به فى سبيل نشر الديوان ، ثم ترجمة أبى فراس نقلا عن كتب الأدب والتاريخ التى ترجمت له أو نوهت به (وقد أثبت ذلك بنصه فى الجزء الثانى) ؛ ثم وصف النسخ المخطوطة التى طوف فى سبيل الحصول عليها فى مشارق الأرض ومغاربها حتى ظفر بها من مكتبات العالم ، وهى نسخ كثيرة تزيد على الأربعين ، وأثبت صور بعض أوراقها .

أما الجزء الأول من الديوان (وهو نحو ثلاثمائة صفحة كالجزء الثانى ، ولكنه يخيل للناظر اليه ، لضخامة ورقه ، أنه ستمائة صفحة) فمصدر بمقدمة لحضرة الناشر ترجم فيها لأبى فراس ترجمة رائعة ؛ وكان جل اعتماده فيها على شعر أبى فراس نفسه وعلى أخبار ابن خالويه الذى كان يؤثره أبو فراس ويختصه بشعره . ثم ذكر النسخ التى عثر عليها والتى أطال الحديث عنها فى المقدمة الفرنسية ، وجعلها أربع طوائف ، وبين قيمة كل طائفة منها . والطائفة الأولى تشمل نسخة ابن خالويه جامع الديوان وشارحه ، وما كان منها بسبيل . ثم عرض لطبعات الديوان السابقة ، وذكر بعض ما فيها من نقص وتحريف وتشويه .

ويشتمل النصف الأخير من الجزء الثانى على ملحق أثبت فيه مانسب إلى أبى فراس من شعر لم يرد فى أمهات المخطوطات ، ومن

شعر نسب إلى أبي فراس وروى لغيره فى كتب الأدب والدواوين ، وعلى ترجمة الشاعر وأخباره فى كتب الأدب والتاريخ وعلى عشرة فهارس : لشعره المروى فى كتب الأدب والتاريخ ، ولشعره الذى تنفرد به هذه الطبعة (وهى تزيد ٨٥٧ بيت على أكثر الطبعات شعراً) وللبحور ، وللمعانى والأبواب ، وللقوافى ، وللأعلام ، وللقبائل والأمم والبيوت ، وللأماكن والبلدان، وللكتب والمصادر، وللموضوعات، ثم يختم بجدول للتصويب والاستدراك .

هذا عمل جليل ومجهود ضخم ، يشكر لحضرة الناشر كل الشكر . ولكن ! هل أخرج لنا ، مع كل هذا المجهود الضخم ، نسخة صحيحة لديوان أبي فراس؟ ذلك ما نريد أن نلم به إلمامة قصيرة . وأعترف قبل كل شىء أنى لم أقرأ الديوان كله ؛ وإنما قرأت بعض قصائد ومقطوعات من الجزء الأول قراءة عابرة ، وقرأت نحو خمسين صفحة من أول الجزء الثانى . على أن ماقرأته يعطينى صورة صحيحة عن الديوان .

كان الظن أن تبرأ هذه الطبعة الأنيقة مما يشين ؛ فان هذا المجهود الظاهر الذى بذل فى إخراجها ، وهذا المقدار الضخم الذى تجمع بين يدى حضرة الناشر من أصول الديوان ، كانا خليقين أن يعصماها من الخطأ . ولكنى ما كدت أمضى فى القراءة حتى صدمنى بعض الخطأ فى الكلم وفى الضبط .

فمن خطأ الكلم فى (ص ١٨٤ س ٥ و ٦) :

إذا تخطأ ريب الدهر ساحته
فما نبالى بمن دارت دوائره
وإنما وقت الدنيا موفتها
منه وعمر للاسلام عامره

أظن أن ليس فى اللغة « موفتة » وإنما الصواب :

وإنما وقت الدنيا موقيها * منه ...

يريد الشاعر أن يقول : وإنما تقى الدنيا من ريب الدهر من يبالغ فى وقايتها منه . يدل على المبالغة تضعيف « موقيها »

وفى (ص ١٠٧ س ٢) :

ولاصقة الاطلين من نسل لاحق
أمينة ما نيطت إليه الحوافر

يصف فرسا . والخيل تنعت بلحوق الخواصر وضمورها . فالصواب : « ولاحقة الاطلين » . ونعت الخيل باللحوق والضمور كثير مستفيض فى الشعر العربى .

وفى (ص ١٦١ س ٢) :

وأسرة صدق فى اللقاء شعارهم
ألا إن ضرب الله لاشك قاهر

صوابه — كما هو ظاهر — : ألا إن حزب الله لاشك قاهر .

وفى (ص ٣٤٩ س ٩) :

لا يطغين بنى العباس ملكهم
بنو على مواليهم وإن زعموا

الصواب «وإن رغموا» . يفضل الشاعر بنى على على بنى العباس . ويقول لبنى العباس : كفكفوا من غلوائكم ، ولا يبطرنكم الملك والخلافة ؛ فبنو على سادتكم ومواليكم وإن رغمت أنوفكم . وقد أنشأ أبو فراس هذه القصيدة حين وقف على قصيدة لمحمد بن سكرة الهاشمى من ولد المنصور ، يفاخر بها ولد أبى طالب وينتقص ولد على . ويقول ابن خالويه : « فلم يجبه أبو فراس تنزها عن مناقضته لسفاهة شعره ، وقال فى مدح أهل

البيت عليهم السلام» . وقصيدة أبى فراس واحد وستون بيتا ، وهى من أقوى شعره ذكر فيها مساوئ بنى العباس وما فعلوه مع أبناء على فى أسلوب قاس عنيف . مطلعها :

الدين مخترم والحق مهتضم
وفىء آل رسول الله مقتسم

وهى ميمية كما ترى . فمن الغريب أن يقع فيها هذا البيت (ص ٣٥٢ س ١) :

لابيعة ردعتكم عن دمائهم
ولا يمين ولا قربى ولا نسب

هكذا « ولا نسب » بالباء . ويمكن أن يكون صوابها « ولا رحم » . نعم ! وردت « رحم » قافية لبيت آخر ؛ ولكنه يقع بعد هذا البيت بسبعة أبيات . وهذا فاصل يجيز التكرار .

وثمة عدة ألفاظ يكتنفها الغموض متناثرة فى ثنايا الديوان . فمن ذلك فى (ص ٣٦١ س ١٢ و ١٣) :

إلى أن صبحتهم بالمنايا
كرائم فوق أظهرها كرام
من العرشات تلحق مارأته
إذا طلبت وتعطى ماتسام

ظاهر أنه يصف خيلا كريمة ، فما العرشات إذن ؟ يقول حضرة الناشر فى التصويب والاستدراك : « (العرشات) فى جميع الأصول . ولعلها محرفة عن « عربات » أو « عربان » . أما عربات فجمع عربة ، وهى السفينة بلغة أهل الجزيرة ، تعمل فيها رحى فى وسط الماء الجارى مثل دجلة والفرات والخابور يديرها شدة جريه . وعربان : بلدة بالخابور من أرض الجزيرة » . فهل يقع مثل هذا الاستدراك غلة ؟ ظاهر سياق الكلام أن هذه الكلمة من نعوت الخيل ؛ فيجب البحث عنها أو عن رسم قريب من رسمها فى المظان، وهى هنا كتب الخيل وكتب اللغة كالمخصص لابن سيده . وقد ضبطت «تعطى» بفتح الطاء ؛ والصواب الكسر ؛ إذ هو يصف الخيل بأنها طيعة لاتبخل بشىء من مجهودها ؛ فهى تعطى كل ماتسامه وتكلفه .

وفى (ص ٣٦٣ س ٣) :

ولم أبذل لخوفهم مجنا
ولم ألبس حذار الموت لاما

يقول إنه لم يبال بأعدائه ، فهو لم يحمل مجنا لخوفهم ، ولم يلبس درعا حذار الموت . فما معنى « ولم أبذل » هاهنا ؟

وفى (ص ٣٦٥ س ٦) :

راحت وصاحبها بعرس حاضر
يرضى الاله وأهلها فى مأتم

يصف فتاة كريمة سبيت ، فكانت من نصيب أحد القاتلين ، فصار صاحبها الذى كانت من نصيبه فى عرس ، وأهلها فى مأتم . فما معنى « حاضر » بالرفع هنا ؟ وما موضع « يرضى الاله » ؟ أما أنا فقد كنت أحاول أن أجارى سياق الكلام وأجعل « حاضر » وصفاً لـ « عرس » وأحورها بما يلائم العرس ، وأجعل البيت هكذا :

راحت وصاحبها بعرس حافل
برضى الاله وأهلها فى مأتم

بل لعلى أهتدى إلى ماهو خير من هذا وأنبه على ما فى الأصول ، أوأستبقى الأصل كما هو ، وأعلق عليه بما أهتدى إليه .

وفى القصيدة المشهورة التى مطلعها :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر

(ص ٢١٠ س ٣) :

حفظت وضيعت المودة بيننا
وأحسن من بعض الوفاء لك العذر

لست فاهما الشطر الثانى . والصناعة اللفظية تقتضى أن يكون مع « الوفاء » « الغدر » لا العذر . و « عذر » وقعت قافية بعد هذا البيت ببيت واحد . ألا يمكن أن يكون الشاعر قد أراد أن يقول :

إنه لا يحب الوفاء الناقص ويرى الغدر خيراً منه ، فهو يقول لحبيبته ان الغدر أحسن لك ، أو أحسن بك ، من أن تمنى بعض الوفاء . وقد ضبطت «أحسن » بفتح النون والصواب الضم .

وفى (ص ٣٤٤ س ٨) :

آجدها قطع كل واد
أخصبه نبته العميم

يصف إبلا . فما معنى « آجدها » ؟

وقد بقى من هذه الكلمات شىء فى الديوان ، ولكنه — والحمد لله — قليل . ومن السهل جدا على حضرة الناشر أن يتبينه وأن يجليه فى الطبعة الثانية .

أما الضبط فالخطأ فيه كثير . وقد ذكر حضرة الناشر فى صدر التصويب والاستدراك عذره .

والواقع أن التزام الضبط فى الديوان كله ، فى خطه الكبير والصغير ، عمل شاق يحتاج إلى العناية التامة والاشراف الدقيق . ويبدو أنهما لم يتوافرا فى تصحيح هذا الديوان . والا فكيف مر هذا البيت (ص ٢٤٩ س ٣) :

فان يك بطء مرة
فلطالما تعجل نحوى بالجميل وأسرعا

مع أن الفراغ فى الشطر الأول ، والضغط فى الشطر الثانى ، لافتان للنظر .

وقد ذكر حضرة الناشر طائفة كبيرة من هذا الخطأ فى جدول التصويب والاستدراك ، ولكن مابقى منه أكثر ، ولعله أهم . وانى لذاكر بعضه .

من ذلك فى (ص ٢١٢ س ٤) :

ولا أصبح الحى الخلوف بغارة
ولا الجيش مالم تأته قبلى النذر

ضبط « أصبح » بضم الهمزة وكسر الباء والصواب فتحهما . يقال : صبحت القوم (كمنع) وصبحتهم (بالتضعيف) إذا أتيهم صباحا . وضبط « الخلوف » بفتح الخاء ؛ والصواب الضم . والخلوف هنا : الغائبون .

وفى (ص ٣٣٣ س ١) :

ياواسع الدار كيف توسعها
ونحن فى صخرة نزلزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدله
ثيابنا الصوف ما نبدلها

بضبط الفعلين فى البيت الأول للمفعول، وهما للفاعل . وبضبط « تبدله » فى البيت الثانى للمفعول وهو للفاعل . ويضبط « ما نبدلها » للفاعل ، وهو للمفعول ؛ إذ كان الشاعر فى الأسر . فهو يقول إن من كانوا يسيطرون عليهم لايبدلونهم ثيابهم الصوف . و« فى صخرة » لعله يريد بالصخرة قلعة . ولا يبعد أن تكون « فى حجرة » .

وفى (ص ٣٣٤ س ٥) :

لايقبل الله قبل فرضك ذا
نافلة عنده تنفلها

بضبط « تنفلها » على أنه للمفعول ، وهو للفاعل .

وفى (ص ٣٤٠ س ٥) :

وهيبتى فى طراد الخيل واقعة
والناس فوضى ومال الحى إهمال

بكسر الهمزة من « أهمال » ، والصواب الفتح ، جمع همل (بالتحريك) وهو المال المتروك سدى .

وفى (ص ٣٤٦ س ٢) :

أيد لهم عند كل خطب
يثنى بها الفادح الجسيم

بكسر النون ، والصواب فتحها ؛ إذ الفعل للمفعول .

وفى (ص ٣٤٧) :

بنى على دعوا مقالتكم
لاينقص الدر وضع من وضعه

ضبط « ينقص » بضم الياء وكسر القاف ؛ والصواب فتح الياء وضم القاف .

وفى (ص ٣٦٥ س ٣) :

خطبت بحد السيف حتى زوجت
كرها وكان صداقها للمقسم

ضبط «المقسم» بضم الميم وكسر السين ، والصواب فتحهما ، فهو مصدر ميمى . يريد أن صداقها كان لقسمة السبى .

وفى (ص ٣٨٤ س ٥) :

نفى النوم عن عينى خيال مسلم
تأوب من أسماء والركب نوم

بجر « مسلم » باضافته إلى « خيال » ؛ والصواب الضم ؛ إذ هو وصف لخيال ؛ لأن البيت مطلع قصيدة ، فهو مصرع . وحسبى ماذكرته من هذا الضرب .

وهناك ضرب آخر من خطأ الضبط . وذلك أن الشاعر قد يضطر فيمنع من الصرف ماينصرف . وقد وردت من ذلك عدة كلمات فى ثنايا الديوان مجرورة بالكسرة مع أن الواجب أن تجر بالفتحة ، شأنها فى ذلك شأن ما لاينصرف .

فمن هذا الضرب فى (ص ١٤ س ٧ و ٩) :

وقاد ندى بن جعفر من عقيل
شعوبا قد أسلن به الشعابا

كأن ندى بن جعفر قاد منهم
هدايا لم يرغ عنها ثوابا

بكسر الراء من « جعفر » فى الموضعين .

وفى (ص ١٣٤ س ١٢) :

قرمى معد كليهما
وأخوهما ليث العرين

بكسر الدال من « معد » .

وثمة أيضا ضرب آخر من الضبط ، هو صحيح ويدل على معنى . ولكن قد يكون غيره أولى منه .

من ذلك فى (ص ٢٤٨ س ٥) :

فقولا له من أصدق القول أننى
جعلتك مما رابنى الدهر مفزعا

بنصب « الدهر » على أنه ظرف للدلالة على الدوام . ولكن ! أليس رفع «الدهر» على أنه فاعل « رابنى » أولى ؟ والمعنى أنى جعلتك مفزعا لى من ريب الدهر . إذ المعروف أنه يقال ريب المنية ، وريب الزمان ، وريب الدهر ، وهى خطوبه . فاسناد الريب إلى الدهر معناه الخطب الذى يلم . أو على الأقل كان يحسن أن يضع

على « الدهر » فتحة وضمة ليشير بذلك إلى الاحتمالين .

وفى (ص ٣٦٣ س ٩ و ١٠) :

وهل عذر وسيف الدين ركنى
إذا لم أركب الخطط العظاما
وأتبع فعله فى كل أمر
وأجعل فضله أبداً إماما

برفع « أتبع » و « أجعل » على الاستئناف وقد يقال إن له معنى .

ولكن ! أليس الأولى سكونهما بالعطف على « إذا لم أركب » فيكون التقدير :

. . . .
إذا لم أركب الخطط العظاما

وإذا لم أتبع فعله فى كل أمر ، ولم أجعل فضله أبداً إماما .

وفى (ص ٣٢٢ س ٥) :

لم أرو منـه ولا شفيـ
ـت بطول خدمته غليلى

بضم همزة «أرو» ببناء الفعل للمفعول . والأولى فتحها من روى يروى ، مثل رضى يرضى ؛ إذ ليس مايدعو إلى بناء الفعل للمفعول .

وأما التعليقات فهى عمل عظيم حقا ، قد قل نظيره فيما رأيت من الكتب العربية . فقد عارض حضرة الناشر الأصول بعضها على بعض عراضا دقيقا ؛ فلم يدع شيئا جل أو دق ، ودل على معنى أو لم يدل ، فى أى نسخة من الأصول ، إلا أثبته ونبه عليه ؛ والتزم أن يثبت فى صلب الديوان ما رآه الصواب ، وإن كان وارداً فى المجموعات الضعيفة ؛ وترجم لكل ماورد من الأسماء ترجمة وافية مع الايجاز . وله بعد ذلك ملاحظات فى ثنايا التعليقات ، غاية فى الدقة والسداد .

غير أنى أراه قد أهمل أشياء قليلة كان يحسن ألا يهملها . ذلك أنه قد يكون فى بعض الأصول الضعيفة ما هو أصوب أو أوضح ، فكان عليه أن يثبته فى صلب الديوان ، كما أخذ نفسه بذلك فى سائر الديوان .

فمن ذلك فى (ص ٣٣٥ س ٦) :

تركناها ولم يتركن إلا
لأبناء العمومة والخوالى

يذكر أبو فراس نساء خصومهم بنى كلاب اللائى وقعن سبيا فى أيديهم .

أليست الرواية التى فى النسخ الأخرى أصوب وأوضح ، وهى :

تركن لنا ولم يتركن إلا
لأبنـاء العمومة والموالى

وبعده :

فلم ينهضن عن تلك الحشايا
ولم يبرزن من تلك الحجال

يذكر أبو فراس إكرامهم مثواهن ، ورعايتهم لحرمتهن .

ويبدو أن ترتيب أبيات هذه القصيدة مضطرب ، فانه ليس أمام البيتين ما يمهد لهما ؛ أو لعل فى القصيدة حذفا .

وفى (ص ٣٥٧ س ١٢) :

ومن يقاتل من تلقى القتال به
وليس يفضل عنك الخيل والبهم

فان الشطر الثانى غير واضح . ولكن فى بعض الأصول الأخرى رواية أخرى لعلها تكون واضحة بعض الشىء وهى :

وليس تقرب منك الخيل والبهم

و يكون معنى البيت على هذه الرواية : مَن ذا يجرؤ من العقلاء على مقاتلتك وأنت تهابك الخيل والبهم التى لاعقول لها ، فلا تقرب منك ؟ ! وهذا كلام قد يقوله أمثال أبى فراس .

ويلاحظ أن « البهم » ضبطت بضم الباء والهاء ؛ والصواب فتحهما . والبهم (بالتحريك ، وبفتح فسكون أيضا) : صغار الضأن والمعز والبقر .

أما الترقيم فقد أسرف فيه حضرة الناشر إسرافا كاد يشوه هذه الطبعة الأنيقة ؛ إذ كان فى عدة مواضع من الديوان فى غير مواضعه . وحسبى أن أذكر مثلا واحداً . ففى (ص ١٦ س ١٢) :

ألم تعلم ؟ ومثلك قال حقا :
بأنى كنت أتقبها شهابا !

هكذا رقم البيت . ويجب أن تكون علامة الاستفهام فى آخر الجملة الاستفهامية ، وآخرها هنا آخر البيت . ولا معنى لوضع النقطتين بعد « قال حقا » . فاذا أريد ترقيم البيت ترقيما صحيحاً كان هكذا :

ألم تعلم — ومثلك قال حقا —
بأنى كنت أتقبها شهابا ؟

وأما جدول التصويب والاستدراك فهو عمل جليل أيضا . على أن لى على بعض ما صوبه حضرة الناشر وبعض مااستدرك به ملاحظات . إذ يقول فى أول الجدول : « (يحس حوله بعطف) وصوابها (يحس حوله عطف) من غير باء الجر » .

وكتب اللغة ، كلسان العرب ، تقول : أحس بالشىء وأحسه : شعر به ؛ فتقدم التعدية بالباء .

ويقول حضرة الناشر: « (لسان ملى) صوابها (لسان ملىء) بالهمزة . »

والواقع أن كليهما صحيح ؛ إذ يجوز فيما آخره همزة وقبلها ياء أو واو ، أن تقلب الهمزة كالحرف الذى قبلها وتدغم فيه . ومن ذلك البرية ، وأصلها بريئة : فعيلة ، من برأ الله الخلق — والدنية ، وأصلها دنيئة ، من الدناءة — و « كأنه كوكب درى » فى قراءة كسر الدال ، وأصله درىء : فعيل (بكسر الفاء وتشديد العين) من درأ بمعنى دفع — ويقال فى بكيئة ، من بكؤت الناقة بكاءة ، إذا قل لبنها أو انقطع بكية . ومن ذلك قول أبى فراس :

وأخلاف أيام إذا ما انتجعتها
حلبت بكيات وهن حوافل

وقد استدرك حضرة الناشر على هذا البيت فقال : « (حلبت بكيات) صوابها (حلبت بليات) باللام ، وهى النوق التى تعقل عند قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت . »

وما فى الأصل هو الصواب ، ولا سيما أن بعدها « وهن حوافل »

وقد استدرك حضرة الناشر على قول أبى فراس (ص ٣٣ س ٦) :

بنفسى وان لم أرض نفسى لراكب
يسائل عنى كلما لاح راكب

فقال : « (نفسى لراكب) كما فى نسخة الأم ؛ ولعل صوابها (نفسىَ راكب) »

والواقع أن أبا فراس أراد أن يعبث فأطال الاعتراض . ويجب أن يرقم البيت هكذا :

بنفسى — وان لم أرض نفسى لراكب
يسائل عنى كلما لاح — راكب

أى بنفسى راكب وان لم أرض نفسى .
... الخ . ففاعل « لاح » ضمير يعود إلى « لراكب » .

أما بعد فهذه هنات لاتغض من قدر هذه الطبعة الأنيقة ، ولا تقلل من قيمتها . وحسب حضرة الناشر الفاضل أنه أتاح لنا أن تقرأ شعر أبى فراس كاملا ، فى طبع أنيق رائع ، مع تحقيق دقيق ، وفهارس شاملة . فله أجزل الشكر ، وأجمل الثناء .

عبد الرحيم محمود

STENDHAL
PRÉSENTÉ PAR MAURICE BARDÈCHE

BERNARD GUYON

موريس باردش يقدم ستندال*

ها هو ذا كتاب عظيم . إنه خير ما أتيح لنا أن نقرأ فى أعمال النقد الأدبى ، وأهمها وأكثرها فطنة . وهو يعادل فى أهميته ، بل يفوق فى عمق تحليلاته ، آثارا أدبية مثل كتاب تبوديه عن فلوبير ، وكتاب كورتييس عن بلزاك ، وكتاب شارل دى بوس عن بنجامن كونستان ، وكتاب جاك مادول عن كلودل .

هو كتاب فى النقد الأدبى ، ولكنه يقوم على قرار مكين من المعلومات العميقة للنتائج التى بلغتها الدراسات العديدة لحياة مؤلف «دير بارم» ولتاريخه الأدبى فى الخمسين سنة الأخيرة . والأستاذ باردش على علم بخير النصوص . وهو يستخدم بمهارة الملاحظات المخطوطة ، والصيغ العديدة ، وكتابات ستندال التى لم تنشر إلا منذ قليل ، فهو عليم بالأدب النقدى الضخم الذى كتب فى هذا الصدد . وهو ينقد ما قيل عن منابع هذا الروائى وعن أنماطه ، ويستخدمها استخدام العارف بها . ويضع صروف حياة ستندال فى مكانها ، ويزن بدقة أثرها فى عمله الأدبى . أى إن هذا الجامعى الممتاز الذى برز برسالته الرائعة عن بلزاك الروائى [٢] (وقد قدمها للدكتوراه منذ سبع سنوات) قد أثبت ثانية أن لا شئ يخفى عليه فى المناهج العلمية وفى الوسائل الحديثة للتاريخ الأدبى .

بيد أن هذا قليل بالقياس إلى مزاياه الأخرى ؛ إذ أن له فى نظرنا ما يفوق ذلك أهمية . وأول تلك المزايا هو اختيار جانب من جوانب الجمال لدى المؤلف . ولننظر إلى عنوان الكتاب : «ستندال الروائى» . فقد درس المؤلف (بفتح اللام) لا المؤلف كما يحدث غالبا ، أو بعبارة أدق لم يدرس

* هذا المقال كتب خاصة لمجلة «الكاتب المصرى»

(١) Maurice Bardèche, *Stendhal romancier*, aux éditions de la Table Ronde, Paris, 1947.

(٢) *Balzac romancier*, Plon, 1940.

المؤلف إلا بمقدار ما يلزم لدراسة المؤلف . وأول ما اهتم به باردش مسائل الفن والصنعة عند ستندال . ولن نستطيع أن ننفيه ما يستحق من ثناء لما قام به فى هذا الصدد . ذلك لأن هذه الجوانب هى أندر ما نلقاه فى المؤلفات السائرة ، وربما كان ذلك لمشقتها . ولكنها فى الواقع أهم الجوانب بل هى وحدها الجديرة بالدراسة . ومن الحق أن نعترف بأن الأستاذ بادرش لم يكن مجددا التجديد كله فى هذه الناحية ، فقبل كتابه ظهر كتاب غنى لجان پرفو هو رسالة دكتوراه قدمت عام ١٩٤٢ وعنوانه : «الخلق الفنى لدى ستندال» . ومن المؤسف ألا يثنى الأستاذ باردش على سلفه الثناء الكافى ، فهو لم يذكره إلا عرضا فى أحد الهوامش مع أنه قد أخرج إلى النور بعض الصفات الأساسية لفن ستندال . ولكن لنسرع بالقول : إن الكتابين مختلفان شيئا ما . فلدى الأستاذ باردش اهتمام أكثر بالأسلوب والانشاء و إحساس أقوى بشاعرية ستندال . وكتاب ج پريفو يبدو أحيانا كأنه مجموعة من البطاقات ، وضع بعضها بجوار بعض . ولهذا كانت تلك الطريقة تصويرية أكثر من اللازم ، ولكنه من ناحية أخرى غنى بالتجربة الشخصية التى قام بها المؤلف حين حل لنفسه مسائل الخلق الأدبى . والكتابان ، على العموم ، يكمل كلاهما الآخر فى انسجام تام ، وهما لمن يقرأ ستندال بعناية لا يعتبران مرجعا دراسيا بقدر ما يعدان حافزا مثيرا ودليلا ماهرا يساعد على تفسير أثر أدبى تزداد أهميته كلما ازداد المرء دراسة له .

ومزية أخرى للأستاذ باردش ، تلك هى ثقافته الواسعة : ثقافة أدبية أولا ، ثم فهم للأدب الروائى فى أوائل القرن التاسع عشر ثانيا . وهو يستخدم النتائج ، التى وصل إليها حين قام بتحقيقه الطويل عن تكون الصنعة الفنية لدى بلزاك ، خير استخدام ؛ ولهذا تراه طيلة كتابه يقوم بمقارنات مستمرة بين الروائيين العظيمين وهى مقارنات غنية لم يسبقه إليها سابق . وسنعود إليها . بيد أن ثقافة باردش لا تقتصر على الناحية الأدبية . فلكى يتكلم الكاتب عن ستندال كلاما قيما ، يجب أن يتذوق الموسيقى والتصوير ، كما فعل ستندال نفسه ، كما تجدر به أيضا دراسة تطور الفن السينمائى . ولا يخفى علينا باردش أنه كتب كتابا فى تاريخ السينما ، وكان عند ظهوره يعد عملا جديدا كل الجدة . وهو يشير فى كتابه إلى التقارب بين الفن الروائى عند ستندال وبين الفن السينمائى .

والأسلوب أيضا من المزايا الرائعة لهذا الكتاب . ولا يكفى القول أنه صحيح أنيق . فهو ملىء بالرشاقة التى تميز الآثار الأدبية الناجحة . ويبدو لى أن خير ثناء عليه هو القول بأنه ينسجم انسجاما موفقا مع أسلوب المؤلف الذى يتكلم عنه . والكتابة تسير أحيانا بقوة ودقة ووضوح وتسحر أحيانا بما فيها من تردد رشيق كما يبدو ذلك فى الصفحات الأولى . وترتفع النغمة أحيانا فتثور فيها عاطفة لا تخمد وتبدو الجملة حارة كثيفة . وأحيانا يبدو المؤلف وقد أخذه حب الكتاب الذى يتكلم عنه ، فيرتفع إلى القمم المبهمة فى الشعر ، وتلك هى الأجزاء التى أفضلها .

وذلك الحب الذى ذكرته منذ قليل ، هو أهم مزايا باردش . وهو ليس حبا أعمى ، فمن بين الصفحات التى أحب أن أذكرها ، صفحات طويلة درست فيها بدقة كبيرة سقطات ستندال ، اخفاقه فى أرمانس *Armance* وفى لاميبل *Lamiel* . هو على العكس حب مستنير . وبعض الصفحات من

الجوانب الشعرية فى «دير بارم» لا يمكن أن يكتبها إلا من يحب ستندال وآثاره الأدبية بحيث يستطيع أن يغوص إلى أعمق أعماقها .

فلا يأخذنا العجب إذن إن وجدنا فى هذا الكتاب عديدا من الآراء الصائبة والجديدة عن ستندال رغم مجيئه بعد كثير من المؤلفات عن هذا الكاتب ، ورغم أن بعضها رائع فى تأليفه . ولن أستطيع أن أسرد بالتفصيل هذه الآراء . ولكنى أود أن أذكر من بينها ما يبدو لى مهما .

لم يبلغ ستندال مجده الأدبى إلا متأخرا ، شأنه فى ذلك شأن بلزاك . كان فى حوالى الخمسين من عمره حين كتب « الأحمر والأسود » . وقبل ذلك كان يتلمس طريقه فى سبل مختلفة . وقد جعل الأستاذ باردش لكتابات ستندال المسرحية — حين كان شابا يطمع أن يصبح أكبر شاعر هزلى فى عصره — أهمية تستحقها . وقد استمر ستندال فى ذلك النوع من الكتابة وقتا طويلا وانتهى إلى إخفاق تام . ويقوم الناقد بتحليل المناهج الأصلية الثائرة ، فى وقتها ، وهى مناهج علمية خالصة سلكها مؤلف «لتلييه» *Letellier* ليصل إلى الخلق الأدبى . والناقد يحدد فى دقة الأثر الفنى لنظريات المثاليين فى أعمال ستندال الأولى . وهو يوضح خاصة ، بتحليله الدقيق ، كيف أن هذه الطريقة المؤدية إلى تفاصيل عائقة لا تجوز فى الفن المسرحى قد أدت بستندال إلى سلوك سبيل القصة . وهو يبسط لنا أيضا كيف أن هذه الطريقة العلمية التى كانت قمينة بأن تجعله واقعيا إلى أقصى حد ، قد قاومتها طبيعة ستندال الشاب ، وهى طبيعة خيالية حالمة عاطفية . وهو يلقى إلينا بهذه العبارة التى أعدها صحيحة تماما :

« ربما لم يكن هناك من هو أقوى خيالا من ستندال سوى دون كيشوت » (ص ٦٩) .

وسأعود ثانية إلى نقد ما يعده الأستاذ باردش كشفا أساسيا : وهو أثر الأزمة السياسية الفرنسية فيما بين ١٨١٤ ، ١٨١٦ فى القصة عند ستندال . ولكنى على وفاق معه فى الدور الذى لعبه اكتشافه لايطاليا وفى أثر التسامح والتأليف الشعرى اللذين أتى بهما « المثل الأعلى الايطالى » لستندال حين كتب فى الهجاء السياسى . وأنا أيضا على وفاق تام معه فى الأهمية العظمى التى يعلقها على مأساة حب ستندال لماتيلد ديمبوفسكى ؛ فقد كان من أثرها أن انطبع فى نفس ستندال مثل أعلى للحب الذى ينطوى بالضرورة على الألم الذى لا بد منه للسعادة الحقيقية .

أما من الناحية الفنية الصرفة فما أكثر ما يجدر بنا ذكره ! لنقرأ الصفحات من ١٧٠ — ١٧٣ وهى التى رصدها لدراسة أقصوصة عنوانها « الشراب السحرى » *Le Philtre* وهى أقصوصة نقل فيها ستندال أقصوصة لسكارون Scarron ولكنه وضعها فى بيئة القرن التاسع عشر . هذه الصفحات توضح إيضاحا تاما الخلق الفنى الرائع فى قصة «دير بارم» . وفى صفحات أخرى (١٨٤ وما يليها) ، وهى التى خصصها الناقد لدراسة العلاقة بين الحقيقة والخيال (فيما يختص بجوليا رنييرى Giulia Rinieri ، فانينا فانينى *Vannina Vannini* ، الأحمر *Le Rouge*) نرى النظر الثاقب الحصيف . وإنى لأعجب أيضا بتحليله للتأليف الهزلى فى قصة دير بارم ، وهو تحليل يوضحه إيضاحا موفقا بمقارنة عقدها بين هذه القصة وقصة *le Soulier de Satin* . وهناك صفحات أخرى أعدها غاية فى الأهمية هى تلك التى يعرض فيها باردش من ناحية ، إلى قلة

عناية ستندال بالأثر المسرحي (فهو يسرد قصة حياة ولا يسرد قصة الأزمة النفسية ، أى إنه يقدم لنا مذكرات ولا يعرض علينا درامة) ، ومن ناحية أخرى إلى محاولاته الدائمة للتعبير عن مشاعر أبطاله بعرض كلامهم وأفعالهم فحسب ، فالقاص يرفض أى نوع من الايضاح أو التعليق . وهناك أخيرا الصفحات التى تكلم فيها عن « لوسيان ليفين » *Lucien Leuwen* فعرض تحليلا صادقا لقصور ستندال بالقياس إلى بلزاك المصور لملامح الشعب أو المؤرخ لأحداثه . وليس ذلك فحسب لأن العاطفة القوية أو التحيز أو الأحكام السابقة تشوه نظرته وتحرمه الاتصال الحقيقى بشخصيات لا يستطيع لها حبا ، وتعوقه عن بلوغ ذلك الاشراق الذى بلغه مؤلف : الملهاة الانسانية ، *la Comédie Humaine* ، وإنما يرجع ذلك القصور إلى أن المؤلف لا يهتم « إلا بقصة القلب الانسانى » ، أو بعبارة أدق لا يهتم إلا بقصة بعض القلوب الكبيرة ، بعض الأبطال ، وبالاختصار يرجع إلى أنه قبل كل شئ : أخلاقى وشاعر .

ولكن هذا الكتاب الجميل لا يسلم من المآخذ التى لابد لى من ذكرها .

وسأستعرض سريعا بعض النقص فى المعلومات ، فالعلم التام لا وجود له . وقد ذكر خير النقاد تخصصا ى ستندال بعض الأخطاء أو النقص الذى وقع فيه باردش ولن أضيف شيئا إلى مآخذه ، وهى فى مجموعها طفيفة [1] . ولكن أحب رغم ذلك أن أشير إلى نقصين أعدهما خطيرين : أولهما يتعلق بقراءات ستندال ؛ فقد درس الأستاذ باردش ، فى رسالته عن بلزاك ، النصوص الأدبية ، التى ساعدت على التكوين العقلى أو التكوين الفنى لمؤلف الملهاة الانسانية ؛ فهو إذن خير من يعرف أهمية ذلك الأثر فى حياة الكتاب . وإنه ليذكر بعض أساتذة ستندال الروحيين مثل : كورنى ، وأريوست وتوم جونز . ولكنه يمر بهم مرورا سريعا سطحيا ولا يذكرهم بطريقة منظمة ، وهكذا لا يستطيع أن يضع بعض الحقائق وضعا مضبوطا . وأنا لا أدرى أيضا لم أهمل باردش دراسة سنوات طفولة ستندال وشبابه ، ولم مر بها مر الكرام فى الصفحتين الأولين من كتابه ؟ لو أنه وضعها فى المكان اللائق بها لاستطاع أن يقلل من أثر الأزمة السياسية لسنة ١٨١٥ . وإنى أعتقد أن رد الفعل السياسى والاجتماعى والدينى لدى ستندال لا يعود إلى بغضه للرجعية فى عام ١٨١٥ وإلى الاستبداد الأبيض La terreur blanche بقدر ما يرجع إلى كرهه فى طفولته لبعض الشخصيات المحيطة به فى أسرته وفى مجتمعه . وعداؤه لرجال الكنيسة يفسره قبل كل شئ ما عرض له من إهانات لا تنسى ، وما أصاب قلبه فى طفولته من جروح لا تشفى . وعلى العموم لا بد لفهم موقف ستندال أمام عصره من الالتجاء إلى تفسيرات أشد عمقا من ذلك ، وهى تفسيرات شبه عضوية . فقد كان لديه نوع من عدم القدرة الوراثية مما ألجأه إلى الهجاء وإلى الحلم معا . وقد سبق لأرمان هوج [2]

---

(١) Henri Martineau dans *Le Divan* : Juillet-Septembre 1947.

(٢) A. Hoog, *Littérature en Silésie* Deux études de *Compensation* Machiavel et Stendhal, Paris 1941.

أن أبان بجلاء ، فى دراسة عميقة له للأدب فى ميليزيا ، هذه الحقائق الغامضة .

ولكن أخطر نقد يثيره كتاب باردش هو إدخاله لأمور سياسية راهنة فى النقد الأدبى للماضى .

ونحن نعرف من هو موريس باردش . فقد تخرج فى نفس الدفعة التى تخرج فيها روبير برازياك من النورمال Ecole Normale ولم يكن صديقه فحسب وإنما تزوج من أخته ، وعاش أكثر سنى شبابه العاطفية فى رفقة من أصبح المحرك الأساسى لمجلة *Je suis partout* قبل الحرب وخلالها . وقبض عليهما بعد الحرب وحوكما . وقضى على روبير برازياك بالاعدام وقتل رميا بالرصاص . وأطلق سراح باردش إذ ثبت أنه برىء من أى عمل عدائى لوطنه ، ولكنه اضطر لترك الجامعة . ومعذرة لذكر هذه التفاصيل ؛ إذ أن من المهم معرفتها لفهم المشاعر التى يمكن أن تؤثر فيمن هزم وضحى به « رد الفعل » الذى قام على أنقاضه وأنقاض أعز أصدقائه فى فرنسا خلال السنتين الماضيتين . كما أنه قد أبان عن هذه المشاعر حديثا فى خطابه إلى فرانسوا مورياك (١) ولن أتكلم عنه هنا لأنى لا أود أن يكون مقالى فى النقد معرضا للمناقشة السياسية .

وأريد فقط أن أقول إنه لم يستطع أن يكتم تلك المشاعر فى دراسته النقدية . وفى الحق كان الاغراء قويا . وكان لابد من المقارنات بين موقف ستندال أو موقف أغلب أبطاله وبين موقف الناقد ، ولم تكن تلك المقارنات فى الأصل مصطنعة . ولكن الأستاذ باردش ترك مع الأسف ـ عواطفه العنيفة تفعل فعلها ، فأدت به إلى أن يسلك السبيل الممهدة له ، وزايله فى الأغلب الأعم القصد والاعتدال مما قاده إلى أخطاء خطيرة .

وأولها — وأقلها أهمية — هى مبالغته فى الدور الذى لعبته السياسة فى قصص ستندال . ومن هذه الناحية ، يخيل إلى أن بدء الفصل الأول عن دير بارم خاطىء أو على الأقل مبالغ فيه إلى أقصى حد . كما أننا يصعب علينا فهم الدافع إلى وضع كتابة فصول « بونابرت والبوربون » « والملكية وفقاً للدستور » فى كتاب رصد لدراسة ستندال الروائى . هذه الأشياء تخفى ملامح الكتاب الحقيقية وتزيف مظهره .

والخطأ الثانى : هو الأهمية الزائدة التى يعلنها باردش على حوادث ١٨١٤ — ١٨١٦ وقد سبق أن قلت إن هناك تفسيرات أخرى أعمق وأقدم وأشد اتصالا بواقع الحياة كان يمكن أن يفهم على ضوئها موقف ستندال من عصره . وإنى لأود أن أضيف لها شيخوخته المبكرة ، والاشمئزاز الذى يستشعره رجل أخفق فى حياته . وإنى مضطر أخيراً أن أذكر أن هـ . بيل (ستندال) وقف منذ صدر شبابه ، فى مؤلفه *Letellier* من نظام سياسى — سابق للملكية بعشر سنوات — موقفاً يشبه تماماً الموقف الذى سيقفه فى كتابه « الأحمر » *Le Rouge* ، وأن أذكر من ناحية أخرى أن النظام السياسى والجماعى الذى عرض لنقده فى *Lucien Leuwen* لم تعد له علاقة ما بالنظام الذى كان قد عاد إلى فرنسا فى السنوات التى تلت عودة البوربون .

ولكن هناك ما هو أخطر من هذا . فما تكاد العاطفة السياسية تبدو حتى نرى الأستاذ باردش — وهو الملىء حكمة التشبع

(١) Paris, aux éditions de la Presse Libre, 1947

العقلية النقدية طيلة كتابه — مسوقاً إلى تأكيدات لا أساس لها ولا دليل عليها . فهو يكتب — دون تردد — فى آخر تحليله لصورة فرنسا السياسية كما وردت فى *Le Rouge* : « صورة صورها لفرنسا رجل حزبى ، ولكن ما فيها من حق ، نستطيع اليوم ملاحظته ، لا يقل بياناً عن الحق الذى نلقاه لدى الشخصيات » ص ١٨٨ . وهكذا ينسى باردش القاعدة الأولى للحيطة التاريخية التى تقضى بعدم الحكم على الماضى قياساً على الحاضر . ولا ينسى ذلك فحسب ، وإنما يرمى ، بنظرته الحزبية إلى حقيقة اليوم ، أن يجعلنا نصدق نظرة حزبية إلى حقيقة الأمس ! وقد استخدم نفس الوسيلة حين عرض لكتاب *Lucien Leuwen* ، فهو يقول : « كل هذا الكلام عن انتخاب كان Caen إنما هو وثيقة ضخمة عن الأحوال السياسية عام ١٩٣٥ . كل شئ فيها صحيح ... » وإننا لنأمل بعد ذلك أن نرى أدلة تاريخية لمثل هذا التأكيد . ولكنا مع الأسف ـ لا نصادف شيئاً من هذا ، وإنما نلقى هذا فحسب — وهو قول لا أحسب أى مؤرخ جاد يرضى عنه — : « كل ذلك يتضمن نظرة جديدة بادية الصدق لحال الأقاليم ، وستبقى إحدى الوثائق الهامة عن سير نظام يوليه ، إنها صورة صادقة لطهى الانتخابات ، بقيت إلى أيامنا بادية الصدق والصواب بعد مائة عام ، رغم التحولات التى طرأت على نظمنا . » ص ٢٥٩ .

ولكن نظرته تختلف حين يحلل *l'Abbesse de Castro* . ففى هذه المرة يصور لنا ستندال صورة مليئة حماسة للماكى (المقاومة السرية) . ومن هذه المرة لا يرى باردش شيئاً من الصواب فى تلك الصورة وإنما هى خيال صرف ! « ينسى ستندال فى سبيل هذه الصورة كل ما يعرفه كانسان ويصور من يقتلون الناس فى دورهم ومن يقيمون المحاكم العسكرية ارتجالا فى صورة من ينتقمون للمضطهدين . » « هو يقبل الخيال ، ربما كان ذلك لأن الخيال السياسى فى هذه الناحية وفى هذه الناحية وحدها ، أعز عليه من الحقيقة . » ص . ٣٤٠ .

وكل هذه التأكيدات التى لا دليل عليها والتى أملتها العاطفة ، تشوه جمال هذا الكتاب الرائع . ولكنها لا تصيبه فى الصميم . ويمكننا أن نغتفرها له عن طيب خاطر . ولكنى أظن أن التفسيرات الخاطئة ، التى أملتها عليه تلك العاطفة فأدت به إلى ارتكاب أخطاء عن آثار ستندال الأدبية ، ليست مما يغفر له . فالأستاذ باردش يسخر من الصورة التى رسمها لنا ستندال فى تلك الصفحات الرائعة عن تعاون أهل ميلان مع جيش الاحتلال الفرنسى ، ويسخر بذلك الشك الذى يلقيه ستندال على الوطنيين المحتمين فى الجبال ، المركيز دل دنجو وابنه . فهل يمكن أن يرتكب باردش مثل هذه الأخطاء فيما يتعلق بمشاعر ستندال الحقيقية ؟ أليس من الواضح أن هذا الأخير كان يعتبر الجيش الفرنسى جيش إنقاذ ؟ وأنه كان يعد أهل ميلان الذين استقبلوه بحماسة وطنيين حقيقيين ، وأن أولئك الذين احتموا بالجبال واتصلوا سراً بالنمسا خونة صريحين ؟ وهكذا يزيف الحقيقة تزييفاً مزدوجاً : الحقيقة التاريخية أولا ، ذلك لأنه يبدو أن الشعور الايطالى كان حقا كما وصفه ستندال (وذلك أمر قد يقبل المناقشة) ، والحقيقة الأدبية فى كتابة ستندال . (وهذا أمر لا جدال فيه) .

وقد رأيت لزاماً على أن أبين تلك الأخطاء لدى الأستاذ باردش ؛ وليس ذلك

إلا بدافع الأمانة الفكرية ، ورغبة فى أن أضع نفسى مكانه ، لكيلا يبدو أنى أتجنب مناقشة أمر علق هو عليه بوضوح أهمية كبرى . ولكنى أرجو ألا ينقص هذا النقد الطويل الذى انسقت فيه المديح الذى وجهته إليه فى بدء هذا المقال . والخطأ فى الواقع أقل مما كان يريده المؤلف نفسه . وفى الكتاب بعد ذلك حقائق جديدة نفاذة ، حتى لنستطيع أن نؤيد عن طيب خاطر الحكم الذى أصدر عليه إميل هنريو [1] « إنه كتاب يجدد تفسير الكاتب العظيم تجديدا تاما . وهو لو وزن فى مجموعه لبدا لى تحفة أدبية فى النقد وفى تاريخ الأدب » .

برنار جوبوه

نقلها عن الفرنسية محمد كامل فوده

---

(١) Dans *Le Monde*

من وراء البحار

بولونيا وحكومتها الحاضرة

يعلم المتتبعون للتغيرات السياسية فى أوربا أن الحكومة البولونية الآن هى من أتباع السياسة الروسية ، ويعلمون كذلك أن هنالك حكومة بولونية ظلت قائمة فى منفاها بلندن طوال مدة الحرب . وكان الحلفاء يعترفون بها ، وظلت انجلترا تؤيد هذه الحكومة إلى أن أرغمت فى مؤتمر يلتا على أن تعدل عن الاعتراف بها وتسحب منها تأييدها . ولقد أراد رئيس الوزارة البولونية فى لندن بعد موت الجنرال سيكورسك ، وهو مسيو ستانسلاف ميكولاجك ، أن يوفق بين الحكومتين ويمنع الشقاق ، فذهب إلى موسكو فى مايو سنة ١٩٤٥ ، واشترك فى الحكومة البولونية المؤقتة التى كانت تتبع سياسة روسيا ؛ ولكنه بعد أن أمضى سنتين فى بلاده عاد ففر منها إلى لندن فى نوفمبر الماضى .

وقد كتبت السيدة فريدة بروس لوكهارت ، وهى محررة فى مجلة « تايم اندتايد » ، ومختصة بالأمور الاسكندنافية والبولونية ، فصلا فى « مجلة القرن التاسع عشر » (عدد يناير) تكلمت فيه عن مقابلة لها مع مسيو ميكولاجك . وفى هذه المقابلة اطلعت منه على أمور كثيرة عن الأحوال فى بولونيا .

وقد ذكرت الكاتبة أنها رأته من قبل فى خريف سنة ١٩٤٦ بمدينة فرسوفيا . وكان لا يزال وزيراً فى الحكومة التى فر منها الآن ، وهى تقول : إنه كان عندئذ يشعر بعبء المسئولية للآمال التى عقدها عليه مواطنوه ، ولكنه كان أيضا يتحمل هذا العبء بسرور يساعده فى ذلك شعوره بثقة مواطنيه به . ولقد كان يعرف وتتئذ دخائل الأمور إذ رأى أنصاره يقبض عليهم أثناء الانتخاب ، ويعرف معنى الحرية كما يفهمها الشيوعيون ، ومع ذلك كان كبير الاعتقاد بسياسته ، ويرى فى وجوده ببلاده ضمانا للمعارضة السلمية النزيهة .

ولكنه فى هذه المرة عندما رأته الكاتبة فى لندن ، حين فر من بولونيا تاركا كل شىء غير الملابس التى كان يرتديها ، كان قد عراه تغير كبير ، فبدت الغضون فى وجهه ، وكان يتكلم فى حذر ويزن كل كلمة وقد زايلته الثقة وحل محلها نوع من الحيرة ، شأن من يرى آماله قد انهارت .

وقد شرح للكاتبة تسلط الشيوعيين على الحكومة فقال : إن أهم الوزارات فى يد الشيوعيين ؛ فالشرطة والجيش والاقتصاد والتربية فى أيديهم ، ورئيس الوزارة اشتراكى ، ولكن هنالك شخصا تابعا له بالاسم ، وهو مدير المناطق الغربية التى ضمت إلى بولونيا ، وهو أقوى منه فعلا وهو شيوعى . ووزير العدل اشتراكى كذلك ، ولكن المحاكم التابعة له لاتنظر فى غير الجرائم العادية ، أما أية تهمة سياسية فتحول إلى المحاكم العسكرية . ففى كل وزارة لايكون وزيرها شيوعيا لابد أن يكون الوكيل شيوعيا . والخبراء ليسوا من الشيوعيين ولكنهم يقعون تحت رقابة الشيوعية . وكل

قسم من أقسام الحكومة يكون من اختصاصه تعيين الموظفين لابد أن يكون رئيسه شيوعيا .

ومن الطبيعي أن الضمانات التي نص عليها في مؤتمر يلتا ليست إلا حبراً على الورق .

وذكر مسيو ميكولاجك أن الناس في بولونيا لا يتحاشون الحديث في الترام والأماكن العامة خشية العواقب مع أن الأمر في أيام الاحتلال الألماني نفسه كان يخالف هذه الحال كل المخالفة ، وكان البولوني يستطيع أن يعبر عن رأيه علنا وفي صراحة تامة دون أن يخشى سوءاً ، أما الآن فان جواسيس الشيوعيين في كل مكان .

ومما أسف له مسيو ميكولاجك أشد الأسف هو تأثير التربية الشيوعية . ففي المدارس الثانوية وفي امتحان القبول إلى الجامعة لاينجح الطالب إلا إذا تحقق مندوب اجتماعي من أنه يعتنق مبادئ الديمقراطية الشعبية الصحيحة .

وقد أخذ الشيوعيون يقوون مركزهم في البلاد في حين يعملون للقضاء على حزب الفلاحين البولوني الذي يرأسه ميكولاجك، فبدأت الصحف الموالية للشيوعيين تحمل عليه حملات شديدة ، وقبض على زعماء الحزب ورجال صحافته ، وكانت مكاتبه تفتش وتغلق ، وكان الضغط يتوالى على الأعضاء كي يخرجوا من الحزب . وقد حدث لأحد موظفي الحزب أن دعي للتحقيق في ستة وعشرين يوما من أيام الشهر .

ويقول مسيو ميكولاجك إنه خشي أن يلجأ أنصاره إلى الانتقام وأن تراق الدماء، فرأى من الخير أن يفر من البلاد . وقد صحبه صديقان من أهم أنصاره مع زوجتيهما فوصلا معه إلى لندن وتابعا السفر إلى الولايات المتحدة .

وأعرب الزعيم البولوني عن خيبة أمله في البريطانيين ، وقال إنه لم يكن ينتظر أن يفعلوا شيئا فيما يتعلق بالحكومة ، ولكنه كان ينتظر ألا يهتم البريطانيون فيسرعوا بمباركة هذه الحكومة . فمن العجيب أن حكومة لندن أسرعت فدعت رجالا من أمثال باركوفسكي وهو الرجل المسئول عن تزوير الاستفتاء ومشاجن وزير العدل .

وقال إن البولونيين يقارنون بين ماتبديه أمريكا في إذاعاتها من صراحة لمعارضة الشيوعية ، وما تبديه بريطانيا في إذاعاتها من مجاملة ومداهنة للحكومة البولونية القائمة .

وهو يقول إنه لم يبق في بولونيا أي حزب يستطيع أن ينافس الشيوعيين في تسلطهم على البلاد ، وإن السجون مليئة بأولئك الذين أيدوا المعارضة الشرعية للشيوعيين . وهو يرى أن البولونيين في يأس من مجرى الأمور ، وأنهم ليسوا مسئولين عن الحالة التي وصلوا إليها ، بل الدول التي فرطت في اتفاقات يلتا هي المسئولة عنها .

شكسبير واستكشافات عن حياته

في مقال بقلم فلوريس دلاتر نشر في مجلة « اللغات الحديثة » وهي التي تصدر في فرنسا (عدد ٦ من السنة الحادية والأربعين للمجلة) عرض لمجهود مدام لونجورث — شمبران في استجلاء الأسرار التي تدور حول شخصية شكسبير شاعر الانجليز

العظيم . ومن المعروف أن مدام دى شمبران تعد من أكبر الباحثين فى أمر هذا الشاعر وقد وقفت حياتها ومالها على الالمام بكل ما يزيدنا معرفة بذلك الرجل العظيم الذى أخرج تلك المسرحيات الخالدة، وقد نشرت عدة كتب وبحوث فى هذا الموضوع ولا تزال توالى ابحاثها ، وكان من نتيجة هذا الدأب أن وفقت لمعلومات كبيرة أضاءت تلك الحياة الغامضة .

وهى فى كتابها الأخير المسمى « العودة إلى استكشاف شكسبير » عمدت أولا إلى تحقيق الوقائع القليلة التى كانت معروفة عن حياته ، ثم نقبت فى محتويات المحفوظات العامة والخاصة ، فجمعت طائفة كبيرة من الوثائق من مكتبات القصور القديمة ودرستها ، كما جمعت مجموعة من المؤلفات النادرة والوثائق التى تلقى ضوءاً على القرن السادس عشر الذى عاش فيه هذا الشاعر . فهى الآن تمتلك نسخة من كتاب حوليات انجلترا واسكتلندة وايرلندة جمعها ورتبها رفائيل هولنشد ، وهذا الكتاب مطبوع فى سنة ١٥٨٠ . والأهم من ذلك انها تمتلك النسخة التى كانت لشكسبير نفسه وعليها ملاحظات بخطه كتبها بلا ريب فى الزمن الذى كان ينظم فيه مسرحياته التاريخية مقتبسا موضوعاته من هذا الكتاب التاريخى الثمين .

وقد استطاعت مدام دى شمبران ، بعد أن تسلحت بهذه الوثائق الكثيرة ، من أن ترسم صورة واضحة لحياة الشاعر منذ شبابه فى بلدة ستراتفورد ثم انتقاله مرغما إلى لندن ، ثم اتصاله بحياة تلك الفئة من الشبان التى تملؤها المطامع ولم توفق بعد للعمل، وهى تجد لذتها فى حانات المدينة . ثم وصفت كيف تمكن من الاتصال بالهيئة الاجتماعية وصار صديقا للورد أوفساوثمبتون ابن عم اللورد اسكسن صاحب الحظوة لدى الملكة اليزابث . وكان هذا اللورد الشاب محبا للمسرح ، وهو الذى أدخل شكسبير إلى القصر الملكى . وهكذا وجد شكسبير طريقه ممثلا ومعدلا للمسرحيات القديمة ، ثم واضعاً للمناظر ومديراً للمسرح . وأخيراً مؤلفا مسرحياً ، وهى المهنة التى تركها عامداً وهو فى أوج نجاحه ليعود إلى بلدته ، بعد أن جمع من المال ما يكفيه فى حياته .

وهكذا استطاعت المؤلفة بمباحثها الكبيرة أن ترسم صورة لذلك الرجل من بلدة ستراتفورد الذى ينتمى إلى أسرة كاثوليكية وكيف وجد معينا فى اللورد ساوثمبتون الذى ترى تربية كاثوليكية وبذلك استطاع أن يزيد من ثقافته الريفية . وعند اللورد تعرف إلى جوفانى فلوريو وتلقن منه ما كان لدى الايطاليين وتتذ من ثقافة عليا مع مرونة وخبرة ، وكيف اتصل بالسادة من شباب الانجليز ، فأخذ يترك عاداته القروية ، وظهرت مواهبه العظيمة بوصفه شاعرا ليس له نظير . وقد جمعت مدام دى شمبران مئات من الاشارات إليه فى مكاتبات معاصريه ، وكلها تثبت صحة الصورة التى أرادت أن ترسمها له ، وتدل على أنه كان رجلا محبوبا مقدراً من معاصريه وأن شعره حين وفاته فى سنة ١٦١٦ كان معروفا ومشهوراً بين الناس ، وكانت الأمة الانجليزية تعده مفخرة لها .

ولم تكتف مدام دى شمبران بذلك بل عمدت إلى رسم صورة سريعة وقوية ومدعومة بالوثائق للعصر الذى كان يعيش فيه الشاعر .

على أنها فى حماستها لاستجلاء حياة هذا الشاعر الكبير ، قد أهملت البحث فيما يتصل بنقد رواياته ، وهى الابحاث التى

قام بها كثير من الأدباء المختصين ، ومنهم بولارد وجريج ودوفر ولسن ، وهم الذين عمدوا إلى تحليل مؤلفات الشاعر وبحثها من الوجهة النفسية ، وهى إذا تكلمت عن هذه المؤلفات رجعت إلى الباحثين القدماء واعتمدت عليهم .

فهى إذا كانت فى مجال النقد الأدبى لم تأت بجديد ، فقد أضافت فى وصف حياة الشاعر إضافات كثيرة جلت حياة ذلك الرجل العظيم حتى تبددت أستار الأسرار التى كانت تحيط بهذه الحياة .

وهى فضلا عن ذلك قد قضت قضاء مبرما على تلك الخرافة التى أخذ يرددها أدباء انجليز وبلجيكيون وفرنسيون مرة أخرى ؛ إذ يزعمون أن هذه المسرحيات العظيمة لا يمكن أن تكون لكاتب من عامة الشعب مثل شكسبير ، ويعزونها إلى عظيم من عظماء الكتاب من أمثال لورد بيكون وسير فيليب سدنى وسير والتر رالى وغيرهم. فهى بقوة وثائقها وبكثرة هذه الوثائق لم تترك مجالا لهؤلاء الضاربين فى عالم الخيالات والباحثين عن الجديد ولو كان غير الحقيقة.

الفوضى السياسية الأوربية

عقدت مجلة «ناشنال ريفيو» ، وهى من أهم مجلات المحافظين الانجليز ، مقالا افتتاحيا فى عدد يناير لمناسبة إخفاق مؤتمر لندن الذى عقد للاتفاق على معاهدة الصلح الألمانية. ومما جاء فى هذا المقال قولها إن العالم فى هذه الفترة من تاريخ حياته الطويلة يعيش فى وقت يبدو فيه أن عناصره تعود إلى الفوضى الأولى والظلام القديم الذى كان منشأ العالم . فلم يعد الناس يتبينون الليل من النهار ، أو يحسون ثبات الأرض تحت أقدامهم . فكل ما حولهم فوضى وعدم نظام وقد أدى عدم الاستقرار فيما حولهم إلى شل حركتهم . فالناس لا يعرفون مجرى الأمور . والعبارات التى ألفوا سماعها مثل القول بأن الناس ولدوا أحرارا وأنه يجب إلغاء الملكية والقوانين لكى يتمتع الناس بالسعادة ، هذه العبارات أصبحت لا معنى لها ومع ذلك فقد قامت ثورتان فى سبيل الدفاع عن المبدأين اللذين تنطوى عليهما هاتان العباراتان ، فكانت الثورة الفرنسية الكبرى للدفاع عن المبدأ الأول وها نحن أولاء نعيش ونرى ثورة الماركسيين فى سبيل الدفاع عن المبدأ الثانى . ومع ذلك — فى رأى المجلة — فقد ثبت أن نظريات ماركس خاطئة ، ومن ميزات رجال الثورة الحديثين أنهم يستعملون الألفاظ فى غير مدلولها ، فيطلقون اسم الديمقراطية على العبودية للدولة ، ومن غريب أمر هؤلاء الرجال أنهم لا يشعرون بما فى أقوالهم وأفعالهم من تناقض ، كالصيحة التى يصيح بها الاشتراكيون من الانجليز مطالبين باعتقال سير أوزويلد موزلى الذى يطالب بالفاشية مع أنهم يؤيدون فى حماسة ذلك النوع الآخر من الفاشية الذى يعرف بالاشتراكية . والعجيب فى الأمر أن كلا من الفاشيين والماركسيين يريدون العودة إلى نظام الاستعباد . فبعد أن ظل الناس يسيرون عدة قرون نحو الحرية الشخصية نرى جماعتين كلتاهما دولية وقائمة فى جميع الدول الأوربية تقريبا . وهاتان الجماعتان تطالبان بفرض الاستعباد مرة ثانية ، ولا يفتح أعينهم ما تحدثه الشيوعية فى شرق أوربا فتجد فى فرنسا مئات من الفرنسيين يقاتلون فى سبيل

تنفيذ أغراض روسيا بالقضاء على حريتهم، وهذا مثل من أمثلة الجنون الذى تبتلى به الجماهير أحيانا وإن كان ابتلاؤها به نادراً .

لقد انعقد مؤتمر لندن فى ٢٥ نوفمبر وبدا الخلاف بين أعضائه لأول وهلة ، وظهر فى التوكيف تهب الرياح الباردة من الشرق. ولم تؤد الجلسات التى عقدها الوزراء إلى تدفئة الجو ؛ فقد أراد مسيو مولوتوف أن يبدأ بمناقشة الاجراءات لاعداد معاهدة الصلح الألمانية ، وأبدى الوزراء الآخرون أن الاجراءات تتوقف على الاتفاق أولا على الموضوع ، وأنهم على كل حال يريدون البدء بوضع المعاهدة النمساوية. وعندما ثبت مسيو مولوتوف على موقفه كما هى عادته تراجع الوزراء الآخرون — كما كان ينتظر الروس بلا شك — لكى يجتنبوا إخفاق المؤتمر منذ البداية. وحينئذ أخذ مولوتوف يلقى الخطب التى أعدها لآذان الألمان خاصة . وكانت نظريته تمثل الحكومة السوفيتية بأنها ملحة فى إبرام الصلح سريعا وراغبة فى تأليف حكومة ديمقراطية لألمانيا بأسرها، وأنها بوجه عام تقاتل فى خبايا اللصوص وحيدة من أجل إقامة سلم « ديمقراطى » . وكان من الطبيعى أن يكون الخلاف بين الوزراء كبيرا. وما قاله مولوتوف لتغطية أغراضه لم يخف من طبيعتها ؛ فقد رفض مولوتوف فى المسألة الأولى ذات الأهمية وهى مسألة الأموال الألمانية فى النمسا حتى أن يعرب عن رغباته مما جعل من المستحيل الاتفاق على معاهدة الصلح مع النمسا وفى المسائل الاقتصادية التى كان يجب تسويتها قبل الاتفاق على معاهدة الصلح الألمانية . أصر المندوب الروسى على خطة موسكو ، فطالب بتعويضات تبلغ عشرة آلاف مليون دولار . وعاد مولوتوف إلى ربط مسألة التعويضات بمسألة الوحدة الألمانية ، ولم يظهر أى ميل نحو فهم وجهة نظر الدول الغربية فيما يتعلق بالمسائل الكبرى التى تعرض فى مؤتمر لندن .

وفضلا عن ذلك عمد مولوتوف ، كما فعل من قبل ، إلى طريقة الدبلوماسية السوفيتية بأن أخذ يكيل الاتهامات الكاذبة ويعلن البيانات المثيرة متهما الحلفاء الغربيين .وعلى ذلك لم يتم شئ نحو الوصول إلى معاهدة صلح عامة ، وصار من واجب الحلفاء الغربيين أن يتخذوا إجراءاتهم . وقد يذكر بهذه المناسبة أن الولايات المتحدة فى الحرب العظمى الأولى لم توقع معاهدة فرسايل التى اشترك فى المفاوضة فيها الرئيس ولسون وتركت المولود تحمله انجلترا وفرنسا وحدهما ، وليس من جديد تحت الشمس . ويجب ألا يخامرنا العجب إذا رأينا التحالف الحربى ينتهى عند بدء الصلح ، ولا إذا انقسمت ألمانيا قسمين ؛ فان ذلك ليس فيه على كل حال ما يسوء بقية أوربا .

ظهر حديثا

تربية سلامه موسى للأستاذ سلامه موسى (دار الكاتب المصرى)

هذا الكتاب هو ترجمة حياة الكاتب المصرى والباحث الاجتماعى الأستاذ سلامه موسى بقلم نفسه . وترجمة الحياة التى يكتبها الكاتب لنفسه ، فن غير مألوف كثيراً بين الكتابات فى الأدب العربى الحديث وإن كان الأدب العربى القديم يحتوى على درر قليلة منه . ولكنه فن مألوف وواسع الانتشار فى الآداب الغربية ؛ فهو فى بعض الأحيان يبلغ فى يد الكاتب مبلغ القصص ، وفى بعض الأحيان يكون صورة للحياة الاجتماعية فى عصره ، وفى بعض الأحيان يكون حديثاً معاداً يتلهى به القراء ، وهو فى كل هذه الأحوال يكون عبرة وموعظة .

وهذا الكتاب الذى بين يدينا يجمع مزايا الأنواع جميعها : ففيه القصص ، وفيه صورة لحياة العصر الذى نشأ فيه الأديب ، وفيه من الحديث ما يتلهى به القارئ .
ولئن أراد الأستاذ سلامه موسى أن يقصره على تربيته ، كما قد يفهم من عنوانه ، فانه لم يوفق فى حصر الموضوع ، ونستطيع أن نقول إنه لم يوفق فى اختيار العنوان ؛ فان الكتاب أشمل وأكبر من أن يكون وصفاً لتربية الأستاذ سلامه موسى وحدها . وإذا كان الأستاذ سلامه موسى يحب أن يرى أن سيرته هى أولا وآخراً تربيته ، فان القارئ قد لا يرى ذلك بل سيرى ما هو أبعد وأعمق من ذلك فى هذا الكتاب .
فالأستاذ سلامه موسى ، كما يعلم المتتبعون لكتبه منذ سنوات طويلة ، هو كاتب فذ له صفاته الخاصة ، وله رسالته الخاصة التى يدعو اليها ، فهو قد سلك فى آرائه مسلكا كان منفرداً به عندما بدأ يظهر آراءه فى كتبه ، ولا يزال منفرداً به فى كتبه الأخيرة .

فما هو طابع سلامه موسى فى آرائه ؟ طابعه فى رأيى ، وقد أكون مخطئاً ، أنه يسبق الفكر الشرقى إلى الآراء الأوربية . فهو قد نادى فى كتبه بآراء اجتماعية جديدة ، حين كانت الأمة المصرية لا تلتفت ولا تهتم إلا للأدب القديم ، وشئ من الأدب الحديث البعيد عن الاصلاحات الاجتماعية . وقد لفت الأنظار إلى التقدم الحديث فى ميدان العلم ، فى زمن كان فيه الناس فى الشرق يتمتعون بميزات العلم ولكنهم لا يفكرون فيه ، ولا يخطر لهم أن يقرءوا عنه ، وأن يقفوا على سر الغرائب التى كانت تغير من حياة العالم فى أوربا . وهو كاتب قد بحث فى خلجات النفس وأسرارها ومكنوناتها ، وأظهر الناس على ذلك فى كتبه فى زمن كان الشرق لا يهتم بهذه الأبحاث ولا يفهمها . وهو كاتب قد فصل للناس القيم المادية فى زمن كان الشرق فيه يركن إلى الخمول ، ويزعم أن هذا الخمول نزعة روحانية . فسلامه موسى إذن هو الكاتب الذى كان رائد الشرق فى هذه الميادين ، وهو الذى وطأ للشرق هذه البحوث التى كان الغربيون يكتبون فيها و يتكلمون .

وإذا أردنا أن نجد مأخذ فى كتابات سلامه موسى ومجهوداته فذلك المأخذ هو تحمسه البالغ للآراء الجديدة التى يريد أن يبثها . وكان من أثر هذا التحمس أن سلامه موسى كان دائماً وما يزال كاتباً كبير التأثير فى الشباب ؛ لأن هذه الحماسة تجذب ما فى نفوس الشباب من حماسة طبيعية . ولكن هذه الحماسة هى أيضاً من مزاياه ، لأن الحماسة عند الشباب قد تدفع للوقوع فى الخطأ ، لكن حماسة سلامه موسى فى كتاباته أيام شبابه كانت مقرونة بالدقة ، وفى أيام شيخوخته زادت دقتها . فالتأثير الذى يحدثه سلامه موسى فى قرائه من الشباب تأثير كبير النفع ، قد يدفع الكثيرين من قرائه إلى طرق من الحياة والبحث لم يكونوا يفكرون فيها قبل قراءته . وقد عرفت أكثر من شاب باح لى بأنه ابتدأ اتجاهه الفكرى بأحد كتب سلامه موسى ، فكتابه هذا أو ذاك هو الذى أثر فى مجرى حياته .

والآن يريد الأستاذ سلامه موسى أن يطلعنا على سر هذه الحياة بأن يقص علينا قصته ، أوكما هو يريد أن يقول أن يقص علينا تربيته . وهو يستعمل كلمة التربية فى معنى واسع ؛ فهو يقول فى مقدمة كتابه هذا فى لغته السهلة النيرة : « وحين يكتب أحدنا سيرته ، ويخلص بقدر ما تتيح له ظروفه ، يعرض ، من حيث لا يقصد ، للعوامل التى كونت شخصيته وربته . لأننا لا نتربى فى المدارس فقط ، إذ تربينا أيضاً العائلة التى نشأنا فى أحضانها الناعمة أو بين أشواكها لخشنة . كما يربينا الشارع الذى اختلطنا بأبنائه ، ثم بعد ذلك أى بعد العائلة والمدارس ، نعيش نحو خمسين أو ستين سنة ونحن نتربى بالصحف التى نقرأ كل صباح ، وبالكتب التى نستنير بها . ثم بالعمل الذى نرتزق به . لأن هذا العمل ، بما فيه من حقوق وواجبات ، يكلفنا تكاليف مختلفة ، ويحملنا على الاختلاط والتعرف إلى الشخصيات البارزة التى كان لها أثر التوجيه الحسن أو السيئ فى المجتمع . كما أن تتابع الحوادث وتغير الدنيا بالمخترعات الآلية أو الكيميائية ، ثم اختباراتنا ومحننا كل هذا له أثر التكوين والتربية . »

ولكننا فى الحقيقة لانقره على هذا القول بأكمله ، فنحن نرى فيه جزءاً من الصواب ، ولكننا لا نرى فيه كل الصواب . فانا لنجد الكثيرين من الناس يتلقون التربية التى تلقاها سلامه موسى ، ويقرأون الصحف والمجلات التى قرأها سلامه موسى ، وتمر عليهم الحوادث التى مرت عليه ، فلا يزيدهم ذلك خبرة ولا تيقظاً . فنحن إذ نقرأ هذا الكتاب نقرأه فى لذة وتعجب كأننا نقرأ قصة . ذلك لأننا نقرأ قصة رجل فذ له عقل فذ يتحول بالأمور العادية عن سيرها ، ويحاول أن يستخلص منها الحقائق ، ويصل إلى أصول الأشياء ، ويسبق إلى ما فيه خير بلاده وخير الانسانية . وليس العقل الذى يخضع للحوادث بقدر ما يحب سلامه موسى أن يفهمنا بهذا النوع من العقل الذى يرسمه سلامه موسى فى كتابه . فنحن إذن أمام سيرة لكاتب سيبقى له أثر كبير فى الحياة الفكرية فى الشرق ، وسيستفيد الشرق طويلا من آرائه واتجاهاته .

الضحك لهنرى برجسون نقله إلى العربية الأستاذان سامى الدروبى وعبد الله عبد الدايم (دار الكاتب المصرى)

ليست بنا من حاجة إلى تقدمة هنرى برجسون الفيلسوف الفرنسى العظيم الذى صار له أثر كبير ومكانة فى البحوث الفلسفية الحاضرة . فهو يعد من أكبر الفلاسفة المعاصرين لهذا الزمن . وهو الفيلسوف الذى استطاع أن يسترعى الانظار فى فرنسا إلى الفلسفة ، فتقاطر التلاميذ كما تقاطر المفكرون ليصغوا إلى محاضراته . وهو الفيلسوف الذى تجد فى كتبه الفلسفية وفى بريق أسلوبه وفى وضوحه ما جعل من الكتابة الفلسفية أدبا .

وقد أرادت دار الكاتب المصرى أن تخرج كتابه فى « الضحك » ، وهو كتاب احتل مركزاً كبيراً فى الفلسفة والأدب ، وصار من أسهات الكتب التى يرجع إليها . وأحبت الدار أن يكون نقل هذا الكتاب متقنا ، فعهدت فى ذلك إلى شابين هما الأستاذان سامى الدروبى وعبد الله عبد الدايم ، فاستطاعا أن يخرجا هذا الكتاب الفرنسى القيم فى ثوب عربى كامل ، بحيث لايفوت قارئ النسخة العربية أى شىء مما يتمتع به القارئ باللغة الفرنسية .

وبذلك كسبت المكتبة العربية سفراً هاما يستفيد منه دارسو الفلسفة كما يستفيد منه رجال الأدب .

عطر ودخان للاستاذ محمود تيمور بك (مطبعة دار الهلال)

أخرجت دار الهلال طبعة ثانية فريدة لهذا الكتاب من مؤلفات محمود تيمور بك الكاتب المصرى الكبير والقصصى البارع . وهو مجموعة مقالات جمعت فى طبعة أنيقة ، تميزت بجمال صورتها وإتقان طبعها ، وهى طبعة جديرة بفن الأستاذ محمود تيمور ككاتب وأديب .

وهذه المجموعة هى عبارة عن مقالات وصور ، تعرض فيها الأستاذ لعدة موضوعات تمثل الاتجاهات الفكرية فى حياتنا العامة . فمن المقالات التى نرى الاشارة إليها مقال عن الرجعية الجيدة . وفيه أراد تيمور بك أن يثبت أنه قد يكون فى الرجعية جانب من الخير . ففيها المحافظة على القديم والمحافظة على التقاليد . فهو يدعو إلى عدم الفصل بين الماضى والحاضر ، والاحتفاظ للأمة بطابعها المستقل وسماتها التى ظلت لها على مر العصور .

ومن الصور الطريفة صورته التى أسماها « سياسة العصا » وهى قصة أظهر فيها ما عرف عن الكاتب من مقدرة فى فن القصة .

وذلك المقال القصير الطريف الذى اتخذ شكل رسالة بعنوان « ساعة لقلبك وساعة لربك » وتلك الآراء العديدة عن المرأة فى مقالات عدة . كل هذه يقرأ فى لذة كأنه قصة ، ويقرأ فى اهتمام لأنه يثير التفكير لدى القارىء .

وهكذا يتنقل القارئ من زهرة إلى زهرة فى هذه المجموعة الطريفة وهو بين المتعة والفائدة فلا يستطيع أن يترك الكتاب حتى يأتى على آخره .

كأس الحياة للأستاذ ابراهيم المصرى (دار المعارف)

لقد صار الأستاذ ابراهيم المصرى فى طليعة أدبائنا الذين نبغوا فى فن القصة . ولقد عالج ابراهيم المصرى جميع ألوان الأدب فى كتبه العديدة . وأظهر تفوقا فى هذه الألوان . كتب نقداً فكان موفقا ، وألف للمسرح فكان موفقا ، ولكن بروزه الظاهر هو فى هذا الفن الحديث الذى يبدو للناس على أنه أسهل الأعمال الأدبية ، ولكنه فى الحقيقة من أصعبها إن لم يكن أصعبها .

فاذا كان الشعر مقيد بقيود تفرض على الأديب أن يتبعها ويحذقها حتى يعد من الشعراء ، فان فن القصة تقوم الصعوبة فيه على عدم وجود هذه القيود . فالكاتب القصصى حر فى طريقة تناول موضوعه ، وهو حر فى الاسترسال فى موضوعه ، وحر فى صياغة العبارة صياغة تجعلها من اللغة الرفيعة الكثيرة الصنعة ، أو إطلاق اللغة على سجيتها بحيث تكون سهلة بسيطة ، أو إدخال عبارات تكاد تكون عامية بحيث لا يحتاج فهمها إلى مجهود .

وويل للأديب القصصى إذا ظن أن هذه الحرية مطلقة ، فما هذه الحرية إلا شرك نصب له قد يؤدى به إلى الاخفاق .

فالقصة تقوم فى الحقيقة على الاتزان والقصد فى استعمال هذه الحرية ؛ فاذا حذق القصاص ذلك بلغ المرتبة الفنية التى يجب عليه أن يبلغها ، وإلا أخفق فى عمله وفنه .

فهذا الاتزان الذى يملى عليه ، بعد اختيار موضوعه ، كيف يبتدئ وكيف يسير فى سرد حوادثه ، وكيف يختم قصته وما يجب أن يرويه ويطيل فيه ، وما يجب أن يقتصد فى روايته ، وما يجب أن يهمله أو يخفيه ، كل ذلك يتطلب روحا خاصة ومهارة خاصة تكاد تكون موهبة لبعض الكتاب .

والأستاذ ابراهيم المصرى أحد الكتاب المصريين الذين أوتوا هذه الموهبة .

والمجموعة التى بين أيدينا الآن ، وهى التى أسماها كأس الحياة ، تدل دلالة واضحة على نبوغه فى القصة ، بحيث صار له ركن ثابت فى تاريخ الأدب المعاصر .

وقد أسمى هذه المجموعة «كأس الحياة»، مقتبسا هذه التسمية من عبارة طريقة لطاغور الشاعر الهندى حين قال : «ماشربت كأس الحياة مترعة إلا فى دنيا القصص . »

ولست أريد أن أعرض لما فى هذه المجموعة من قصص بديعة ، وليس من المستحب أن أروى ما أعجبنى منها إذ الحديث فى ذلك يطول ، فهذه القصص التحليلية تمثل حياة العواطف بمختلف أنواعها وضروبها ، لاسيما تلك العاطفة الكبرى المسيطرة على الحياة : عاطفة الحب التى اشترك فيها الرجل والمرأة . وهذه موضوعات استجلى الأستاذ ابراهيم المصرى خفاياها ومكنوناتها ، ووقف على سرها بعقله الثاقب وقوة الملاحظة وسعة الاطلاع ، كما عرف كيف يروض قلمه العربى حتى ليرسمها كما يرسم المصور بريشته .

ألمع ساعات الحرج فى تاريخ الانسانية للأستاذ محمد مفيد الشوباشي (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)

هذا الكتاب وضعه أديب من أمتن الأدباء وأكثرهم اطلاعاً، وإن لم يكن قد بلغ الشهرة التى يستحقها باطلاعه وبآثاره. فالأستاذ مفيد الشوباشي شاعر من الشعراء القديرين وهو معروف فى أوساط الشعراء، وإن لم يجمع هذا الشعر فيما نذكر فى ديوان وهو قصصى بارع من الطبقة الأولى. وهو كاتب اجتماعى، وله اطلاع واسع فى التاريخ.

وليست المجموعة التى أخرجها اليوم للقراء إلا شيئاً ضئيلا جداً بالنسبة لما نشرته له المجلات الأدبية فى الزمن القريب والبعيد. ولكن فى هذه المجموعة من المقالات ما يمكن أن يكون دليلا، لمن لم يسبق له معرفة الأديب، على حسن أسلوبه وجمال تعبيره وتصويره، كما يدل على اطلاع واسع وخيال خصيب.

فهو قد اختار فى أكثر مقالات هذه المجموعة حوادث هامة فى تاريخ الانسانية، ورسم لها صورة مفصلة وبارعة حقا، تدل براعة الأديب وبراعة المؤرخ.

فصورة مثل الصورة الذى رسمها لكيلوباتره، ووصف مثل وصفه لسقوط القسطنطينية فى أيدى العثمانيين، وسرد لكفاح بعثة سكوت فى طريقها إلى القطب الجنوبى وهى أمثلة من صور عديدة، تدل على أهمية الموضوعات الانسانية التى عالجها الأستاذ مفيد الشوباشي فى هذا الكتاب، وهى تترك بلا ريب أثرا فى نفوس القارئين ليس من المستطاع أن يمحى فى سهولة.

الحكم المصرى فى السودان للدكتور محمد فؤاد شكرى (دار الفكر العربى)

وضع الدكتور محمد فؤاد شكرى، أستاذ التاريخ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، هذا الكتاب فى موضوع حيوى لدى المصريين قاطبة لأنه موضوع يمت إلى السودان.

فهو يتناول وصف الحكم المصرى فى السودان فى الزمن الحديث أى من سنة ١٨٢٠ إلى سنة ١٨٨٥.

ونريد أن نقول إن المؤلف لم يقصد بهذا الكتاب غير استجلاء حقائق التاريخ؛ فالموضوع لم يكتب لجمهور وميوله، وإنما كتب للحقيقة التاريخية فقط وهى الحقيقة التى يستطيع الدكتور محمد فؤاد شكرى أن يخدمها أكثر من غيره، لأنه من أقدر المؤرخين المصريين علما بتاريخ السودان، وقد أنفق سنوات طويلة فى البحث فى هذا الموضوع والاطلاع على الوثائق الخاصة به.

وهذا الكتاب هو أحدى ثمرات هذه الابحاث الطويلة المستفيضة.

فهذا الكتاب المدعوم بالوثائق والأسانيد والمراجع، سيكون بلا شك عماد كل باحث عن تاريخ الحكم المصرى فى السودان وتفصيلاته. وهو يرسم صورة واضحة لهذا الحكم، بعد أن استطاع المؤلف ببحوثه الطويلة، أن يستعيد صورة هذه الفترة من التاريخ حتى لكأننا نعيش فيها، ونسير مع حوادثها. كل هذا مع ثقتنا بأن الكاتب لم يضف من عنده شيئا، ولم يزد على الحقيقة شيئا.

اللغة اللاتينية المبسطة تأليف الأستاذ فرانك ملتون وترجمة الأستاذ أمين سلامه

(مكتبة النهضة)

توفر الأستاذ أمين سلامه فى دراساته على تعلم اللاتينية والاغريقية، ولكنه لم يقبل على هذه الدراسة لمجرد نيل الأجازات الجامعية ، واكبر دليل على ذلك أنه لم ينقطع عن البحث فى هاتين اللغتين اللتين هما أساس الثقافة الأوربية العظيمة ، كما كانت اللغة اليونانية عاملا هاما فى الثقافة العربية لحد كبير .

وقد أراد الأستاذ أمين سلامه أن يخدم وطنه بدراساته ، فأسدى للوطن أجل خدمة ، إذ أخرج مع زميل هو الأستاذ صمويل كامل عبد السيد ، كتابا فى تعليم اللغة اليونانية .وهو كتاب ثمين حقا ووحيد فى بابه بين المؤلفات الحديثة .

ونقل الأستاذ أمين سلامه بعض الكتب والأشعار الخالدة فى اللغة اليونانية ، وهو لا يزال ينقل كتبا من أدب اليونان ستظهر له فى القريب .

وقد رأى أن يخرج كتابا يبسط تعلم اللغة اللاتينية ، ولكنه آثر النقل على التأليف فنقل كتاب الأستاذ فرانك ملتون وهو من خير الكتب المبسطة .

والحقيقة أن هذه المجهودات خليقة بأكبر من التشجيع . وقد صدق الأستاذ الدكتور طه حسين فى مقدمته لهذا الكتاب حين قال:

« إن صاحبه خليق لا أقول بالتشجيع بل بالتشجيع والثناء الكثير . فالذين صاحبوا نشأة الجامعة ونموها وما اختلف على حياتها من الأطوار فى مصر ، يذكرون من غير شك أنه قد كان لمصر نصيبها من هذه الخصومة الخطيرة التى ثارت ، وما زالت ثائرة ، حول اللغة اللاتينية وحاجة الشباب المتعلمين إليها » .

ولسنا نستطيع أن نقول خيراً من هذا القول.

أغاريد السحر للأستاذ على الجندى (دار الفكر العربى)

لئن كنا قد تأخرنا فى الاشارة إلى هذا الديوان من الشعر الجيد ، فذلك لأننا كنا ننتظر أن يكتب عنه من هو أحق منا بتحليل الشعر العربى وفنونه والنظر فى اتجاهاته . ولكننا بعد انتظار أقدمنا على الكتابة عن هذا الديوان ؛ لأننا استطعنا أن نتذوق روح هذا الشعر . وفى تذوق الروح عند الشاعر المطبوع يكون الناس سواء ، لايتميز المختص بطرائق الشعر العربى والمتوفر على دراساته وغير المختص.

وهذا التذوق يدل على شىء واحد ، هو أن صاحب هذا الديوان لم يقرض شعره لمجرد الصنعة ، وإنما قرض هذا الشعر ليعبر به عن مجرى الحياة الحديثة ، وليصف به ألوان هذه الحياة .

فهو رجل يعيش فى عصره ، ورجل يحس بما يحيط به من متع الحياة وآلامها . وهو يعرف كيف يجعل من هذه المتع والآلام عبرة وموعظة ، ويعرف كيف يسجل الحوادث المختلفة التى تمر بها سواء أكانت أزمات نفسية أم أزمات اجتماعية .وهو فى كل هذا يرسم صوراً رائعة فى شعر متين رصين .

حسن محمود

ذكرى الأمير شكيب أرسلان للأستاذ محمد على الطاهر (مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة)

أما الأمير شكيب رحمه الله فقد كان رجلا ملء سمع البلاد العربية وملء نفوس أهلها ، وقد عاش ما عاش من العمر المديد مجاهدا تتقاذفه البلاد ولا يكاد يستقر فى وطن ، لم يقصر جهاده على بلد دون بلدٍ من هذا الوطن العربى الأكبر ولا على فن دون آخر من فنون الجهاد ؛ فكان لبنانيا مع لبنان ومصريا مع مصر وسوريا مع سورية وفلسطينيا يدافع عن بلاد القبلة الأولى ومغربيا مع المغاربة ومسلما واسع النفس حر الضمير مع الدولة العثمانية البائدة ومع الجمهورية التركية الحديثة ومع كل بلد إسلامى فى المشرق والمغرب ؛ وكان إلى ذلك أديبا وعالما ومؤرخا لا يزال له بحث من أبحاث أهل الأدب والعلم والتاريخ فى كل فن من فنون الأدب والعلم والتاريخ ؛ وكان كاتبا شاعرا له لسان وبيان ورأى ومنطق ونفس واعية .

بكل ذلك — وكان بعضه كافيه — بلغ ما بلغ من المنزلة فى نفوس المشارقة والمغاربة والمسلمين فى كافة بقاع الأرض ؛ فكان منعاه المباغت فى العام الماضى بعد عودته من منفاه إلى وطنه ببضعة أسابيع — رزءا فادحا لكل عربى وكل مسلم بين قوسى الأفق ؛ فبكاه الباكون ورثاه الشعراء وأبنه المؤبنون ونهض كل قطر عربى للاحتفال بتأبينه وتعداد مآثره وتخليد ذكره ؛ ورأى صفيه وصديقه الأستاذ محمد على الطاهر عليه حقا أن يحفظ هذه القلائد المنظومة والمنثورة بين دفتى كتاب يجعله كالمقدمة لكتاب ثان يقص فيه تاريخ الأمير الراحل ويصف حياته وجهاده ويسجل مآثره ورسائله ومراحل جهاده ؛ فكان هذا الكتاب الذى أعرضه اليوم ؛ وسيكون بعده الكتاب الثانى الذى وصفت . . .

إن ما استقصى الأستاذ الطاهر فى هذا الكتاب مما قيل أو كتب عن الأمير بعد منعاه فى شرق الأرض ومغربها لعمل جليل يستحق التنويه ، ونوع من الوفاء لاينهض لمثله إلا قليل من أهل الوفاء !

تاريخ العرب العام تأليف ل . أ . سيديو ، وترجمة الأستاذ عادل زعيتر (مكتبة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة)

لست من أهل الاختصاص فى الحديث عما ينقل إلى العربية من مؤلفات الأوربيين ، ولكنى مع ذلك حقيق بأن أنوه بالمجهود الذى يبذله الأستاذ عادل لترجمة أمهات الكتب الفرنسية التى تتصل بحياة الأمة العربية من قريب أو من بعيد ...

وليس كتاب تاريخ العرب العام لسيديو هو أول ما ترجم الأستاذ عادل زعيتر من هذه الكتب لقراء العربية ولا هو آخرها ؛ فقد ترجم قبل ذلك أكثر من كتاب لجوستاف لوبون وغيره من كبار الكتاب الفرنسيين ، وليست كتب «حضارة العرب» و « نابليون » و « ابن الانسان » أحقها بالذكر ؛ وأحسبه مايزال دائب الجهد على

إخراج طائفة أخرى من روائع المؤلفات الفرنسية التى يجد الحاجة إليها قراء العربية .

والأستاذ عادل زعيتر محام نابه فى فلسطين له فى المحاماة شهرة ومكانة وعمل ضخم ، وقد كان حقيقا بذلك أن يقتصر على ما تفرض عليه مهنته من أسباب الغنى والجاه لولا إيمانه العميق بأن عليه حقا للأمة العربية أن يسهم فى نهضتها العلمية الراهنة بما يقدر وإن فاته بذلك من المال والجاه ما كان أهلا لأن يكتسب فى المحاماة ؛ فهو بما يبذل من الجهد والمال فى ترجمة هذه الكتب وإخراجها هذا الاخراج الأنيق يضحى بالكثير ولا يكاد يحصل عوضا ؛ إذ كانت سوق الأدب أقل نفاقا ، ولكنه رجل يؤمن بالعلم!

ذلك كتاب حقيق بأن يقتنيه كل قارىء عربى عن موضوع يعنى كل عربى أن يدرسه دراسة المعتز بمفاخر أمسه ، المعتد بنفسه فى يومه وغده !

المجمل فى تاريخ لوبيا : من أقدم العصور الى العصر الحاضر تأليف الأديب اللوبى الاستاذ مصطفى عبد الله بعيو (مطبعة رمسيس بالاسكندرية)

أعانت على إصدار هذا الكتاب ، الجمعية التاريخية لخريجى كلية الآداب بجامعة فاروق الأول ؛ وقدم له الأستاذ عبد الحميد العبادى بك عميد الكلية ؛ وهو كتاب يظهر فى إبانه ؛ فان المطامع الأوربية الأمريكية التى تتجاذب هذا القطر العربى فى هذه الأيام ، خليقة بأن تنبه الأمة العربية إلى أن تلتفت إلى هذا الجزء من الوطن العربى وتعرف عن ماضيه وحاضره ما يتيح لها أن تنهض بواجبها بازائه .

وأحسب أن المؤلف الأديب قد قصد إلى هذا الغرض حين أصدر كتابه فى هذه الأيام ، وأهداه إلى مصر التى أظلته بسمائها ورويته من نيلها وغذته بعلمها ؛ اعترافا بفضلها فيما يقول . فهو قد تخرج فى كلية الآداب ، وجمع إلى دراسة التاريخ بها دراسة التربية وعلم النفس ؛ فأهدى إليها كتابه هذا اعترافا بجميلها ؛ على أن ما بين مصر ولوبيا من أواصر القربى والجوار والصهر والدين والشركة التاريخية منذ مئات السنين ، خليق بأن يجعل لهذا الكتاب الذى يفصل تاريخ لوبيا منذ أقدم العصور ، معنى آخر يحمل على العناية به وتقدير شأنه ؛ فاذا كان العرب فى مختلف أقطارهم يحسون حاجة إلى معرفة تاريخ هذا القطر فان إحساس المصريين بهذه الحاجة أمس ، وهذا الكتاب لهم ألزم ...

حبذا احتذاء مثل هذا الجهد ؛ وما أجمل أن نرى غداً مؤلفاً تونسيا يقدم لاخوانه فى العربية كتابا محققاً عن تاريخ تونس ، وجزائريا يؤلف عن الجزائر ، ومراكشيا يكشف للمشارقة عن تاريخ مراكش ... حتى يعرف العرب بعضهم بعضا فى هذه الفترة من فترات التنبه والوعى فى هذا الوطن العربى الكبير !

مصر والشام بين دولتين للأستاذ جمال الدين الشيال (دار الفكر العربي بالقاهرة)

وهذا كتاب آخر يهدف إلى ذلك الغرض فيقص قصة هذين القطرين المتجاورين فى الفترة بين القرنين الخامس والسادس للهجرة ؛ وهى الفترة التى بدأت والدولة الفاطمية فى مصر تحتضر ، ولم تنته حتى كانت دولة بنى أيوب قد أخذت تبسط سلطانها من لوبيا إلى الموصل فلا تمضى بعد ذلك إلا سنوات حتى تنتظم مصر والشام وما يتاخمهما من البلاد وتخلصهما من كيد الصليبيين وترد إليهما الاستقرار والطمأنينة والسلام .

من حيث بدأت هذه الفترة أخذ الأستاذ الشيال يقص قصة يتسلسل بحوادثها مع التاريخ مرحلة مرحلة ، حتى ينتهى وصلاح الدين على كرسى الوزارة فى القاهرة يعد عدته لتنفيذ السياسة التى رسمها للدولة الجديدة ؛ وفيما بين بداية القصة ونهايتها تتسلسل أحداث التاريخ على عينيه فيعيها وعى من يرى بعينيه ويسمع بأذنيه ويعيش بروحه ، فلا يفوته شىء مما يريد المؤرخ القاص أن يلقنه من حقائق التاريخ بأيسر وسيلة ومن أقصر السبل . على أنها إلى ذلك قصة قد استكملت عناصر الفن وارتسمت فيها صورة تشبه أن تكون من صور الحياة التى كان الناس يحيونها فى ذلك التاريخ البعيد .

فمن شاء أن يقرأها قصة فقد وجد تسلية ومتاعا فنيا ، وحصل إلى ذلك تاريخا كان يريد تحصيله فتعوقه عن ذلك العوائق ، ومن شاء أن يقرأها تاريخا لهذه الفترة من تاريخ مصر والشام فسيجد ماقصد إليه كاملا دون أن يجد فى ذلك ضيقاً أو ملالا ؛ ثم هى مع ذلك خليقة بأن تشوقه إلى المزيد من تاريخ هذا العصر فتحمله على التماسه فى مظانه من كتب التاريخ القديمة يقبل عليها مشوقاً وكان من قبل لايكاد يجد عليها صبراً ؛ لكل ذلك قصد المؤلف وبلغ ماقصد!

السل : عدو الانسانية للدكتور واصف كنعان (مطبعة كوستا تسوماس بالقاهرة)

وهذا كتاب آخر يضيف إلى الثقافة الصحية العامة كسبا جديدا ؛ وما أحوجنا إلى كثير من هذه الكتب التى تمنح عامة القراء فى البلاد العربية مزيدا من الثقافة الصحية العامة وتكشف لهم عن الحقائق الصحية التى لا بد أن يعرفوها ليعيشوا أصحاء ويتوقوا أسباب المرض والعدوى .

وفى بلاد الشرق الواسعة يجد السل مرعاه الخصيب وتنتقل عدواه من صدر إلى صدر نتيجة لقلة أسباب المناعة والتوقى ؛ وفى مثل تلك الحال يجب أن يكون لدى عامة القراء من المعارف الصحية عن هذا الداء الوبيل ما يكف شره ويمنع انتشاره .

وإلى هذا القصد نحا الدكتور واصف بكتابه هذا مساهمة فى الجهد الذى تبذله الحكومات العربية فى هذه السنين لمكافحة الأدواء والعلل المتوطنة ؛ فهو كتاب للجماهير يقدم إليهم من الثقافة الصحية مالا يجدون عنه غنى ، وإن فيه إلى ذلك لمباحث تهم الأطباء والمختصين وبعض القائمين على المؤسسات الاجتماعية .

أدب الرصافي نثر ودراسة للأستاذ مصطفى على (مكتبة المثنى ببغداد)

مات الرصافى الشاعر ؛ وليس الرصافى الشاعر شيئا قليلا فى تاريخ الأدب العربى فى هذا العصر ؛ وقد عنيت طائفة من المعاصرين بسرد تاريخه والحديث عن أدبه، وكان من أولئك أديب مصرى فى العراق، هو الأستاذ بدوى أحمد طبانة ، أحد أساتذة دار المعلمين العالية ببغداد ، فأنشأ كتاباً سمعت به ولم أقف عليه ، للحديث عن حياة الرصافى وأدبه ؛ على أن بعض فصول مما نشر الأستاذ طبانة فى كتابه لم تلق ارتياحا من بعض تلامذة الرصافى وإخوانه ومخالطيه ، فنشبت فى بعض مجلات العراق طائفة من المعارك الأدبية بين المؤلف وناقديه ، وكان من ناقديه مؤلف هذا الكتاب ؛ فمن مجموع مقالاته فى نقد بعض ماذهب إليه الأستاذ طبانة فى كتابه كان هذا الكتاب الذى نعرضه ...

وقد تضمن الكتاب فصولا ثلاثة : مقدمة ، وتعليقات ، وفصلا ثالثا هو صلب الكتاب ...

هو إذن حلقة من تلك السلسلة التى نطلب إلى أدبائنا منذ بعيد أن يوجهوا إليها بعض نشاطهم لتأريخ هذا الجيل الأدبى الذى نعاصره قبل أن تنمحى الذكريات ويندثر التاريخ ويعود المعارف من أدبائنا المعاصرين نكرات يكتنفهم الغموض فلا يكاد دارس أدبهم أن ينفذ إلى أسرار نفوسهم إلا قليلا من قليل ومع الجهد والمشقة وتوقع الزلل . ومن هذه الناحية حسب ، أجد ما يحفزنى إلى شكر المؤلف على العناية باخراج مثل هذا الكتاب .

محمد سعيد العريان

فى مجلات الشرق

من لبنان

الأديب العدد ٢ : ٧ (فبراير ١٩٤٨)

فى هذا العدد فصل ممتع للآنسة سلوى روضة عن « فن التصوير عند اليونان » — وهى تعنى التصوير الزيتى ، فتمهد لحديثها بمقدمة عن الطبيعة اليونانية وأثرها فى التوجيه الفنى فى اليونان ، ثم انتقلت إلى الحديث عن التاريخ اليونانى فأجملته فى سطور ؛ ثم أخذت فى الحديث عن الفن اليونانى فى جملته ، فى البناء والهندسة والنحت — على اختلاف العصور ؛ وركزت البحث بعد ذلك فى الحديث عن فن التصوير ، ففندت الرأى القائل بأن التصوير لم يكن شائعاً عند اليونان ، وخلصت من ذلك إلى الحديث عن أنواع التصوير عند اليونان ، وتطوره التاريخى ، وأشهر المصورين الذين انتهت إلينا آثارهم الفنية ، والتصوير على الآنية ؛ وقد زينت الآنسة بحثها بطائفة من الصور اليونانية .

ويوالى الشاعر البحرينى ابراهيم العريض حديثه عن « منزلة الشعر بين الفنون » فينشر فى هذا العدد من الأديب حلقة جديدة عن « اللون فى الشعر » و « الوحدة الفنية » فيقرر أن « اللون » فى الحياة يقوم بدور لا يستهان به ؛ فهو متعة للنظر يفسح القلب للتعبير عنها مجالا بين الفنون ؛ ثم يمضى فى ضرب الأمثال من شعر القدامى والمحدثين ومن النثر أحياناً ؛ على « الألوان » فى الشعر . فاذا فرغ من حديث الألوان مضى فى حديثه الآخر عن « الوحدة الفنية » فيرى أن القصيدة كأثر فنى ، صورة منتزعة من الحياة محدودة باطار ؛ ولذلك فالجامع الذى يجمع بين أبياتها يجب أن يتوحد فى كل شئ على نحو ما ينبض فيها من صدق الشعور ؛ ويستشهد — فيما يستشهد به — للنماذج الموحدة المتساوقة المعانى مع حالة نفسية واحدة ، بأبيات الشاعر عبد الرحمن صدقى يرثى زوجته :

كان لى فى أخريات العمر بيت فعدمته
سنوات أربع ، أم كان ذا حلماً حلمته
ليته طال ، ولو طال لما كنت سئمته
زوجتى صنوى ، وما لى غيرها صنو علمته
هى لم تنقم — على نقصى — ولا شئ نقمته
همها همى ، فلا تطعم إلا ما طعمته
همنا الدرس ، وما تفهمه منه فهمته
نظمت بالعطف والتفكير عيشى ونظمته
وارتضينا من لقانا عوضاً عما حرمته

برهة ... وانتبه الدهر فعفى ما رسمته
أترى الرضوان ذنبـا أثمته وأثمتـه
أحرام أن سعدنا ؟ أم خيـال ما زعمته
كل ما أعرف ... أنى كان لى بيت عدمته !

الطريق العدد ١ : ٧ (يناير ١٩٤٨)

فى هـذه المجلة التقدمية تقرأ « خواطر عربى فى عالم جديد » بقلم الأستاذ رئيف خورى ، وهى تأملات ومطالعات ومشاهدات استخلصها من مفكرته « السوفياتية » كما يصفها . ففى هذه الخواطر يتحدث عن شئ من أوليـة تاريخنا الحديث حين انسلخت بعض الأقطار العربيـة مختارة عن الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى لتنضم إلى صفوف الحلفاء الذين وعدوها بما وعدوا من أباطيلهم فى الوقت الذى كانوا يتفقون فيه فيما بينهم « سراً » على اقتسـام هذه الأقطار بعد الحرب ؛ فلم يفضح مؤامراتهم هـذه ويكشف عن نذالتهم إلا الروس حين ثاروا ثورتهم البلشفية سنة ١٩١٧ وعفوا عما كانوا موعودين به فى ذلك الاتفـاق « السرى » وأذاعوا نصوصـه !

ويضم الكاتب إلى « خاطرته » هـذه خواطر أخرى من « مفكرته السوفياتية » أوحتها إليه زيارته منـذ قريب لبلاد السوفيات ، إلى خواطر أخرى تمت إليها بسبب !...

وفى هذا العدد من « الطريق » قصيدة جيدة للشـاعر نذير الحسامى عنوانهـا « معاهدة » يعنى بها المعاهدة العراقية البريطانيـة الأخيرة التى ماتت غداة مولدها ؛ وكأنما ألهم الشاعر بفطرته الصادقة ووعيه الوطنى ما آلت إليه هذه المعاهدة الميتة قبل أن يحدث شئ مما كان؛ فقد كان نشر قصيدته مبكراً عن تلك الحوادث ... يقول :

يا سيدى الراعى ، أراك خدعتنى — وصفعتنى بالغـش والخـذلان
أهزأت بى يا سـيدى فزعمتنى — كبشا يقـدم فى وليمة جانى ؟
أتقودنى بعصـا الرعاة ، وإنهـا — لعصـا تنـير الدرب للحـدثان ؟
قد خنت يا راعى وليتـك لم تخن — مهجاً بأغـلال العـذاب عوانى
يا سـيدى ضللت فى المسعى ولم — تذهب بشائك مذهب الرعيـان
يا سـيدى الراعى وأنت ممنع — هلا وعيـت الحـق فى هـذيانى
غضبى الكبير ... أحد منك ضراوة — وأشد منك ، الجمر فى بركانى !
أتمـد كفك للعـدو مصافحـاً — ويداه تقطـر من دم القطعـان
عاهدت سفاك النعاج على الوفا — فـكلا كما بالشـاة تأمـران
لو كنت أهلا للمروءة لم تكن — ذئباً مع الذئب المكشر ، ثان !

المسرة الجزءان ١ ، ٢ : ٣٤ (يناير — فبراير ١٩٤٨)

فى الجزء الأول من مجلة « المسرة » تقرأ بحثاً ممتعاً عن «حوران» لمناسبة الحديث عن أبرشيتها ، للأب أغناطيوس فرح البولسى ، وتجد تتمته فى الجزء الثانى . وهو يتحدث فى هذا البحث عن كل مايتصل بهذه المدينة العريقة منذ أقدم العصور ،طبيعتها وموقعها وسكانها — على تعاقب القرون والأجيال — ووضعها السياسى منذ كانت ، وتاريخها فى المسيحية ، وبعد الفتح العربى حين وليها من قبل الخليفة الثانى : مالك بن الحارث جد الأمراء الشهابيين الذى غلب الغساسنة فى هذه المنطقة على أمرهم واستولى على ما كان تحت أيديهم من أرض البلقاء والشام .

وثمة مقال بديع فى الجزء الثانى ، للأستاذ عيسى اسكندر المعلوف عنوانه « بين زحلة ودمشق فى القطار » يصف فيه كل ما تقع عليه العين فى هذه المنطقة الحافلة بمناظرها وصورها وما تبعث من خواطر وذكريات تنتظم الماضى والحاضر ؛ وهو فيما يصف من ذلك لا يكتفى بالنظرة العابرة وتسجيل ما يرى ، بل يتبسط فى الحديث والوصف من قريب ومن بعيد ، ملما بتاريخ البقعة أو الأثر ويحلل اسمه العربى ، أو الرومانى ، أو العبرانى ، ويذكر كل ما يتصل به مما وعته ذاكرته أو وقع عليه فى مطالعته ، مع التحرى والاستقصاء والضبط والابانة .

وفى هذا الجزء مقال آخر عن الخزانة اليازجية ، يصف فيه الأب يوحنا الفاخورى البولسى المعجم الذى وضعه اللغوى العلامة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجى بدعوة من مجلة « المقتطف » فى سنة ١٨٨١ ثم أعجلته المنون عن نشره ، واسمه « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » . وقد صور الكاتب صفحة من هذا المعجم ونشر فصولا منها مقارنة بفصول أخرى من بعض المعاجم المتداولة.

بحث طيب عن أثر مهم من آثار عالم من شيوخ اللغة فى أوائل هذا القرن كان له فضل على كثير من المشتغلين باللغة والأدب حتى اليوم .

من سوريا

التمدن الاسلامى الأعداد ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ : ١٣ (سنة ١٣٦٦ هـ)

صدرت هذه الأعداد جملة فى غلاف واحد متضمنة بحثاً واحدا عنوانه « عبقرية الاسلام فى التربية » وهى مباحث فلسفية نفسية فى أصول التربية والتعليم فى الاسلام ، تأليف محمود فهمى الاستانبولى .

هو إذن كتيب فى التربية الاسلامية يقع فى ستين صفحة من القطع الكبير آثر مؤلفه أن يكون أكثر تداولا فنشر فى هذه المجلة ليقوم لدى قرائها مقام أربعة أجزاء منها . وقد تضمن عدة مباحث مما يتصل بروح التربية وفن المعلم مستمدة من القرآن والسنة وما جرى عليه الأسلاف ومن وليهم فى سياسة التعليم .

من العراق

البيان الأعداد ٣٥-٣٩ : ٢ ، **الغرى** الأعداد ١١ — ١٤ : ٩ (ديسمبر ١٩٤٧)،
الميزان العددان ٢٧ ، ٢٨ : ٤ (صفر ١٣٦٧ هـ)

هذه المجموعات الثلاث من المجلات الثلاث خاصة بذكرى أبي الشهداء الامام أبي عبد الله الحسين بن علي رضي الله عنهما ، لمناسبة ذكرى استشهاده الفاجع في العاشر من المحرم سنة ٦١ من الهجرة ؛ فلا يزال هذا التاريخ كل عام — منذ ألف وثلاثمائة سنة — موسماً للعظة والاعتبار يحتفل العراقيون فيه بذكرى الامام الشهيد ، بالكتب يصدرونها ، وبالمحاضرات يذيعونها وبالأحاديث يلقونها في المجامع ، وبالاحتفالات يحتشد فيها الخلق من شتى نواحي العراق وما يتاخمها من البلاد ؛ وبالصحف والمجلات يخصصونها للحديث عن تلك الذكرى وترجيع أصدائها وبعث تاريخها وتحليل حوادثها في كل عام على نمط جديد .

ومن أجل ذلك احتفلت هذه المجلات الثلاث — وهي كل ما وصل الينا في هذا الشهر من صحف العراق — بهذه الذكرى فأصدرت أعدادها الخاصة هذه ، كل عدد منها بأعداد ؛ فانها لتضم مئات الصفحات لمئات الكتاب والشعراء والمتحدثين في هذه الذكرى الطيبة من أهل المشرق والمغرب ؛ ففيها لأهل مصر والشام والعراق وغيرها من بلاد العربية والاسلام ، قد اجتمعوا رأياً وعاطفة على الاحتفال بهذه الذكرى الباقية . على أن ثمة ظاهرة ينبغي أن أنوه بها حين أجمل الحديث عما ضمنت هذه المجلات من الشعر والنثر والأحاديث في هذا العام ؛ هي أنك لا تكاد تطالع حديثاً أو شعراً من هذا المنظوم والمنثور إلا وجدت فيه صدى للعاطفة التي تلف العرب في هذا العام نحو فلسطين المنكودة والرغبة في انقاذها من مخالب الصهيونية وحبالة الاستعمار ؛ وكانت ذكرى استشهاد الحسين رضوان الله عليه مناسبة طيبة للتحميس إلى الجهاد والاستشهاد من أجل هذا البلد العربي المكافح بدمه وماله وبنيه في سبيل الخلاص والحرية !


اتقان
سوپرستيل
Superstyl
BAYARD
585
14 K
MADE IN
FRANCE
بايار
القلم الذى لا يبارى
يباع فى المحلات الكبرى
الوكلاء : الكاتب المصرى ش.م.م

مدونة جوستنيان فى الفقه الرومانى

INSTITUTES DE JUSTINIEN

نقله إلى اللغة العربية معالى عبد العزيز فهمى باشا

٢٨+٤٠٩ صفحة — ثمن النسخة المجلدة ١٥٠ قرشاً

العقيدة والشريعة فى الاسلام

للمستشرق الكبير اجناس جولدتسيهر

نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، عبد العزيز عبد الحق المدرس بكلية الشريعة بالجامع الأزهر، على حسن عبد القادر دكتور فى العلوم الاسلامية، مدير المركز الثقافى الاسلامى بلندن

١٦+٣٨٨ صفحة — الثمن ٨٥ قرشاً

كتاب البخلاء للجاحظ

حقق نصه وعلق عليه طه الحاجرى مدرس الأدب العربى بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

٥١+٤٦٨ صفحة — الثمن ١٠٠ قرش

تاريخ قضاة الأندلس

ألفه الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى الأندلسى وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر إ. ليفى بروفنسال أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون ومدير معهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس

٢٤ + ٢٨٤ صفحة — الثمن ٧٥ قرشاً

قطوف لعبد العزيز البشرى

مع مقدمة لطه حسين

الجزء الأول ١٦+١٩٦ صفحة، الجزء الثانى ٨+١٩٦ صفحة — ثمن الجزء ٢٠ قرشاً

تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط

تأليف الأستاذ يوسف كرم مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

٨+٢٦٦ صفحة — الثمن ٥٠ قرشاً